THE WAR OF THE OASIS

جلال مدحت

حَرب الواحَات

فريق متميزون
E-BOOK

KOTOPIA PUBLISHING HOUSE
كتوبيا للنشر

رواية

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

حرب الواحات

رواية..

الكاتب: جلال مدحت

إهداء..

إلى أبي وأمي

وجميع أقاربي

وزملائي في الدراسة والعمل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الواحات المذكورة في الرواية موجودة في أرض الواحات العظمى، والزمان عصر ما قبل الديناصورات تبدو الواحات كالعصر الفرعوني في المباني وفي الحروب، فالحروب بالسيوف والخيول والعجلات الحربية ولا توجد طريقة حديثة للقتل.

الرواية من خيال المؤلف ولم تكن هذه الأحداث موجودة من قبل ولا يوجد دليل تاريخي على وجودها، فقط هي موضع تخيلي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الجزء الأول
واحة الغربان

واحة الغربان سميت بذلك الاسم نظرًا لكثرة الغربان بها، وهي أكبر واحة في أرض الواحات العظمى، توجد غربًا ورئيس الواحة يسمى وزيرًا، ووزير هذه الواحة محبوب من الجميع يقدر العلم والعلماء ويسعى إلى أن تكون واحة الغربان في ازدهار ورقي في كل المجالات.

هذا الوزير قد تمكن من الحكم بعد وفاة أبيه؛ فالحكم بالتوريث وليس بالانتخاب.

تبدأ الأحداث عندما جلس الوزير في حديقة القصر هو وابنه قاسم الذي يبلغ من العمر ١٠ سنوات وبعض من الحرس، فدخل عليه أحد الحراس وقال له:

- أيها الوزير العظيم، لقد وجدنا إحدى الدجالات يلتف حولها الكثير من الناس لطلب الاحتياجات والرزق والشفاء.

فرد الوزير:

- كيف يحدث هذا وأنا وزير هذه الواحة؟! جهزوا لي العجلة الحربية الخاصة بي وسأذهب إليها، وأبلغوا كبير حراس القصر بالتحرك الآن.

لم يمر وقت طويل حتى استعدوا للذهاب لهذه الدجالة، ركب الوزير العجلة الحربية وانطلق ومعه كبير حراس القصر، وحين وصلوا وجدوا عددًا من الناس ينتظرون الدخول لهذه الدجالة، بعضهم عندما رأى موكب الوزير هرب من المكان مبتعدًا، ومنهم من ظل في مكانه. في حين اقترب الوزير من الناس وهو راكب عجلتة الحربية قائلًا بصوت عالي:

- خزلتموني يا سكان واحة الغربان، فبينما أنا أنفق المال على العلم وعلى نشر الوعى ما زلتم أنتم على العهد القديم تتمسكون بالخرافات والأكاذيب وتحبون من يقوم باستغلالكم، من كان منكم مريضًا فليذهب للطبيب، ومن كان منكم يسعَ للرزق فعليه بالتعلم والسعي وراء ذلك.

وبينما هو يتحدث خرجت هذه الدجالة قاطعةً حديث الوزير قائلة:

- مرحبا بوزير وكبير الواحة.

رد عليها قائلًا:

- لا مرحبا بوجودك؛ فوجود أمثالك هنا يهدم ما أسعى لإنشائه، واليوم آخر يوم لكِ هنا في الواحة.

أجابته الدجالة متوددة:

- أنت وزيرٌ عادل، وأنا من أهل الواحة ولست بغريبة حتى تطردني منها، فكيف لوزيرٍ مثلك أن يفعل ذلك!

رد الوزير:

- ألا تكذبين على الناس وتدعين بأنك تعلمين الغيب وتأخذين أموال الناس مقابل ما تفعليه؟!

أجابت الدجالة:

- أنا لا أجبر أحدًا على أن يأتى إلى هنا، والمال الذي يُدفع هو مقابل ما أقدمه للناس، فأنا أسعى لخدمتهم.

أجابها الوزير متهكمًا:

- تسعين لخدمتهم! إذن سأختبرك غدًا أمامِ الجميع، وإن كنتِ على حق سأضمن لكِ البقاء في الواحة، وإن ثبت عكس ذلك وكُشف جهلك أمام الجميع فسيكون مصيرك الرحيل وعدم العودة إلى الأبد.

قالت الدجالة:

- أنا في أتم الاستعداد وسترى بأم عينك ذلك أمام الجميع.

نادى الوزير على كبير حراس القصر قائلًا: «اجمع لي سكان الواحة في ساحة الاجتماعات غدًا، وقل لهم أن يحضروا جميعًا، وضع بعض الجنود أمام بيت هذه الدجالة الحمقاء، ومُرهم أن يمنعوا أي شخص من الدخول لها حتى ننظر في أمرها غدًا»، رد كبير حراس القصر: «على الفور يا مولاى».

بدأ الناس بالتحرك مفسحين الطريق لموكب الوزير الذي تحرك عائدًا إلى القصر، وحين دخل الوزير القصر جلس على كرسي الحكم وأمر حارسه باستدعاء ولي العهد، ذهب الحارس واستدعى ابنه قاسم.

وحين دخل عليه قاسم، قال له الوزير: »غدًا سأفضح ما تبقى من الجهل عند بعض الناس وأثبت لهم باليقين أن العلم فوق كل شيء، فأريدك منتبهًا لي ولبعض الحيل التي سأستخدمها لهزيمة الدجالة المعبرة عن الجهل، والتي تستغل بعض الناس الذين لا يؤمنون بالقدر والأخذ بالأسباب. ربما قد لا تفهم ماذا يحدث الآن ولكن انتبه لأنك عندما تكبر ستحتاج إلى هذه الحيل في حياتك لتنجح وتكن مميزًا»، أجابه قاسم: «سأكون منتبهًا لكل ما ستفعله غدًا يا أبي».

ثم نادى الوزير لأحد الحراس قائلًا: «أحضر لي طبيب الحيوان، أيها الحارس»، فقام بإحضاره على الفور ودخل على الوزير مُحييًا: «أرق التحيات لوزير الواحة وكبيرها»، فرد الوزير: «تشرفنا بقدومك يا طبيب الرحمة، أريدك اليوم في مهمة قوية»، قال طبيب الحيوان: «أنا رهن إشارتك يا وزير»، أردف الوزير قائلًا: «أريدك أن تجلب حمارًا وماعزًا، وأعطِ كل منهم سمًا بطيء المفعول على أن تبدأ غدًا ظهور أعراض هذا السم عليهم والإعياء الشديد، ثم تتدخل أنت بعد ذلك وتعطي

لهم مضادًا للسم فيجعل تحسنهم ملحوظا للجميع»، فأجاب طبيب الحيوان: «هذا أمر يسير يا وزير، سأذهب وأحضر الحمار والماعز وسآتي بهم إلى ساحة الاجتماعات»، أجابه الوزير مبتسمًا: «أحسنت، وفقك الله».

ثم نادى الوزير على كبير حراس القصر وقال له: «أحضِر لي اثنين من الجنود»، فأحضر له اثنين من الجنود، فقام الوزير بوضع خمس عملات معدنية في جيب أحدهم وقام بثقب جيب الآخر؛ فتعجب الجنود وكبير حراس القصر فقال لهم الوزير: «ستعلمون لماذا فعلت هذا غدًا في ساحة الاجتماعات»، ثم وجه كلامه للجنديين: «أريدكما هكذا، واحد جيبه به ثقب والآخر في جيبه خمس عملات معدنية».

ساحة الاجتماعات

اجتمع أهل الواحة في ساحة الاجتماعات واقفين على أرجلهم، تدور بينهم أحاديث جانبية، حتى بدأ أحد الجنود الواقفين على ارتفاع بسيط يشبه المنصة بضرب الجرس فأحدث صوتًا على إثره صمت الجميع وسادت حالة من الهدوء، حينها صاح جندي آخر: «ها قد جاء وزير الواحة وكبيرها».

دخل الوزير ومعه ابنه قاسمٍ وكبير حراس القصر، وبدأ الناس بتحية الوزير، ورد عليهم الوزير التحية، مردفًا: «جئت اليوم للقضاء على ما تبقى من جهل لدى البعض، فأنا اشجع العلم وأنفق المال من أجله ولكن بعض الناس لا يقدرون هذا، ولقد كنت قادرًا على حبس الدجالة أو طردها أو قتلها ولكن جئت بها إلى هنا لأثبت لكم بالبرهان أن العلم والأخذ بالأسباب بهما نفع للأمة.، أحضروا الدجالة»، فصعد الجنود بها على المنصة، سألها الوزير: «هل أنتِ مستعدة؟»، أجابته: »أنا على أتم الاستعداد، وتزاحُم الناس على بيتى هو دليل قوتي»؛ فابتسم الوزير متهكمًا عليها قائلا: «بعض الناس تعجبهم الحيل وينبهرون بأعمال السحر واليوم سأقضي عليها فلنبدأ الآن».

ضرب أحد الجنود الجرس، تبع ذلك قول الوزير: «أحضروا لي الحمار والماعز لنعلم هل لها طريقة معهم وتستطيع أن تخبرنا بأمرهم»، ضحك الناس، فأشار لهم الوزير بيده حتى يلتزموا الصمت، قالت الدجالة: «حمار وماعز! كيف هذا؟ أتسخرون منى ومن قوتي؟»، فقال الوزير: «من يقدر على شفاء الإنسان كما تزعمين فهل يعجز أمام حيوان ضعيف؟ فالحمار هذا مريض والماعز أيضًا مريضة نريد لهم الشفاء»، فاقتربت الدجالة بمنهم وبدأت تتمتم ببعض الكلام الغير مفهوم وتؤدي حركاتٍ غير مفهومة، ثم قالت: «ليس بهم مرض، بل فقط يحتاجون المزيد من الماء وسيكونون في حالة جيدة»، فابتسم الوزير ونظر إلى الحمار والماعز وإذ بحالتهم تسوء، فقال لها: «وإن استطعت أن أجعلهم في أفضل حال الآن فهل ستتركين أعمال السحر؟»ردت الدجالة: «أنا لا أمارس السحر كما تقول على الحيوانات بل كل زوارى من جنس البشر، ولكن أرِنَا كيف ستجعلهم في حالة جيدة الآن؟!

نادى الوزير على طبيب الحيوان، وقال: «هذا طبيب الحيوان سيفحصهم ويعطيهم الدواء، وننظر ماذا سيحدث»، قام الطبيب بوضع الدواء لهم في أفواههم وقال: «ننتظر قليلًا وسنلاحظ تعافيهم من الداء»، فأمره الوزير قائلًا: «اشرح للناس حالتهم»، فقال طبيب الحيوان: «لقد عرفت أنهم تعرضوا لأكل به بعض السموم وأنا أعطيتهم مضادًا له»، فسأله الوزير: «وكيف عرفت ذلك؟» رد طبيب الحيوان: «طبقًا لما تعلمناه وفهمناه يا سيدي».

وبدأ الحمار والماعز بالتحسن أمام الناس، فقال الوزير مخاطبًا شعب الواحة: «أرأيتم كيف أنقذ الطبيب الحيوانات من هلاك محقق؟»

فنظر الناس بعضهم إلى بعض وحركوا رؤوسهم من أعلى إلى أسفل كإشارة بنعم صحيح، حينها أردف الوزير: «والآن التحدي الثاني لهذه الدجالة»، فقام أحد الجنود بضرب الجرس مرة أخرى، فقال الوزير: «أحضروا لي هذين الجنديين» وأشار عليهم بيده، فوقفوا أمام الدجالة، حينها سألها الوزير: «أريد أن أعرف كم معهم من نقود»، فصمتت الدجالة ونظرت إلى الناس، فأعاد الوزير عليها السؤال، فقامت تقول بعض الكلام الغير مفهوم مقتربة من الجنود مؤدية حركات غير مفهومة أثارت استياء الوزير، ثم قالت: «مع أحدهم كثيرمن النقود والآخر لديه القليل منها»، فقال الوزير للجنديان: «فليخرج كل منكم ما في جيبه من المال»، فقام جندي منهم بإخراج خمسة عملات معدنية والآخر أظهر للناس أن جيبه كان مثقوبًا ولا يوجد به مال.

نظرت الدجالة إلى أسفل قدميها خجلًا، اتقاءً للنظر في أعين الناس، فنظر لها الوزير مبتسمًا سعيدًا بما حدث، ثم قال للناس بصوت عالي: «هل رأيتم إفلاس هذه الدجالة؟ هي فقط تستخدم الحيل وتعتمد على التوقع وليس على العلم لتجني منكم المال، فعلى أهل واحة الغربان من الآن فصاعدًا أن يرفعوا شأن العلم والعلماء.» ثم أتبع ذلك بإصدار قرار بحبس كل من يذهب إلى دجال، ورفْع أمره إلى الشيخ الحاكم للنظر في شأنه، ومنعً أي دجال من دخول الواحة المباركة حتى لا ينشر فيها العبث والجهل ويستغل أحوال الناس. ثم أردف: «أما هذه الدجالة فاطردوها فورًا، لا أريد أن أراها ثانية في الواحة، وإذا رأيتها مرة أخرى سأفصل رأسها عن جسدها، وعليكم بإرسال أولادكم لطلب العلم وأنا سأقوم بصرف المزيد من المكافآت للطلبة المتفوقين والمنضبطين»، أتبع الناس ذلك بالهتاف للوزير قائلين: «يحيا وزير الواحة وكبيرها، يحيا وزير الواحة وكبيرها»، ثم انصرف الوزير ومن معه راكبين العجلات الحربية متجهين نحو القصر.

في القصر عندما جلس الوزير على كرسي الحكم أمر كبير حراس القصر بإرسال رسالة لأهل العلم الذين أوكلهم بتعليم أهل الواحة قائلًا فيها: «يا أهل العلم حياكم الله، استمروا في نشر الوعي والتحلي بالصبر مع المقبلين على العلم، وتشجيعهم على المزيد من طلب العلم، ولا تقسوا عليهم في العقوبة حتى لا يكره أحد العلم بل كونوا في عونهم وساعدوهم وأقيموا المسابقات بينهم، وأنا سأسعى لتحقيق كل ما تطلبون ولكم مني التحية والسلام».

ثم سأل الوزير: «أين ابني قاسم؟ أحضِروه لأتحدث معه»، رد أحد الحرس: «ولي العهد يتلقى العلم في غرفته مع الشيخ السمري»، قال الوزير: «بعد أن ينتهي من تحصيل العلم، أحضروه إلى غرفتي».

سوق الواحة

ننتقل إلى سوق واحة الغربان، حيث كان الجميع يشهدون للوزير بنشر الأمن والأمان في هذا السوق، حيث قام الوزير بعمل توسعة كبيرة في هذا السوق بحيث لا يحق لأحد البيع في أي مكان في الواحة إلا هذا السوق، ويقام كل يوم ويأتيه عدد كبير من سكان الواحات المجاورة لشراء أجود البضائع وأرخصها من بين الواحات الأخرى، كما تقام في السوق منافسات بين الشعراء ومنافسات على بعض الألعاب البسيطة التى يلتف حولها الناس وتثير سعادتهم، كما ينتشر الجنود في السوق لتأمين الناس وحمايتهم من السرقة.البائعون جالسون على الأرض يبيعون سمك وخضروات وفواكه، أحد البائعين ينادي على بضاعته قائلًا: «أبيع السمك الطازج كل الأنواع وبسعر رخيص، أبيع السمك من البحر إلى السوق، إنه طازج»، فدخل عليه أحد المتسوقين وقال له: «كم سعر هذا السمك؟» فقال البائع: «الكيلو بأربع عملات معدنية فقط»، فاشترى المتسوق السمك ووضعه على الميزان الذي يتخذ شكل عصا تمسك باليد من المنتصف وعلى اليمين مربوط بها حجر معياره كيلو، والناحية الأخرى مربوط بها وعاء يوضع فيه الشيء المراد وزنه، فإذا ارتفع الحجر إلى أعلى العصا أشار إلى أن المعيار سليم.

مر ثلاثة لصوص أثناء ذلك، الأول كان طويلًا ولديه علامة في خده الأيسر وأقرع الرأس، والثاني قصير جدًا كالأقزام وبشرته سمراء، والثالث متوسط الطول أقرع الرأس، وحين أبصروا المتسوق وهو يخرج المال من جيبه ليشتري من البائع، قال اللص الطويل: «أرأيتم هذا الشخص؟ إنه لديه المزيد من العملات المعدنية، سأتتبع أمره وأنتظر الفرصة المواتية لسلب المعادن منه دون أن يشعر»، قال اللص المتوسط الطول: «إذًا فلنتفرق، كل واحد منا في اتجاه دون أن يشعر بنا جنود السوق»، ثم تفرقوا، وتبع اللص الطويل المتسوق الذي انتهى من شراء السمك حتى وصل المتسوق إلى بائع آخر، ظلّ اللص يلتفت يمينًا ويسارًا مقتربًا من جيب المتسوق وقام بسرقته، ثم ابتعد عنه مهرولًا إلى أحد جانبي السوق، أما اللص القزم فقد دخل بين الناس المزدحمين على أحد بائعي الفاكهة وسرق عددًا قليلًا من العملات المعدنية الخاصة بالبائع، ثم هرول مبتعدًا نحو جانبي السوق، وبالنسبة للص متوسط الطول فقد كان قلقًا وخائفًا من أن يلاحظه أحد الجنود، فقد أبصر شخصًا يضع الكثير من المال فى جيبه، فظل يتابعه حتى دخل الرجل بين زحام الناس ليشتري بعض الأشياء، فاستغل اللص متوسط الطول ذلك، واضعًا يده في جيب هذا الرجل، لكنّ أحد جنود السوق لاحظه فصاح مناديًا: «لص أمسكوه، إنه سارق»، ولّى اللص مسرعًا ولاحقه عدد من جنود السوق.

أسرع أمين السوق بضرب الجرس الموجود أعلى برج خشبي ارتفاعه خمسة أمتار حتى انتبه الجميع وعلموا بأن هناك لص، أشهر الجنود سيوفهم وأقفلوا مداخل السوق بالوقوف صفًا بجوار بعضهم البعض، في حين ظل عدد منهم يلاحقون

اللص ويحذرون الناس مشيرين إليهم بالابتعاد، وحين أوشكوا على اللحاق به قام اللص بإخراج خنجر من جيبه، فعمّ الهرج بين الناس خوفًا منه، تدارك قائد الجند الموقف آمرًا جنوده: «تفرقوا وحاصروه من الناحية الأخرى»، حتى تمكن أحد الجنود من إيقافه وأشهر السيف في وجهه، وتجمع عدد من الجنود عليه وكبّلوه وأخذوا الخنجر من يده وسلموه إلى أمين السوق الذي أمر قائلًا: «سلموا هذا اللص الفاسد إلى بيت الشيخ الحاكم لتوقيع أقصى عقوبة عليه».

وبالفعل ذهبوا به إلى بيت الشيخ الحاكم وهو قاضي الواحة ويرتدي ثوب شيوخ العلماء وعمره يزيد عن السبعين عامًا، فأذن لهم بالدخول، فوجدوه جالسًا على كرسي متوسط الارتفاع وعلى يمينه ويساره مساعدان جالسان على كراسي أقل ارتفاعًا من كرسى الشيخ الحاكم، وهم من أهل العلم الدارسين لعلوم القضاء وعمرهم يزيد عن الخمسين عامًا، وأمامهم في أحد جوانب الغرفة يجلس كاتبٌ يدون الجلسة والأحكام الصادرة وحولهم عدد من الجنود، بينما وقف بين يدي الشيخ الحاكم اثنان لهم مظلمة.

انتبه الشيخ الحاكم لجنود السوق وسألهم: «ما الأمر؟»، رد أحد الجنود: «لقد ضبطنا هذا اللص وهو يسرق أحد المتسوقين في السوق وقام بالفرار منا، وأخرج خنجره وأفزع الناس في السوق، وتمكنّا من إيقافه وأخذنا الخنجر من يده ولكنه لم يتمكن من السرقة»، رد الشيخ الحاكم: «سلموه إلى جنود القضاة في الخارج، لوضعه في غرفة العرض لأنظر في أمره غدًا».

قصر الوزير

ننتقل إلى قصر الوزير، حيث الوزير في غرفته مع قاسم على فراش النوم، وقاسم في أحضان أبيه يتحدث معه عن بطولاته وإنجازاته، وبينما هما هكذا طرق أحد الجنود باب الغرفة قائلًا: «المستشار الاجتماعي في انتظار وزير الواحة»، فنهض الوزير ولبس ثيابه الخاصة وخرج وجلس على كرسي الحكم يحيط به عددٌ من الجنود، قال الوزير: «أهلا مستشارنا الكريم ياسر صاحب الهمة والعزيمة»، رد عليه ياسر: «أهلا بعظمتك يا وزير الواحة»، سأله الوزير: «هل جهزت لي التقرير الشهري عن أحوال الواحة؟» مدياسر يده بتقرير كُتب على أوراق البردي مُتبعًا:

«نعم انتهيت منه اليوم وهو جاهز، تفضل يا عظمتك».

ألقى الوزير نظرة على التقرير ثم أردف قائلًا: «أتمنى أن تكون الأحوال هذا الشهر على ما يرام، ويكون سكان الواحة في حالة رضا تام»، أجابه ياسر: «كل شيء في تحسن والناس تشيد بعظمتك»، أكمل الوزير: «وماذا عن الاستعداد للاحتفال بيوم جلوسي على كرسي الحكم؟».

أجابه ياسر: «بحثت كل شيء مع القادة والحراس وشيوخ العلم وأهل العلم، وكل شيء يُرتب ويُعد ليكون حفلًا يليق بعظمتك»، قال الوزير: «عظيم عظيم، أما عن

التقرير سأقيمه بنفسي من خلال جولتي المعتادة غدًا حول الواحة لأتأكد بنفسي من كل شيء»، قال ياسر: «جولة سعيدة... اِيذَن لى بالخروج»، فأذن له.

بعد ذلك أمر الوزير بأن يرسلوا له كبير حراس القصر ثم بدأ يفتح ورق البردي ويقرأ التقرير.

حديقة القصر

خرج قاسم ليلعب مع كلبه في حديقة القصر، فقام بإخراج الكلب من قفصه الخشبي ووضع له وعاء وأشربه الماء، ثم بدأ باللعب معه، جرى قاسم سعيدًا أمام الكلب وقام ببعض الحركات التي قلدها كلبه. وعلى جانبي الحديقة توزع الجنود مرتدين زي الخدم، فهم خدم وحُراس فمنهم من يسقي الزرع، ومنهم من يسقي خيول الوزير ومنهم من ينظفها، ومنهم من يهتم بالحديقة، متسلحين بسيوف تستخدم للضرورة. وبينما قاسم يلعب مع الكلب إذ رأى طفلًا في عمره، بشرته سمراء ويرتدي ملابسًا كملابس الخدم، اقترب قاسم منه قائلًا: «أهلا، ما اسمك؟».

أجابه: «اسمي رشيد»، سأله قاسم: «أين كنت من قبل؟ أنا لم أرك إلا الآن»، رد رشيد: «قد صعدت أمي إلى السماء منذ أيام وأتى بي عمي إلى هنا حيث يعمل في إعداد طعام الخدم»، سأله قاسم: «وأين أباك؟ هل هو هنا معنا؟» رد رشيد: «لا، لقد سبق أمى وصعد للسماء وأنا رضيع»، سأله قاسم أيضا: «هل تود أن نصبح أصدقاء ونلعب معًا؟» فرد رشيد على الفور: «بالطبع فأنا أحب اللعب، ولكن أنت تلعب مع الكلب وأنا أخاف من الكلاب كثيرًا»، فضحك قاسم قائلًا: «لا تخف إنه يسمع كلامى، ويفعل مثلما أفعل، هل تحب أن ترى ذلك؟» أجابه رشيد: «نعم، فقد شاهدتك وأنت تلعب معه»، قاسم موجهًا كلامه للكلب وهو يضحك: «أمسك برشيد». قام رشيد مسرعًا بالابتعاد عن الكلب بينما ظل قاسم يضحك ثم أوقف الكلب وقال لرشيد: «تعالَ، فقط كنت أمزح معك، فلا تخف إن كلبي لا يؤذي أحدًا، رد رشيد: «لا لا، أبعِده أرجوك».

أبعد قاسم الكلب وأعطاه لأحد الخدم ليدخله قفصه، بينما قال رشيد لقاسم: «هل تلعب معي التلتاويه؟»

فقال قاسم: «تلتاويه! ماهي؟ لم ألعبها من قبل ولم أسمع عنها»، بدأ رشيد بالشرح قائلًا: «هذه لعبة ترسم على الأرض على شكل مربع أفقي يحتوي على خطين أفقيين وخطين رأسيين لتُكون عددًا من الخانات، تسع خانات يلعبها شخصان فقط أحدهما يلعب بثلاث خشبات صغيرة، والآخر بثلاثة أحجار صغيرة، فإذا تمكن أحدهما من وضع ما يلعب به في ثلاثة خانات متوازية أفقيًا أو عموديًا يصبح هو الفائز»، رد قاسم منبهرًا: «أعتقد أنها ستكون لعبة شيقة جدًا بالنسبة لي، هيا نلعبها الآن»، تحمس رشيد وقال: «انتظرني حتى أحضر ثلاث خشبات وثلاثة أحجار صغيرة الحجم من خارج القصر».

بعد فترة وجيزة، أحضر رشيد الحجارة والخشب الصغير، وقام برسم اللعبة، ثم سأل قاسم: «هل تود اللعب بالحجارة أم بالخشب؟» أجابه قاسم: «أختارُ أن ألعب

بالحجارة الصغيرة»، واستمروا باللعب وفي كل مرة ينتصر رشيد على قاسم.

وبينما هما يلعبان في حديقة القصر دخل كبير حراس القصر على الوزير، فسأله الوزير: «ما أحوال حراس القصر؟»، رد كبير حراس القصر: «رهن إشارتك يا مولاي، وفي أتم الاستعداد لحمايتكم».

سأل الوزير: «وماذا عن حراس الواحة؟»

رد كبير حراس القصر: «كنت مع قائد الحرس وأمرته بزيادة عدد الجنود على أن تكون هذه الزيادة قبل الاحتفال بيوم جلوس عظمتك على كرسي الحكم»، ابتسم الوزير قائلًا: «كلي ثقة بك وبجنودك وبقائد الحرس، ولكن أريدك في أمرٍ آخر وهو أنني أريدك بنفسك أن تعلم ابني قاسم ولي العهد من بعدي فنون القتال، أريده ماهرًا في فنون القتال وركوب الخيل أيضًا»، قال كبير حراس القصر: «أنا طوع عظمتك وعظمة ولي العهد».

استأنف الوزير حديثه: «بعد جولتي حول الواحة، ابدأ معه التدريبات في حديقة القصر، وعندما يكون جاهزًا قم بتدريبه في أماكن تدريب جنود الحرب»، قال كبير حراس القصر: «سأبذل قصارى جهدي ليصبح مقاتلًا مثل سيادتكم، ولكن اِئذَنْ لي بسؤال: لماذا تريد تدريبه في أماكن تدريب جنود الحرب؟».

أجابه الوزير: «ذلك المكان سيعلم ابني فنون القتال الصحيحة وسيعيش في كل مرة هناك تجربة الحرب، كما أنه سيرى شجاعة الجنود وذلك سيزيد من حماسه فأنا أريده جندي حرب ليكون قائدًا شجاعًا يُعتمد عليه».

سُرّ كبير حراس القصر وقال: «رائع يا وزير رائع سيصبح كما تحلم به».

جنّ الليل وهدأ القصر وأُضيئت المصابيح النارية، والحراس في الخارج يحرسون القصر، حتى حل الصباح الباكر واستيقظ الوزير وطلب من الخدم تجهيز ملابسه كي يقوم بجولته الشهرية المعتادة ليتحقق من التقارير المكتوبة له في ورق البردي الذي أعده مستشاره الاجتماعي.

ثم نادى الوزير على أحد الخدم قائلًا: «أخبروا قاسم بأن يستعد الآن ليذهب معي في هذه الجولة»، أنهى الوزير استعداده وخرج من غرفته بعد أن تهيأ وجلس على كرسي الحكم، حينها دخل عليه كبير حراس القصر قائلًا: «أرق التحيات لكبير الواحة وعظيمها، أبشركم بأن كل شيء أعد لقيام عظمتك بجولتك المعتادة حول الواحة»، فقال الوزير: «وأنا على أتم الاستعداد وسآخذ قاسم معى هذه المرة»، تفاجأ كبير حراس القصر قائلًا: «أمر رائع حقًا، وستكون جولة سعيدة لولي العهد، فهذه أول مرة سيخرج معنا في جولتنا المعتادة».

قال الوزير: «من اليوم فصاعدًا سوف يكون معي لحظة بلحظة، كي تتشكل شخصيته ويتعلم المزيد من الخبرات ليكون جديرًا بأن يكون وزيرًا وقائدًا من بعدي».

وبينما هما يتحدثان دخل عليهم قاسم؛ فأمر الوزير بالتحرك. فتقدمهم كبير حراس القصر ثم وقف الوزير على باب القصر ليرى بنفسه العجلة الحربية الخاصة به وهي تُعطر وتُبخر، ثم بعد ذلك خرج. وعندما خرج، قام برفع ابنه قاسم أولًا على العجلة الحربية، ثم ركب هو، بينما كبير حراس القصر ركب عجلة حربية أخرى، وأعطى إشارة لبعض الجنود بأن يكونوا خلفهم والبعض الآخر أمامهم، ثم أعطى إشارة ببدء التحرك، وبدأ الموكب يسير وسط هتافات الناس «يحيا وزير الواحة وكبيرها، يحيا راعي الأمن، يحيا عظيم الواحة».

و بينما هم كذلك، سأل كبير حراس القصر الوزير: «إلى أين سنتجه أولًا يا عظمتك؟» رد الوزير: «إلى بيت عداد المال أولًا»، ثم قال الوزير موجهًا حديثه لقاسم: «انتبه جيدًا للأمور التي أفعلها يا قاسم؛ فغدًا ستكون ولي العهد من بعدي يشيد بك الناس»، رد قاسم: «العمر الطويل لك يا والدي العزيز»، ابتسم له الوزير وقبله على رأسه.

اقترب الموكب من بيت عداد المال وهو بمثابة خزانة الواحة، أخبر أحد حراس بيت عداد المال محاسب المال _وهو المسئول الأكبر عن أموال الواحة_ بأن الوزير قادم إليهم، فقام محاسب المال وخرج ليستقبل الوزير ومن معه.

بيت عداد المال

وعندما وصلوا لبيت عداد المال، قال محاسب المال: «تشرفنا بقدومك وقدوم من معك، تفضل يا وزيرنا»، فدخل الوزير وقاسم ومعهم كبير حراس القصر وانتظر الجنود خارجًا.

رحب محاسب المال بالوزير قائلًا: «سعدنا بزيارة ولي العهد... مُرنا يا وزير الواحة، عن ماذا تود أن تستعلم؟»

قال الوزير: «أعطني دفتر مصروفات القصر»، فأعطاه دفترًا كبير الحجم مصنوع من ورق البردي، وضعه الوزير أمامه ونظر فيه لمدة من الوقت وقال: «من ساعدك هذا الشهر يا محاسب المال؟ فقد انتهيت من تسجيل كل شيء عكس الشهور السابقة و كنت تشكوا من قلة الوقت وتحتاج أشخاصًا للعمل معك»، أجابه محاسب المال: «لقد جلبت أمهر الخرجين من مدارس الواحة المتفوقين في علم الحساب لمساعدتي»، قال الوزير: «كما أرى فإن كل شيء على ما يرام، وموافق للتقارير ولكن هل مستشاري المالي يتابع معك باستمرار؟» رد محاسب المال: «نعم باستمرار ويأخذ التقارير يومًا بيوم ويراجع الحسابات معنا».

استأنف الوزيرحديثه سائلًا محاسب المال: «وماذا عن دخل الواحة أعطني دفتره؟»

فقام محاسب المال بإعطاء الدفتر للوزير، وبعد قراءة الدفتر لفترة من الوقت قال الوزير: «أمرعظيم فقد زاد دخل الواحة عن الشهور السابقة، هل تفسر لي ما سبب هذه الزيادة؟»

رد محاسب المال: «السبب هو زيادة عدد البائعين من الواحات المجاورة، فقد دفعوا الضريبة المستحقة، أيضًا توسعة السوق جلبت عددًا آخر من بائعين الواحة، وهذا

من فضل عظمتك»، سأله الوزير: «وماذا عن ميزانية الواحة التي سنأخذ منها للاستعداد للاحتفال بيوم جلوسي على كرسي الحكم؟» أجابه محاسب المال: «الميزانية بها فائض وتتحمل الاحتفال ويزيد ولا نحتاج إلى أي شيء»، الوزيرمبتهجًا: «أمرٌ عظيمٌ، فأنا أشعر بسعادة لا توصف فذلك المال سيعود بالنفع على الجميع».

ثم خرج الوزير ومن معه آمرًا بالتحرك نحو سوق الواحة، وتحرك الموكب وسط ترحاب الناس حتى اقتربوا من سوق الواحة المزدحم بالبائعين وبالمتسوقين.

سوق الواحة

عندما وصل الموكب، خرج أمين السوق ليستقبل وزير الواحة بعد أن أبلغه أحد الجنود بقدوم الموكب، فخرج مرتديًا زيه الرسمي ورحب بالوزير قائلًا: «تشرفنا بزيارة سيادتكم تفضلوا بالدخول إلى غرفة الأمين»، وبعد أن دخلوا وجلسوا سأل الوزير: «كيف حال سوق الواحة وهل كل شيء على ما يرام؟» أجاب أمين السوق: «بفضل سيادتكم التوسعة الجديدة زادت من عدد البائعين؛ مما قلل سعر بعض السلع وزاد التنافس بين البائعين، ولم تحدث أي مشكلة معهم على الإطلاق، وجميعهم دفعوا الضرائب وسلمناها إلى بيت عداد المال، ولاحظنا علامات الرضا على الناس والبائعين وهم فرحين من كثرة توافد الناس عليهم»، ابتسم الوزير ثم قال: «شيء مفرح جدًا أن يشعر الشعب بثمار النجاح وأن نخفف عنهم متاعب الحياة، ولكن ماذا عن المنافسات الشعرية والأدبية والمبارزات السلمية؟».

رد أمين السوق: «زيادة أعداد الناس شجع على التنافس، وقمنا مؤخرًا بعمل مسابقة بين شعراء الواحة وشعراء الواحات الأخرى وكان عدد الحضور كبيرًا جدًا».

سأل الوزير بعد ذلك عن حالات السرقة وهل حدث شيء منها، فأجابه أمين السوق: «في الحقيقة حدثت حالة سرقة بالأمس، وقمنا بإلقاء القبض على اللص وسلمناه إلى بيت الشيخ الحاكم لينظر في أمره»، وقف الوزيرغاضبًا: «الويل للصوص مني، فقد حذرت مرارًا وتكرارًا من ذلك، واتفقنا على مضاعفة العقوبة مع الشيخ الحاكم، ومع ذلك ما زال بعض الأشخاص يسرقون»، فقال كبير حراس القصر: «أشعر بأنهم مرضى بحب المال، فنحن لا نقصر في حق أحد، ونعطي حقوق الناس أكثر من أي واحة أخرى، ولكن لديهم طمع دائم غير مبرر فهم مرضى».

الوزير غاضبا: «بل مجرمون وعلينا تعنفيهم، سنذهب إلى بيت الشيخ الحاكم الآن هيا».

تحرك الموكب متجهًا إلى بيت الشيخ الحاكم، وعندما اقترب الوزير لم يخبر أحدًا من الجنود الشيخ الحاكم بقدوم الوزير، وذلك الأمر اعتادوا عليه لرفع شأن الحكم والقضاة.

بيت الشيخ الحاكم

وصل الوزير ومن معه واستأذن أحد الجنود ليدخل على الشيخ الحاكم، فدخل الجندي للشيخ الحاكم قائلًا له: أرق التحيات على شيخنا القاضي، فقد وصل وزير

الواحة وهو يستأذن بالدخول.

الشيخ الحاكم: اسمح له بالدخول إلى حرم القضاة.فدخل الوزير وابنه قاسم وكبير حراس القصر فقط، فوجدوا الشيخ الحاكم جالسًا على الكرسي وعلى يمينه ويساره المساعدان وأمامهم الكاتب وبعض الجنود واثنين لهم مظلمة عند الشيخ الحاكم.

فقال الشيخ الحاكم: أهلًا بولي أمر الواحة ووزيرها.

الوزير: أطيب التحيات للشيخ الحاكم قاضي الواحة العظيم.

الشيخ الحاكم: تفضل بالجلوس يا وزير، وأهلا بقدوم ولي العهد.

الوزير بعد أن جلس قال: علمت أن هناك حالة سرقة حدثت بالأمس في سوق الواحة وأريد معرفة حكمك على اللص، فهل حكمت عليه أم ما زال بالانتظار؟

الشيخ الحاكم: ما زال اللص بالانتظار وأمامه اثنان فقط ويأتي دوره، وأعلم أنك تغضب لحدوث جريمة وتزداد غضبًا عندما تكون حالة سرقة، ولكن الحياة لن تكون على وتيرة واحدة فلا بُد من وجود خيرٍ وشر.

الوزير: بالفعل لا بُد من موجود الخير والشر إلى أن تنتهى الحياة... ولكن اسمح لى بحضور الجلسة لأنني أريد أن أتابعها بنفسي.

الشيخ الحاكم: لا عليك فأنت ومن معك لستم بخصوم حتى أجنبكم الحضور.

وتابع الشيخ الحاكم حديثه مع من لهم مظلمة قائلًا: «حكمت وبالإجماع أن يعطي حازم دهشان لطليقته فاطمه بنت الميسر عشرين عملة معدنية شهريًا حتى تستطيع أن تُعلم وتنفق على ابنتها وردة حازم دهشان، ويُسلم المال إلى خزينة بيت الشيخ الحاكم شهريًا، وفي حالة الامتناع يغرم حازم دهشان ب٢٠٠ من المعادن، على أن يُعطى نصفهم لطليقته والنصف الآخر يذهب لخزينة بيت عداد المال، ويلزم بدفع ما اتفقنا عليه في الجلسة. والغرامة لا تعافيه من عدم الدفع شهريًا في حالة الامتناع، وانتهت الجلسة والله الموفق والمستعان».

الوزير: أنصفت يا شيخنا في هذه الجلسة، ولكن هل حدثت أية حالة سرقة أخرى هذا الشهر؟

الشيخ الحاكم: نعم، حدثت حالة واحدة فقط حيث سرق ابنٌ مالَ أبيه، وقد اتهم الأب أخيه، ثم تبين أن ابنه هو السارق، وحالة اليوم التي سوف أنظر في أمرها، ولكن عليك الانتظار فهناك حكم من لهم مظلمة قبله.

انتظر الوزير حتى أتى دور لص السوق وبدأت الجلسة، أدخل أحد الجنود اللص أمامه بعدما طلب منه الشيخ الحاكم الدخول إلى حرم القضاة.

قال الشيخ الحاكم للص: «قل لي لماذا سرقت؟ ولماذا لم تطلب العمل بدلًا من السرقة؟ فالوزير لا يقفل بابه أمام أحد فلماذا السرقة يا هذا؟» أجابه اللص: «المال قد عاد للشخص مرة أخرى، وأنا لم أكن أنوي السرقة، فالسماح والعفو يا وزير الواحة»، صاح الوزير منفعلًا: «اخرس يا مجرم، لا تحدثني في ساحة القضاة،

فالأمر بيد الشيخ الحاكم وليس أنا»، رد اللص بصوت عالي مضطرب: «معذرةَ ولا أكرر مثل هذه الأفعال مرة أخرى، بل أفرِجوا عني ولن أعود لفعلتي مرة أخرى، أرجوكم»، فقال الشيخ الحاكم: «اصمتَ ولا تتحدث إلا بالطلب، ولا تنبح مثل الكلاب هكذا وإلا ضاعفت عليك العقوبة، فأنت متهم أيضًا بإشهار خنجرك وترويع الناس في السوق، لكن أخبرني هل لديك شركاء لصوص من أمثالك؟» فقال اللص: «لا لا لا يوجد، ولن أعود لفعل هذا مرة أخرى».

طرق أحد الجنود الباب قائلا: «إيذَنْ لي بالدخول يا شيخنا فهناك شخص قدم شكوي بأنه سُرِق بالأمس في السوق فهل أدخله أم أتركه يذهب؟»، رد الشيخ الحاكم: «لا بل أدخلَه الآن».

حين دخل الشخص المسروق قال له الشيخ الحاكم: «هل تقول بأنك سُرقتَ بالأمس في السوق؟»، أجابه: «نعم يا شيخنا سُرقت ولم أعلم بالسرقة إلا ليلة أمس، فقد كنت ذاهبًا لشراء شيء فوجدت المال قد نقص، وعندما تيقنت أنني سُرقت جئت إلى هنا»، فقال الشيخ الحاكم: «انظر إلى هذا اللص، هل هو الذي سرقك؟» فنظر الشخص المسروق لثواني إلى اللص ثم قال: «لا لم أره من قبل، ولم أرَ السارق أيضًا»، سأله الشيخ الحاكم: «كم سُرق منك؟»، أجابه: «سُرق مني عشرين معدن»، قال الشيخ الحاكم مطمئنًا: «ثق بالله أننا سنُرجع لك مالك، وسنعاقب السارق على فعلته، اذهب أنت».

بعدها توجه الشيخ الحاكم للص قائلًا: «الآن أصبح لديك جريمتان وستعاقب عقابًا شديدًا وستعمل في سجنك حتى ترد المال أو الأموال التي سرقتها»، رد اللص بهلع: «لا، لم أقم بسرقة أحد ولا أعلم عن أمر هذا الرجل إطلاقًا»، فأجابه الشيخ الحاكم: «لا يوجد سارق بالأمس في السوق غيرك، فإما أن تسجن وتعاقب على الجريمتين عقابًا شديدًا وتعمل طوال سجنك، وإما أن تعترف بمن كان معك وتوزع العقوبة عليكم».

وشى اللص بشركائه قائلًا: «سأقول الحقيقة، كان معي اثنين ولكن حين دخلنا السوق تفرقنا ولا أعلم ماذا فعلوا»، طلب منه الشيخ الحاكم أن يصِفهم وصفًا دقيقًا وأن يخبره بأسمائهم، فقال اللص: «الأول كان طويل القامة ولديه علامة في خده الأيسر وهو أقرع الرأس، والثانى من الأقزام وبشرته سمراء، الطويل اسمه جوده والقزم اسمه سماره»، بعدها سأله الشيخ الحاكم: «هل تعلم أين هم الآن؟» فقال اللص: «لا أعلم ولكنهما باستمرار يتواجدان على مقهى رمال الواحة الموجود ناحية غرب الواحة».

نادى الشيخ الحاكم أحد الجنود من الخارج وقال له: «خذ هذا اللص واحتفظ به في قاعة الانتظار حتى يأتي أصدقاؤه اللصوص»، قال الوزير: «لعنة الله على اللصوص والمخربين»، قال الشيخ الحاكم: «سنرسل إلى صاحب الأمن أسماءهم وصفاتهم ونبلغه بالقبض عليهم وتسليمهم إلى بيت الشيخ الحاكم وسنعاقبهم على فعلتهم أيها الوزير»، رد الوزير: «وفقكم الله، وأعانكم على حفظ العدل في واحتنا الكريمة»، الشيخ الحاكم: «وفقك الله على إدراة الواحة ورفعة شأنها، سنرسل خطابًا

رسميًا إلى صاحب الأمن الآن»، استأذن الوزير قائلًا: «وأنا سأكمل جولتي حول الواحة».

ولكن قبل أن يذهب الوزير أبلغ أحد جنود بيت الشيخ الحاكم بأن هناك بائع من سوق الواحة يقول أنه سُرق بالأمس في السوق فقال له الشيخ الحاكم: «لا تقلق، فقد اتضح الأمر، وسنمسك باللصوص وما سُرق منك سوف يرد لك».

ساحة جنود الحرب

ثم انطلق الوزير ومن معه متجهين نحو ساحة جنود الحرب وهى ساحة كبيرة ومغلقة حيث يتدرب الجنود فيها على القتال وفنون الحرب، وقائد الحرس هو من يدربهم على الحرب ولها مدخل كبير ذو بوابة ضخمة أمام هذا المدخل وقف بعض الجنود، وبها أبراج عالية يعلوها بعض الرماة، والأسوار عليها بعض الرماة والجنود مستعدين للقتال في أي وقت، وعندما أتى الوزير ومن معه تقدم كبير حراس القصر وابتعد عن الموكب متجهًا نحو الساحة، فقام الجنود بفتح البوابة وأطلقوا صوت الأبواق وصوت الأجراس، وكان هذا المعتاد للترحيب بقدوم الوزير وتوقف الجميع عن التدريب. وعندما فُتحت البوابة وانطلقت الأصوات رجع كبير حراس القصر خلف الوزير وتحرك الموكب نحو الساحة ودخلوها وسط أصوات الأبواق التي كانت تعلو شيئًا فشيئًا، حتى نزل الوزير من على عجلته الحربية واستقبله قائد الحرس قائلًا: «تشرفنا بقدوم وزير الواحة وعظيمها»، ثم جلس الوزير على منصة تعلو قليلا عن سطح الأرض، وقال قائد الحرس للجنود: «ابدأوا بالتحية الرسمية لوزير الواحة»، فاصطف جميع الجنود في صفوف متوازية وأدوا التحية الرسمية وهي عبارة عن وضع اليد اليمنى على أعلى الصدر وتحريكها ثلاثة مرات بالابتعاد والرجوع نحو الصدر، ثم أنشدوا النشيد الرسمي لواحة الغربان، وحينها وقف الجميع ما عدا قاسم لم يقف، فأخذ الوزير بيده وجعله يقف وأنشدوا جميعهم النشيد الرسمي بصوت عالٍ جدًا، وكانت كلمات النشيد «رجال بواسل فداء الواحة، أرواحنا تزهق في سبيل أمننا، والحفاظ على أهلنا، ودفاعًا عن أرضنا، لا للجبن نحن شجعان.» وبعد الانتهاء من إلقاء النشيد بدأ قائد الحرس بإعطاء الأوامر للجنود باستعراض أنفسهم أمام الوزير، حياهم الوزير وشدد علي أن يكونوا دائمًا في أتم الاستعداد للدخول في الحرب، همس الوزير لابنه قاسم قائلا: «هذا المكان سوف تتعلم فيه فنون القتال وسط هؤلاء الشجعان، وكبير حراس القصر سوف يدربك في القصر منفردًا ثم ستتدرب هنا حتى تكتسب القوة والشجاعة من هؤلاء الأبطال».

ثم قال الوزير لقائد الحرس: «أخبرني عن آخر الاستعدادات»، فقال قائد الحرس: «خلال أيام سوف نختبر عددًا من الأشخاص ليكونوا دعمنا لنا حتى نؤمن يوم الاحتفال بجلوس عظمتك على كرسي الحكم والجنود في أتم الاستعداد»، فقال الوزير: أخبِر مستشاري المالي بعدد الجنود الجدد لعمل ميزانية جديدة.

صاحب الأمن..

وبينما هما يتحدثان استلم صاحب الأمن رسالة من رسول الشيخ الحاكم، وعندما قرأها كتب منشورًا لأحد الجنود وقال له: «أرسِل هذا المنشور للجنود الواقفين على مداخل الواحة، والمنشور به صفات لِصّين إن عثرواعليهم يمسكوهم في الحال ويسلموهم لبيت صاحب الأمن»، ثم أخذ صاحب الأمن مجموعة من الجنود وتوجه نحو مقهى رمال الواحة حيث الناس جالسين على المقهى واللصين جوده وسماره جالسين أيضًا يتحدثان بصوت منخفض. فقال سماره لجوده: «لماذا لا تريدنا أن نهرب بعد أن سُجن مسعود، أظن أنه سيخبرهم عنّا». أجابه جوده: «لا أعتقد ذلك، كما أنه لم يشاهدنا أحد ونحن نسرق»، قال سماره: «ولكن الخوف كل الخوف من مسعود»، طمأنه جوده قائلًا: «لا تخف فمنذ إلقاء القبض على مسعود وأنت كثير الكلام وهذا قد يفضحنا، كما أنه لم يحدث شيء حتى الآن، وربما هروبنا يجعل الشك يدور حولنا، وسوف يخبر الوزير باقى الواحات بأسمائنا وصفاتنا لإلقاء القبض علينا».

بعدها توقفا عن الكلام للاستماع لأحد شعراء المقهى الذي قام بإلقاء أنشودة صغيرة كلها طرب دون وجود أي راقصات طبقًا لتعليمات وزير الواحة، لأن من يخالف ذلك يتعرض للعقوبة الشديدة، وبعد الانتهاء من الأنشودة أصبح صاحب الأمن وجنوده على مسافة قريبة من المقهى، وحين رأى اللصان رجال الأمن داخلين عليهم. قال سماره لجوده: «ألم أقل لك بأن مسعود سيخبرهم عن أمرنا»، ثم لاذوا بالفرار مبتعدين. لاحظهم صاحب الأمن فقال لجنوده: «الحقوا بهم بسرعة» وبدأت المطاردة، بعض الجنود يطاردون اللص القزم سماره والبعض الآخر يطاردون اللص الطويل جوده. دخل اللص القزم شارعًا جانبيًا به بعض الجنود حيث قاموا بإلقاء القبض عليه وسلموه للجنود الذين يطاردونه. صاح اللص بصوت عالٍ: «لم أفعل شيئًا، لم أفعل شيئًا، اتركوني»، وذهب به الجنود إلى بيت صاحب الأمن. أما اللص الآخر فقد كان صاحب الأمن وعدد من الجنود يلحقون به حتى تسلق اللص حائطًا وفر مسرعًا. فتسلق صاحب الأمن نفس الحائط وقام بالجري خلفه، ودخل اللص في عدد من الشوارع حتى تمكن صاحب الأمن من الإمساك به. وقال للّص: «أتهرب مني يا جبان؟» وأعطاه إلى جنوده وقال لهم: «خذوه إلى بيت الشيخ الحاكم»، وبعدها كتب تقريرًا للشيخ الحاكم بما حدث وذهب بنفسه ومعه عدد من الجنود لنقل اللصين بعربة نقل المجرمين_ وهي عربة خشبية مقفولة ولها باب للركوب_ وأمام هذا الباب يجلس اثنين من الجنود والعربة يجرها حصان ويقوده شخص ليس من الجنود، ولها أربع إطارات وهي مخصصة لنقل السجناء ومن عليهم أحكام إلى بيت الشيخ الحاكم، وسلمه اللصين والتقرير. شكر الشيخ الحاكم صاحب الأمن وقال له: «أعانكم الله على حفظ أمن الواحة» وتم وضع اللصين في غرفة الانتظار مع اللص الثالث حتى يأتي دورهم.

ننتقل إلى الوزير حيث خرج من ساحة جنود الحرب، فقال له كبير حراس القصر: «هل ستذهب اليوم إلى بعض حلقات العلم أو حلقات الشعر أم تحتاج إلى المزيد من الراحة على أن نكمل جولتنا غدًا؟»، أجابه الوزير: «نعم سنكمل جولتنا الأخيرة غدًا فى الصباح الباكر».

فقام كبير حراس القصر بإعطاء إشارة بالانطلاق وقال: «فلنذهب إلى قصر وزير الواحة وكبيرها»، فقال الوزير: «لا لن نذهب إلى القصر، بل أشتاق إلى زيارة مكان آخر»، ثم نظر إلى قاسم وقال له: «هل تحب أن تذهب إلى أمك يا قاسم؟»، فقال قاسم: «نعم أبي أشتاق إليها، فهي تأتي لي في الحلم وتلعب معي»، قال الوزير لكبير حراس القصر: «إذًا سنتجه إلى الغرب حيث أرض الموتى»، فصاح كبير حراس القصر بصوت عالٍ: «غيروا الاتجاه إلى الغرب حيث أرض الموتى».

بيت الشيخ الحاكم

ثم ننتقل إلى بيت الشيخ الحاكم، حيث انتهى الشيخ الحاكم من جلساته وتبقى له جلسة الثلاثة لصوص، فأرسل أحد الجنود لإحضارهم وحين مثلوا أمامه في حرم القضاة قال الشيخ الحاكم للكاتب: «ابدأ بالتدوين الآن»، بدأ الشيخ الحاكم جلسته بقراءة التقرير الذي أرسله صاحب الأمن، ثم وجه حديثه للصوص قائلًا: «أتعلمون عاقبة الفرار من الأمن غير أنكم لصوص، أي لديكم عقوبتان، فتكلموا لماذا سرقتم أولًا.» فقال اللص جوده: «كنا بحاجه للمال، ولكن لن نعود مرة أخرى للسرقة.» فقال الشيخ الحاكم: «هل احتياجكم للمال يبرر لكم سرقة الناس؟»، فقال اللص مسعود: «لا لن نفعل ذلك مرة أخرى سيدي القاضي».

تداول الشيخ الحاكم القرارَ بصوت غير مسموع مع مساعديه لفترة من الوقت ثم قال: «قررنا نحن وبالإجماع على معاقبة اللصوص الثلاثة بالجلد في الساحة العامة للعقاب، على أن يُجلد كل منهم ٣٠ جلدة، ويحكم عليهم بالسجن أربعة أشهر مع العمل لصالح خزينة الواحة، وإلزام وزير الواحة وبيت عداد المال بتوفير عمل مناسب لهم بعد قضاء فترة العقوبة، كما يحكم على اللصين جوده وسماره بدفع مبلغ نظير ما سرقوه، ويُرد المبلغ للمسروقين، ويدفع اللص جوده مبلغ ١٠ معادن نظير ما فعله في صاحب الأمن، ويرسل هذا المبلغ إلى صاحب الأمن على أن يضعهم في خزينة سجن الواحة ليُصرف على احتياجات المساجين من مأكل ومشرب وملبس، كما يرسل اللصوص الثلاثة إلى السجن حتى يأتي دورهم في الجلد في الساحة العامة للعقاب».

فاعترض اللصوص وقالوا: «خفف عنّا يا شيخنا ولن نعود إلى مثلها أبدًا»، فأكمل الشيخ الحاكم حديثه قائلا: «وإن عادوا إلى السرقة مرة أخرى يطردوا من الواحة ويتحفظ على بيوتهم وبيعها ووضع مالها فى بيت عداد المال، انتهت الجلسة»، ثم أعد تقريرًا من نسختين وأمر أحد الجنود بإرساله إلى صاحب الأمن وإلى وزير الواحة لما أبداه من اهتمام بشأنهم، ثم أمر بعض الجنود بنقل اللصوص إلى السجن. وعندما وصل اللصوص إلى صاحب الأمن أمر جنوده بزجهم في السجن، وقال للصوص: «أنتم ستتعلمون الأخلاق والانضباط هنا، كما أنكم ستتقنون حرفة تختارونها أنتم لأنفسكم داخل السجن».

أرض الموتى

ننتقل إلى وزير الواحة حيث وصل إلى أرض الموتى غرب الواحة، وهي أرض كبيرة يدفن فيها جميع موتى الواحة ويغطون بالتراب، ويوضع حجر كبير على

رأس المتوفى يكتب عليه اسمه ويوم وفاته. فسلم الوزير على أموات الواحة قائلا: «غفر لكم جميعًا فنحن لاحقون بكم»، ورددها الجميع بعده، ثم اقترب من قبر زوجته وأبيه وهم بجوار بعضهم، فعانق قاسم قبر أمه قائلا: «أمي أمي هيا العبي معي»؛ فدمع الوزير دمعة بسيطة، واتجه إلى قبر أبيه، وقف أمام القبر يقول: «أنا يا أبي ما زلت على العهد لا أظلم أحدًا، ولا أفرق بين أحد، وأرعى الأمن وأحفظ كرامة العلم والعلماء وشيوخ الواحة، وقاسم ابني سيكون إن شاء الله على العهد أيضًا؛ فسأعلمه كما علمتني وجعلتني قائدًا أرعى مصالح الناس بالعدل، رحمك الله يا أبي»، ثم عاد إلى قبر زوجته وأوقف قاسم قائلًا «إذا كنت تحب أمك فأمك كانت تحلم بأن تكون قائدًا عظيمًا شجاعًا مقاتلًا لا تظلم أحدًا، فهل تستطيع أن تكون مثلما كانت تحلم أمك بك؟

فقال قاسم: نعم يا أبي، أستطيع.

ثم اقترب الوزير من قبر زوجته قائلا: لا تقلقي، فقاسم شجاع وسيكون وليَ العهد من بعدي

قاسم: هل هي تسمعنا يا أبي؟

الوزير: نعم، تسمعنا وتشعر بنا.

قاسم باكيًا: فلماذا لا ترد إذًا علينا؟

الوزير: ألم تأتِ لك في الحلم وتلعب معك كل يوم؟

قاسم: نعم تلعب معي وتحضنني أيضًا.

الوزير: هكذا يلكمنا الأموات يا قاسم.

ودمع أيضًا، ولكن سرعان ما مسح دمعته بعد أن سالت على خده، وقال لقاسم: «هيا ودّع أمك وجدك»، فاصطفوا ومن خلفهم كبير حراس القصر وبعض الجنود واضعين أيديهم على بطونهم قائلين: «نستودعكم الله ونطلب من الله أن يرحمكم ويغفر لكم وأن يجعلكم في مكانة عالية إلى اللقاء ولنا عودة قريبة».

وبدأوا في ركوب العجلات الحربية، وقال كبير حراس القصر: «هيا سنتجه إلى قصر وزير الواحة»، وبينما هم في الطريق صار الوزير يكلم قاسم ويشجعه حتى رأى الوزير مقهى رمال الواحة فقال الوزير لكبير حراس القصر: أليس المقهى هذا هو المقهى الذي يجلس عليه اللصان؟

فقال كبير حراس القصر: نعم، هذا هو المقهى الذي وصفه صاحب اللصين.

الوزير: آمُل أن يكون صاحب الأمن استطاع الإمساك بهم.

واستأنفوا مسيرهم نحو القصر ودخل الوزير القصر وقال: «سأذهب لغرفتي بعض من الوقت لأريح جسمي قليلا، فلا أريد الإزعاج»، بينما ذهب قاسم إلى حديقة القصر ونادى على صاحبه رشيد ليلعب معه، نادى عليه: «رشيد أين أنت يا رشيد؟» فخرج رشيد قائلًا: أنا هنا في انتظارك.

قاسم: هيا بنا نلعب التلتاويه فأنا عازم على هزيمتك.

رشيد: لا أعتقد ذلك، ولكن هيا أرِني إن استطعت.

وبدأوا في اللعب، وغلب رشيد قاسم بوضعه في مأزق الهزيمة من الاتجاهين، فقد وضع الخشب في اتجاهين وبينهم فراغ، فإذا قام قاسم بسد خانة من الفراغ هزمه رشيد من الخانة الأخرى، فقال له قاسم: «هذه طريقة رائعة فعلًا، أن تلعب على الاتجاهين وليس اتجاه واحد، فلنلعب دورًا آخرًا»، وشرعوا في اللعب ولكن انتصر رشيد كثيرًا على قاسم حتى تمكن قاسم من هزيمة رشيد عن طريق مأزق الهزيمة من الاتجاهين، فرح قاسم بذلك وقال لرشيد: «أخيرًا استطعت أن أهزمك ولو مرة ولكن نوقف لعب التلتاويه ونلعب مع كلبي»، أخرج قاسم كلبه وظلوا يلعبون في حديقة القصر.

وبينما هما يلعبان استيقظ الوزير وجلس على كرسي الحكم ودخل عليه كبير حراس القصر قائلًا: «حياك الله يا وزيرنا»، الوزير: «حياك الله، ما الأمر؟»، قال كبير حراس القصر: «لقد جائني تقرير من الشيخ الحاكم أثناء راحتك وقد استلمته، وهو يحمل بشرى سارة»، قال الوزير مبتسمًا: «قد حُكم على اللصوص إذًا»، قال كبير حراس القصر مبتسما: «بالفعل يا وزيرنا فقد حكموا عليهم، وسيجلدوهم في الساحة العامة للعقاب»، قال الوزير: «عظيم، أعطني التقرير».

صار الوزير يقرأ حتى ابتسم قائلا: سوف أحضر يوم العقاب على اللصوص بنفسي في الساحة، أرسِل تقريرًا إلى صاحب الأمن ومسؤول الساحة العامة للعقاب، أخبِرهم بأنني سوف أحضر بنفسي تنفيذ العقاب على اللصوص الثلاثة.

كبير حراس القصر: وماذا عن جولتنا غدًا؟

الوزير: سأقوم بها بالطبع، وأبلِغ مسؤول الساحة العامة للعقاب إذا كان موعد عقاب اللصوص الثلاثة غدًا فليؤجل لبعد غدٍ.

كبير حراس القصر: سأرسل لهم التقرير الآن، اِئذَنْ لي بالخروج.

الوزير: تفضل بالخروج، وتذكر بعد الانتهاء من جولتي ستقوم بتدريب قاسم، وسأشرف بنفسي على هذا التدريب.

كبير حراس القصر: «أنا طوع أمرك، وسأجعل من قاسم قائدًا تفخر به فى شتى أنواع الفنون القتالية». وظل الوزير يقرأ في التقرير وينظر في تقارير أخرى حتى أتى الليل وذهب إلى غرفته، ونظر من الشباك إلى السماء وبدأ يتأمل فيها مناجيًا ربه قائلا: «أعني يا الله على الحكم، وأبعد عني شرور نفسي»، ثم غلبه النوم فحلم بأنه يمشي ليلا في ظلام شديد ورياح شديدة حتى أسقطته الرياح في بحر به ماء فتغير لون الماء إلى لون الدم، ورأى قاسم يجري بعيدًا عنه ومعه شخص غير معروف، فظل ينادي صارخًا: «ابني قاسم» عدة مرات وقاسم مع الشخص يبتعد عنه ويصرخ: «أبي أبي».

استيقظ الوزير فزعًا على صوت طرقات الباب، أحد الجنود يقول: «الموكب في الانتظار يا سيدي الوزير»، فقام واستعد ليقوم بجولته الأخيرة حول الواحة، وقبل الخروج من القصر أخبر كبير حراس القصر بالحلم الذي رآه، فقال له كبيرحراس القصر: «هذا فقط من قلقك على قاسم فأنت تريده قائدًا عظيمًا فلا تخف، هذا مجرد حلم ولن يحدث مكروه له»، رد الوزير: «آمُل أن يكون هكذا فحسب».

ثم صعدوا على عجلاتهم الحربية فقال الوزير: «اذهبوا إلى شرق الواحة حيث حلقات العلم»، فتوجهوا إلى الشرق ودخلوا شارعًا يسمى شارع حلقات العلم حيث يكثر فيه طلبه العلم من مختلف الأعمار، وتوجد فيه أماكن لبيع الكتب وأماكن لنسخ الكتب، وأيضًا يوجد بعض الجنود لحماية الطلبة وشيوخ العلم، فنزل الوزير ومن معه في بداية الشارع احتراما لمكانه أهل العلم، فهو اعتاد على فعل ذلك، وبدأ في المشي وسط تبادل إلقاء التحية، حتى التقاه بشيخ شيوخ العلم هو المسؤول الأكبر عن المقبلين على العلم وأهل العلم جميعًا؛ فهو يلبي احتياجتهم ويصرف لهم رواتبهم بمساعدة أحد المحاسبين التابع لبيت عداد المال.

رحب الشيخ بالوزير قائلا: أرق التحيات بقدوم وزير الواحة إلى أهل العلم.

الوزير: الفخر كل الفخر يا شيخ الشيوخ، يا قائد نهضه العلم.

ثم جلسوا بجوار بعضهم البعض في بيت شيخ الشيوخ وهو مبني على ارتفاع يبعد عن سطح الأرض قليلا، وهو أعلى بيت في شارع حلقات العلم، ثم قال شيخ الشيوخ لقاسم: «تحياتي لولي العهد، كيف حالك مع الشيخ السمري؟» فقال قاسم: «أفعل ما يطلبه مني، ولا أقصر في واجباتى»، فقال شيخ الشيوخ: «عظيم يا قاسم، اجتهد حتى تصبح في درجة عالية.

ثم قال الوزير: كيف حال أهل العلم؟ هل راضون أم لديكم أي مظلمة تود أن تفصح عنها؟

شيخ الشيوخ: لا فجميعهم راضون، ونحن ندعمهم ونشجعهم على طلب العلم بصرف المزيد من المكافآت، واللين في المعاملة وتحمل مشاكلهم الشخصية حتى يبذلوا قصارى جهدهم في طلب العلم لرفع شأن الواحة.

الوزير: عظيم يا شيخ الشيوخ، فالتحلي بالصبر مع المقبلين على العلم يجعلهم لا ينفرون منه وينشئ أجيالا محبة للعلم، فشدد على أهل العلم بأن الهدف أن يصبح أهل الواحة جميعهم محبين للعلم ومقبلين عليه.

شيخ الشيوخ: بالفعل أشرف بنفسي على هذا، وأعاقب من يخالف ما اتفقنا عليه، وأخصم من رواتبهم، والرسالة التى أرسلتها لنا أخبرت بها الجميع وتُنفذ على أكمل وجه.

الوزير: اكتب لي بعض أسماء المجتهدين في طلب العلم علي أن أكرمهم في يوم الاحتفال بجلوسي على كرسي الحكم.

شيخ الشيوخ: سأرسل لك تقريرا قريبًا يا وزير.

ثم مضى الوزير ومعه شيخ الشيوخ وبعض من أهل العلم حتى ركبوا عجلاتهم الحربية وانطلقوا وودعهم الوزير ومن معه، ثم أمر الوزير بالاتجاه نحو بيت الدواء وبيت الشفاء المتجاورين.

بيت الدواء وبيت الشفاء

عندما وصل الوزير ومن معه ذهب أولًا إلى بيت الدواء، فاستقبله مستشاره العلاجي حيث يشرف على أعمال الدواء، ورحب به. رد الوزير التحية وسأله: «كيف حال بيت الدواء وأهل الدواء؟»

أجاب المستشار العلاجي: «كل شيء يسير بشكل طبيعي، فبعد أن قرر سيادتكم زيادة ميزانية المال للصرف على الدواء، لا توجد أية احتياجات أخرى لدينا حتى الآن»، قال الوزير: «كُلي أمل أن يتوصل الباحثون إلى اكتشافات جديدة وعلاجات لأمراض لم يتمكن أحد من علاجها إلى الآن، لأن ذلك قد يزيد من دخل الواحة حيث سيأتى الجميع من أرض الواحات العظمى لشراء الدواء أو لتلقي العلاج»، أجاب المستشار العلاجي: «نعم، فهم قادرون على ذلك، فكل شيء يلبى لهم حتى يصلوا إلى أفضل النتائج».

بدأ الوزير ومن معه بالتجول داخل أقسام بيت الدواء حيث رأى الباحثين وهم يحضرون الأدوات وبعض المركبات السائلة والمواد الصلبة وكميات من البودر، كما أن معهم أواني وأدوات مختبرية فحياهم وقال لهم: «كل شيء تحت أمركم، وكل ما تطلبون مُجاب فلا عائق أمامكم لتبتكروا المزيد وتصلوا لأفضل النتائج».

ثم دخل على قسم تعبئة الدواء فحياهم وأشاد بنظافة المكان وبسرعة تلبية احتياجات المرضى ومتطلبات بيت الشفاء، ثم توجه إلى أرض كانت خلف بيت الدواء حيث بها تُزرع بعض النباتات الطبية والأعشاب النادر.

فقال المستشار العلاجي: كانت هذه الأرض حلم لكل من يعمل في بيت الدواء، فقد أخذوا أعوام كثيرة حتى تمكنوا من جني بعض النباتات من أماكن مختلفة من واحات بعيدة وصرفوا عليها المال الكثير وتمكنا من زراعتها هنا على أرض الواحة لنستخدمها في الأبحاث وفي صناعة أقوى الأدوية ومضادات البكتيريا وكل هذا بفضل مساعداتك وحماية الفرق التى قامت بجني هذه النباتات من المخاطر وتأمينها بعدد من الجنود.

الوزير: أتمنى منكم المزيد، فأنا كلما أتيت إلى هنا زادت سعادتى. ثم توجهوا إلى بيت الشفاء المجاور لبيت الدواء، فقال الوزير لمستشاره العلاجي أدخلني أولا إلى قسم أطباء الحيوان، فدخل القسم وقابل أطباء الحيوان وقال لهم الوزير: أنتم أطباء الرحمة وأنا أشيد بدوركم في معالجة الحيوانات التى تتألم دون أن نفهمها والسيطرة على العدوى التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان فقال أحد أطباء الحيوان: نحن في سعادة كبيرة لاهتمام سيادتكم بنا والمرور علينا كل شهر فهذا الأمر يزيد من حماسنا.

الوزير: هل لديكم أية احتياجات؟

احد أطباء الحيوان: نعم هو مطلب واحد اتفقنا عليه جميعا.

الوزير: ما هو؟ وسأنفذه على الفور.

أحد أطباء الحيوان: نود إنشاء قسم خاص لعمل وبحث أدوية الحيوان فقط، ويكون تابعًا لنا ونشرف عليه وله ميزانية جديدة حتى نخفف الأعباء على بيت الدواء، وتركيز الاهتمام على أدوية الحيوانات والاهتمام بالثروة الحيوانية والمحافظة على السلالات النادرة من الانقراض وأشياء أخرى كثيرة.

الوزير: أمرٌ عظيم ومبهر وسأبحث جاهدًا في هذا الأمر مع بيت عداد المال، وسأخصص له ميزانية جديدة، وسأعلن عن ذلك يوم الاحتفال بجلوسي على كرسي الحكم.

فشكروا الوزير على الاهتمام بمطلبهم، ثم توجه الوزير نحو أقسام أطباء الإنسان حيث دخل قسم العظام حيث شاهد أطباء يجبرون الكسرى ويخففون آلام المرضى الذين ألقوا التحية على الوزير وشكروه على تحسين الخدمة العلاجية، ثم قام الوزير بجولة في العديد من الأقسام وشكر الجميع على قيامهم بدورهم على أكمل وجه ثم انطلق هو ومن معه إلى بيت صاحب الأمن.

بيت صاحب الأمن

عندما وصلوا إلى بيت صاحب الأمن وقف الموكب وتقدم كبير حراس القصر ففتحت له البوابة وبدأ جنود الحراسة في ضرب أجراس أحدثت صوتًا كبيرًا، وهذا الجرس يضرب لقدوم الوزير أو كبير حراس القصر أو قائد الحرس، ثم رجع كبير حراس القصر للوراء قليلًا مفسحًا الطريق للوزير وانطلق الموكب مرة أخرى، وعند المدخل استقبلهم صاحب الأمن ورحب بهم ونزل الوزير ومن معه وبعد تبادل التحية قال صاحب الأمن: تفضل بالتجول يا وزيرى العظيم.

فقال الوزير له: هل كل شيء على ما يرام؟

صاحب الأمن: نعم الأمور تسير كما تخطط عظمتك.

ثم توجه الوزير إلى داخل السجن وهو عبارة عن ساحة كبيرة مقسمة إلى عدة أماكن كل مكان توجد فيه حرفة مختلفة عن الأخرى ويوجد في كل مكان متقن للحرفة ليس من السجناء يعلم المساجين هذه الحرفة أو يساعدوه في بعض المهام طوال فترة السجن كما يوجد عدد من الجنود داخل كل مكان لمنع حدوث أى شغب، كما يوجد قسم لطهي الطعام ممنوع أن يُعين فيه أي من السجناء بأمر من الوزير وسبب الوزير في ذلك أن السجين لن يطهو طعامًا جيدًا لأنه لن يتقاضى أجرًا على ذلك كما أنها عقوبة يقضيها لفترة من الوقت لن تفيده في شيء فهو يريدهم للإنتاج فقط فلذلك عين فيه رجال ذوي خبرة في الطهي ويتقاضون أجرًا على ذلك كما يوجد مكان لتعليم السجناء القراءة والكتابة وكل يوم في الصباح الباكر يستيقظ المساجين على درس شيخ من شيوخ العلم يعلمهم الأخلاق والمعاملة الحسنة وأيضًا يوجد مكان للأطباء وأهل الدواء للكشف على المساجين وعلاجهم طوال اليوم وشاهد الوزير بعينه كيف ينتج السجين ويغزل الملابس ويصنع الحذاء. كما منع

الوزير أيضًا إنتاج السلاح في السجن حتى لا يتقنها المساجين ويستخدموها في العنف ثم مر على قاعة الانتظار وشاهد بعينه اللصوص الثلاثة ومعهم بعض المساجين ينتظرون تنفيذ العقوبة عليهم فقال: أغلق الباب فلا أريد رؤية هؤلاء الحمقى. فقال صاحب الأمن: هؤلاء ينتظرون تنفيذ العقوبة عليهم غدًا في الساحة العامة للعقاب ومن ثم يرجعون ويبدأ تنفيذ الحكم عليهم.

الوزير: أوصيك بالعدل أنت وجنودك فنحن في خدمة الناس، ومن يطغَ من جنودك لا تتردد في إرساله للشيخ الحاكم لينظر في أمره.صاحب الأمن: أحذرهم باستمرار ولم يأتِ منهم أي شكوى فهم في خدمة أهل الواحة ولا يستطيع أحد منهم استغلال مكانته فهم يعلمون عاقبة ذلك.ثم خرج الوزير ومن معه وقال كبير حراس القصر: هل ننهى جولتنا بالذهاب إلى إحدى حلقات الشعر والغناء؟

فقال الوزير: لا فلنؤجل ذلك ليوم الاحتفال بجلوسي على كرسي الحكم، فلقد اطمئن قلبي على الواحة هذا الشهر.

وتوجه الموكب نحو القصر وسط ترحاب الناس حتى وصلوا القصر وجلس الوزير على الكرسي وقال: أرسل لي محاسب المال على أن يكون غدًا هنا بعد أن آتي من الساحة العامة للعقاب فقال كبير حراس القصر: سأرسل له أحد الجنود لإخباره بذلك... فهل تأمرني بشيء آخر؟

الوزير: لا، اذهب أنت وأنا سأذهب إلى غرفتي الخاصة وقاسم ذهب إلى حديقة القصر ليلعب مع رشيد وظلوا يلعبون التلتاويه ويلعبون مع الكلب حتى غربت الشمس وأضاء الخدم بعض النيران وذهب قاسم إلى النوم وهدأت حركة القصر فنام قاسم وحلم بأن أبيه نائمٌ على الأرض وسط عدد من الأشجار وهناك شخص يسحبه بالقوة ليبعده عن أبيه وهو يقول لأبيه صارخًا باكيًا: «أبي رد يا أبي» والشخص يأخذ من يده بعيدًا حتى ابتعد عن أبيه. وعندما أتى الصباح واستيقظ قاسم ذهب إلى أبيه في غرفته وأخبره بالحلم فسالت الدموع من عين الوزير واحتضن قاسم وصار يقبله ثم مسح دموعه وابتسم وقال له: «لا تقلق يا بُني فهى مجرد أحلام فلا تنزعج، أما زلت تحلم بأمك وهى تلعب معك؟» فابتسم قاسم وقال له: «نعم تلعب معي دائمًا، فهل تلعب معي يا أبي وأنا سوف أحلم بك وأنت تلاعبني»، فابتسم أبيه قائلا: «وهو كذلك، سوف ألعب معك حتى تمل مني»، فقال قاسم: «العب معي يا أبي التلتاويه»، فقال الوزير باستغراب: «تلتاويه! من أين عرفتها؟ فقال قاسم: «من صديقي رشيد في حديقة القصر» فقال الوزير: «هذه اللعبة لعبة العامة ويعشقها أطفالهم ولكنني لم ألعبها من قبل»، فقال قاسم: «أعلمك كيف تلعبها» فقال الوزير: «نعم علمني كيف ألعبها، وأنا أعلمك ركوب الخيل، اتفقنا؟»، فقال قاسم: «اتفقنا يا أبي ولكني سأهزمك كثيرًا»، فابتسم الوزير قائلًا: «سأكون سعيدًا إذا هزمنى ولي العهد، ولكن عليك الاستعداد لدرس الشيخ السمري وأعدك بأن أجلس معك في حديقة القصر ونلعب سويا».

حين انصرف قاسم أخبر الوزير كبير حراس القصر بالحلم الذي حلمه قاسم قائلا: ابني قاسم قد حلم اليوم حلمًا أفزع قلبي وجعلني أبكى وأمسكت دموعى وبدأت أربط

بينه وبين الحلم الذي حلمت به.

فقال كبير حراس القصر: أمرٌ غريبٌ حقًا فكلاكما حلمتم بأن شخصًا يأخذ قاسم بعيدًا ولكن أحسن الظن بالله وأنه لا مكروه سوف يحدث.

فقال الوزير: أتمنى أن يكون مجرد حلم ليس إلا، فربما هذه الأحلام هى علامة على تقصيري في حق قاسم من بعد وفاة أمه، من الآن فصاعدًا سأهتم به كثيرًا ولن أكتفى بالخادمات التى ترعاه وحسب... والآن جهز لي الموكب كي نذهب إلى الساحة العامة للعقاب.

رد كبير حراس القصر: ولكن ما زال هناك وقت كثير حتى يبدأ تنفيذ العقاب.

فقال الوزير: إذًا فلنذهب أولًا إلى خبراء البذور والزراعة حيث لم أذهب لهم وأريد أن أشعر بالسعادة بعد حلم قاسم ونأخذ جولة حول الأراضي الخضراء فأنا في كرب شديد.

فقال كبير حراس القصر أحسنت الاختيار فلنذهب وطمئِن قلبك بأنه لا مكروه بإذن الله، ثم قابل الوزير الشيخ السمري وهو يعطي درس العلم لقاسم فاعتذر له على ضياع يومين من قاسم دون أن يأخذ فيهما الدرس. ثم انطلق الوزير دون أخذ قاسم معه.

خبراء البذور والأراضي الزراعية

وصل الوزير إلى مكتب خبراء البذور فاستقبله كبير المزارعين وقال له: «تشرفنا بقدوم وزير الواحة وكبيرها».

رحب به الوزير وقال له: أسمع عنكم الأخبار الجيدة والمحصول في تزايد مستمر كما أن تجار المحاصيل راضون عن الأسعار.

فقال كبير المزارعين: نعم، نحاول أن نضع السماد القوي وندرس جيدًا حالة التربة ونهتم بالمحاصيل وندرب المزارعين؛ فلذلك نصل إلى إنتاج كبير ونحافظ على الماء قدر المستطاع.

الوزير: أعلم دوركم جيدًا وأرى بعيني كيف حولتم الأرض الصحراء إلى أرضٍ زراعية وضاعفتم الإنتاج.

كبير المزارعين: هذا كله من فضلكم ومن زيادة الميزانية؛ لذلك استطعنا تنفيذ كل ما حلمنا به.

الوزير: أريد أن آخذ جولة قصيرة حول المزارع والأراضي.

كبير المزارعين: تعالَ معي إلى مزرعة الموز فلدينا موز له طعم جميل هذا العام عن الأعوام السابقة.

فذهب الوزير ومن معه حيث دخلوا وسط أشجار فاكهة وليمون، وشم الوزير روائح هذه الفواكه فقال: إنها رائحه جميلة تفوح من هذا المكان الجميل فتزيد

شعوري بالراحه ثم قطف كبير المزارعين بعض الموز واعطاه للوزير ومن معه وقال لهم تذوقوا هذا الموز الحلو.

فتذوق الوزير وقال: فعلا إنه لذيذ المذاق، وقال كبير حراس القصر: نعم إنه لذيذ وأشعر بأنني أول مرة اتذوق فيها الموز.

فابتسم الوزير وكبير المزارعين الذي قال: هذا نتيجة خلط العلم بالزراعة فهكذا تكون النتيجة.

وأثناء مرور الوزير شاهد بعض رعاة الماشية يرعون بالأغنام والأبقار، وشاهد كيف يسقي الزرع والأشجار من خلال أدوات لرفع الماء ومن خلال قنوات الماء فى الأرض وأثناء استعداد الوزير للرحيل قال له كبير المزراعين: «أرجوك يا وزير واحتنا الكريم تفضل بالأكل معنا حتى نزداد شرفًا»، فذهب الوزير وكبير حراس القصر وأكل مع كبير المزارعين وبعض المزارعين الآخرين وشرب اللبن وقال لهم: «إنه أكل بسيط وجميل ثم شكروا الوزير أثناء الرحيل وتوجه الموكب نحو الساحة العامة للعقاب».

الساحة العامة للعقاب

هى ساحة ينفذ فيها العقوبة التي أقرها الشيخ الحاكم وتكون الجلد أو الشنق أمام الناس للحد من الجرائم وليكونوا عبرة لغيرهم، فجلس الوزيرعلى منصة بجوار مسؤول الساحة ودوره تنفيذ أحكام الشيخ الحاكم وإدارة الساحة كما يوجد في الساحة عدد من جنود الأمن ثم أمر مسؤول الساحة بعد أن رحب بالوزير أحد الجنود بضرب جرس الساحة فصمت جميع الحضور ونزل اللصوص الثلاثة من عربة نقل المجرمين مقيدين ثم صعد الجنود باللصوص الثلاثة إلى منصة عالية بها بعض المشانق وبعض الأخشاب التي يربط عليها المجرمون ويُجلدوا فبعد أن صعد اللصوص الثلاثة قال مسؤول الساحة نبدأ اليوم تنفيذ حكم الشيخ الحاكم على هؤلاء اللصوص الثلاثة بالجلد ٣٠ جلدة لكل منهم فربطهم الجنود في أخشاب الجلد ثم قال مسؤول الساحة للصوص هل ستفعلا هذه الفعلة مرة أخرى فقالوا: لا لن نعود لفعل ذلك مرة أخرى فقال مسؤول الساحة: إذا فجلدكم لن يكون عنيفًا هذه المرة ولكن إذا حكم الشيخ الحاكم عليكم بالجلد مرة أخرى فسيكون الضرب أعنف أكثر من هذه المرة فظلا يبكيان، فأمر مسؤول الساحة بالبدء فى جلدهم فصار الجندي المنفذ للجلد يجلدهم فإذا صرخ أحدهم صراخًا شديدًا يقول مسؤول الساحة للجندي توقف واذهب للآخر فصار يتنقل بين الثلاثة حتى أتم الثلاثين جلدة لكلا منهم ثم قال الوزير: سكان واحتنا أعزكم الله على ارتكاب جرائم مثل السرقة والقتل وغيرها وأنتم تعلمون أنني أشطاط غضبًا من جريمة السرقة وها أنتم ترون كيف يُعاقب السارق، وكل يوم تأتون إلى هذا المكان لترون بأنفسكم العقاب فاحفظوا أنفسكم للنهوض بالواحة فيعود ذلك بالخير والبركة عليكم جميعا... وبعد الانتهاء من كلمته، تم وضع اللصوص الثلاثة في العربة وذهبوا بهم إلى السجن ونزل الوزير ومن معه من على المنصة وقال لمسؤول الساحة أشعر بالسعادة عندما أرى مجرم يُعاقب فكم أنا أكره السرقة والمجرمين، ثم ركب العجلة الحربية وانطلق الموكب نحو القصر فجلس الوزير

على الكرسي فقال له أحد الجنود: محاسب المال في انتظارك يا سيدي، فقال الوزير: أدخله الآن.

فدخل محاسب المال محييا الوزير، فقال له الوزير بعد أن أجلسه: «أطباء الحيوان يطلبون عمل قسم خاص لعمل وبحث أدوية الحيوان فقط على أن يكون المكان منفصلًا عن بيت الدواء ويكون تحت إشرافهم».

محاسب المال: ولكن هذا مكلفٌ جدًا فإنشاء مكان جديد وتعيين بعض العاملين وحراس وأدوات وغيرها يتكلف وقتٌ ومال كثير.

الوزير: أعلم أنه مكلف، ولكن هل الميزانية تسمح بذلك الآن؟ أم نؤجل الحديث عن هذا الموضوع؟

المحاسب: سوف تسمح ولكنها فقط مكلفة وهذا ما أردت إيضاحه.

الوزير: إذًا فقم بحساباتك، واذهب إلى أطباء الحيوان واستفهم منهم على كل شيء يحتاجونه وضع هذا في تقرير وأرسله لي بعد الانتهاء من حساب كل شيء، واكتب لي الفائض من الميزانية بعد ذلك حتى أصدر قرار بالبدء في الإنشاء، ثم دخل كبير حراس القصر مقاطعًا حديثهم وقال للوزير: جئتك في أمر سيء للغاية يا وزير واحتنا العظيم ولا يتحمل التأخير فإيذَنْ لي بالحديث.

فقال الوزير فزعًا: قل ماذا حدث؟

كبير حراس القصر: جاءني الآن جندي من حراس أحد مداخل الواحة وأبلغني أن هناك بعض الأشخاص فروا هاربين من واحتهم بعدما احتلها جيش عظيم يدعى جيش المجنزرين، وقد احتل أيضًا هذا الجيش العديد من الواحات بجوارهم، واستطاع دخول أرض الواحات العظمى.

الوزير: ما هذا الاسم الغريب؟ لم نسمع عنه من قبل! من هم هؤلاء ومن أين أتوا؟ ولماذا يحاربون أرض الواحات العظمى؟

كبير حراس القصر: الجندي بالخارج، ولم أسأله عن أي شيء من هذه الأسئلة، هل أدخله لإيضاح بعض الأمور؟الوزير: بالطبع أدخله الآن.

فخرج كبير حراس القصر وقال محاسب المال: سأذهب أنا يا وزير واحتنا، وادع الله أن يكون الأمر خيرا، إيذَنْ لي بالانصراف الآن، أعانكم الله على الحكم وسدد خطاكم.

فأشار له الوزير دون كلام بالخروج، ثم دخل كبير حراس القصر ومعه الجندي، فقال الوزير للجندي: من هؤلاء الناس الذين فروا هاربين من واحتهم؟ ومن يكون جيش المجنزرين هذا؟

الجندي: سوف أحكي لك يا مولاي ماذا حدث تفصيلا، كنا على مدخل الواحة الشرقي وإذ بأربعة أشخاص يبدو أنهم ومن واحة واحدة وأسرة واحدة وعليهم علامات السفر البعيد ومعهم حصان واحد تركب عليه سيدة عجوز وفتاة في مقتبل

العمر ورجلين يمشون على أرجلهم منهكين، وعندما أرادوا الدخول سألناهم من أنتم؟ ومن أين أتيتم؟ ما مقصدكم داخل واحتنا؟ فقال أحدهم: جئنا هاربين من واحتنا فقد احتلها جيش يسمى المجنزرين بعدما احتلوا ونهبوا خيرات واحات أخرى بجوارنا، فجئنا نطلب العيش في واحتكم، فأبقينا عليهم في كوخ استقبال المسافرين والرحالة وجئت إلى هنا لإبلاغكم.

فقال الوزير: اسمح لهم بالدخول، وأرسلهم إلى هنا مع بعض الجنود، فأنا أحتاج أن أفهم المزيد منهم.

الجندي: أمرك مُطاع، اِئذَنْ لي بالخروج، فأذن له.

وقال الوزير لكبير حراس القصر: أحضر لي على الفور قائد الحرس وصاحب الأمن وجميع مستشاريني.

ظل الوزير يجلس ويقف ويمشي في حيرة ثم قال: أحضروا لي قاسم الآن. فقام أحد الجنود بإحضاره فقال الوزير لقاسم: قاسم تجهز غدًا لتتدرب على حمل السلاح، فأنا أشعر بخطر كبير سوف يقع علينا، فعليك الاستعداد يا بُني لتصبح قائدًا عظيمًا كما حلمت بك أنا وأمك التي كانت تتمنى أن تراك قائدًا شجاعًا.

فقال قاسم: أنا مستعد يا أبي وكلي حماس لأكون مثلك، فقال الوزير: بل ستكون أفضل مني يا بُني.

ثم حضن قاسم وأجلسه على كرسي الحكم وظل هو حائرًا يمشى ويجلس حتى أتى بعض الجنود ومعهم الأربعة الهاربين من بطش جيش المجنزرين. فقال لقاسم: «اذهب بُني فقد تأخر الوقت، اذهب ونم وغدًا موعدنا.» فخرج قاسم وجلس الوزير على كرسي العرش وأمر الجنود بالانصراف وأجلس الهاربين الأربعة وقال لهم: يبدو أنكم متعبون جدا... فقال أحدهم: نعم، والرعب والحزن ما زال في قلوبنا على فقد أرضنا وقتل أهلنا.

فأمر الوزير أحد الخدم بتجهيز الطعام وإحضار الفاكهة والماء لهم.

فقال لهم الوزير: اشربوا الماء وتناولوا الفاكهة حتى يأتي كبير حراس القصر وبعض القادة، فأنا أريد أن أسألكم أمامهم، فشكروا الوزير على حسن الاستقبال وشربوا وأكلوا.

حتى أتى كبير حراس القصر وقائد الحرس وصاحب الأمن وجميع مستشاري الوزير فأجلسهم الوزير ثم قال للهاربين الأربعة: «أريد واحدًا منكم ليشرح لي ما أمركم؟ ومن هم هؤلاء المجنزرين؟»، فقال أحدهم: «نحن أسرة واحدة نعيش في واحة تسمى واحة النخل حيث يكثر بها النخل ونجني منها التمر ونبيعه وهذا مصدر رزقنا الوحيد، حين كُنا في الواحة كنا نسمع عن جيش كبير جدًا يستولي كل فترة على عدد من الواحات المجاورة، فاستعد جيش واحتنا واستغل وزير الواحة كثرة النخل وأرسل أوامرًا بأن يعتلي كل جندي نخلة ويربط نفسه جيدًا بها ويكون مستعدًا لرمي الأسهم إذا حدث خطر واحتل المجنزرين الواحة، فاستعد الجميع وأقفل الوزير مداخل الواحة حتى لا يهرب أبناء الواحة خوفًا من الموت، وكل ليلة كان

يأتي لنا خبر بأنهم قادمون لا محالة؛ فكنا من الخوف لا ننام وتعطلت مصالحنا والجميع أصبح في قلق وخوف، وعلمنا أنهم يضربون بعنف ويحرقون ويقتلون دون رحمة، ولكن ما سمعناه كان أقل بكثير مما شاهدنا، ففي اليوم المنكوب هجموا علينا بكل قوتهم، ولم يستطع الجنود الصمود أمامهم؛ فقد قذفوا علينا النيران التي أحرقت الكثير من النخل، واعتلوا أبراج واحتنا وظلوا يرموننا بالأسهم، في حين كان جيشٌ عظيمٌ منهم على الأرض يقتل ولا يرحم. وكانوا مزودين بأسلحة كثيرة لا يستطيع عقل أن يصدقها، فهرب الكثير وهربنا نحن وجئنا إلى هنا لنبتعد كثيرًا عنهم».

وصار يبكى، وأبْكَى الجميع حتى الوزير دمعت عيناه كثيرًا، ثم قال: «هؤلاء مجرمون، ولكن كيف استطاعوا دخول أرض الواحات العظمى؟ ولماذا لم يبلغنا أحد بأمرهم؟ وهل تعلمون من هم؟»، فقال أحدهم: علمنا من البعض أن أصولهم من مكان بعيد يتبع لواحات بحر الثليج ومجمعات أنهار التماسيح ومجمعات وادي الشلال الأكبر وجاءوا إلينا هاربين من فقرهم والخطر الذي يحيط بهم كما علمنا.

فقال الوزير: «هؤلاء إذًا كانوا يعيشون في فقر وقلة من الزراعة وخطر دائم يحيط بهم، فلماذا يستولون على واحات غيرهم بالعنف والقتل؟ إنهم مجرمون، أنا أعلم الكثير عن هذه الأماكن؛ فمنذ زمن بعيد أهدى أحد الرحالة لأبي كتابًا عن سكان هذه الأماكن، وكان أبي يخبرني بأن هناك مجموعة من البشر يعيشون وسط الخطر وفي حياة كلها فقر بسبب طبيعة أرضهم، وهم معرضون للخطر بشكل دائم لوجود تماسيح وحيوانات مفترسة قد تفتك بهم، وزلازل وبراكين تُشردهم وقلة الزراعة لديهم تجعلهم معرضين للفقر، وكنت أحسب أنها أساطير ولكن عندما كبرت علمت أنها حقيقية»، ثم قال للأربعة الهاربين: «لكم الأمان في واحتنا، وإذا أردتم شيئًا اذهبوا إلى مستشاري الاجتماعي الذي سأوصيه بكم خيرًا وأن يلبي احتياجاتكم، والآن اذهبوا إلى غرفة الضيافة استريحوا بها، وسنقدم لكم طعامًا يليق بكم»، فشكروا الوزير وذهبوا إلى غرفة الضيافة.

اجتمع الوزير مع القادة وقال لهم: «علينا الاستعداد فقد ندخل في حالة حرب في أي وقت وعليكم فرض الحماية وزيادة عدد الجيش أكثر من ذلك وأخذ الحذر في أي وقت»، رد قائد الحرس: «سأبذل ما أستطيع من جهد لزيادة عدد الجنود لمواجهة المجنزرين»، وقال كبير حراس القصر: «يا وزيرنا العظيم، أخاف من أن يخبر الهاربون الأربعة أهل الواحة عن أمرهم، فتثار حالة من الفزع والرعب لديهم وذلك يقلل من عزيمتهم إذا دخلنا في حالة حرب مع المجنزرين، كما أنه من الممكن أن يهرب معظم سكان الواحة خوفًا من بطش المجنزرين نتيجة ما سيسمعوه»، فقام الوزير وأمر أحد الجنود بأن يخبر هؤلاء الأربعة في غرفة الضيافة بأن الوزير يأمركم بكتمان سركم، فلا أحد يعرف من أنتم ولا أحد يعرف ما قصتكم. ثم وجه حديثه للقادة قائلا: «الآن علينا أخذ القرارات الحاسمة، وهى خفض جميع أجور القادة وتخصيص جزء كبير من خزينة الواحة لصالح خزينة ساحة جنود الحرب»، وأمر كبير حراس القصر بزيادة في عدد جنود القصر وإرسال ما يحتاجه من جنود لقائد الحرس ليمده بها.

وأمر مستشاره الاجتماعي بكتابة كل هذه القرارات وإرسال نسخة من هذه القرارات إلى كل من يهمه الأمر، وأنهى الوزير الاجتماع قائلا لهم: «أريدكم على أتم الاستعداد، ففي المحن لا بُد أن نصبر ونتيجة الصبر هى الفوز».

حين خرجوا فأوقف الوزير كبير حراس القصر منفردًا وقال له: «كن مستعدًا ففي الصباح الباكر سوف تُدرب قاسم وسأكون حاضرًا هذا التدريب».

كبير حراس القصر: «سأبذل قصارى جهدي معه حتى يصبح مقاتلًا وقائدًا قويًا وشجاعًا».

ذهب الوزير إلى غرفة النوم وبدل ملابسه، وظل فاتحًا عينيه يردد لسانه بصوت منخفض: «الخطر قد حان وعلينا الاستعداد، ثم نام وحلم بنفس الحلم الذي حلم به من قبل مرة أخرى، وحين حل الصباح وجد كبير حراس القصر في انتظاره هو وقاسم في حديقة القصر.

بدأ التدريب بأن أعطى كبيرٍ حراس القصر لقاسم سيفًا من الخشب، ثم أحضر عددًا من الأخشاب ووضعها واقفةً على مسافات مختلفة، وقال لقاسم: «تخيل أن الأخشاب هم أعدؤك وأنت تريد قتلهم، فاطعن بسيفك كل خشبة بأسرع ما عندك»، وظل يدربه والوزير يجلس مراقبًا ومشجعًا قاسم، أما رشيد فقد ظل واقفًا على بعد ينظر لقاسم ويصفق له عندما يفعل ما يأمره به كبير حراس القصر، ثم دخل الوزير القصر وتركهم، حينها اقترب رشيد من قاسم وظل يصفق له.

حين دلف الوزير للقصر توجه لغرفة أبيه وظل يبحث في الكتب حتى وجد كتابًا أمسكه بيده وقال: «هذا هو الكتاب الذي أهداه أحد الرحالة لأبي»، وبدأ يُقلب الصفحات ويقف عند بعضها.

في الحديقة ظل قاسم يتدرب يشجعه على ذلك رشيد، ثم انتهى التدريب الأول لقاسم، فقال له كبير حراس القصر: «أحسنت يا ولي العهد، لقد انتهى اليوم تدريبك الأول، ولكن أريدك أن تجري كل يوم عشر دقائق حتى تصل بالتدريج لساعة يوميًا لرفع ليقاتك لتكون ماهرًا في الهرب»، ثم ابتسم له فضحك قاسم، بعدها توجه قاسم نحو رشيد وسأله: «ما رأيك في ما فعلته اليوم؟»، أجابه رشيد: «لقد كنت قويًا بالطبع»، سأله كبير حراس القصر: «هل هذا صديقك؟» أجابه قاسم بنعم، فرد

كبير حراس القصر: «إذًا فاجعله يشجعك على الجري هنا في الحديقة أولًا حتى تكون مستعدًا عندما تذهب إلى ساحة جنود الحرب فيما بعد»، ثم تركهم يلعبان مع الكلب وخرج إلى خارج القصر متفحصًا إياه من الخارج مُفكرًا في تدبير عدد من جنود الحراسة لزيادة تأمين القصر.

حين خرج الوزير من غرفة أبيه جلس على كرسى الحكم، حينها أخبره أحد الجنود بأن محاسب المال يستأذن بالدخول فأذِنَ له، فدخل محاسب المال ومعه أوراق من البردي الملفوف، ألقى التحية على الوزير وقال: «لقد انتهيت من حساب كل شيء لبناء مكان خاص لعمل وبحث أدوية الحيوان»، الوزير: «أحييك على سرعة الاستجابة، ورغم أن الواحة قد تكون مقبلة على حرب في السنوات القليلة المقبلة مع

جماعات عاشوا لسنين في فقر وأصبحت الجريمة لديهم أبسط شيء، فأنا أوافق على البدء في الإنشاء، وسأعلن عن ذلك يوم الاحتفال بجلوسي على كرسي الحكم»، رد محاسب المال قائلًا: «دائما تحرص على النهوض بالعلم وتعظم من شأنه، فليس الأمر بغريب عن عظمتك، وقد وصلني اليوم منشور سيادتكم بشأن رفع الضرائب، وجاري إرسالها لأمين السوق لسرعة تنفيذها، أما خفض رواتب القادة في الواحة فسيتم تطبيقه الشهر القادم»، أتبع ذلك الوزير بقوله: «أحييك مرة أخرى لسرعة تنفيذ أوامري، مجهود عظيم تبذله أنت ومن يعاونك»، ثم أذن له الوزير بالخروج.

أرسل الوزير أحد الجنود لإحضار قاسم، فأخبره الجندي بأن قاسم جالسٌ لتلقى العلم مع الشيخ السمري، وعندما انتهى قاسم من درسه أخذه الوزيرعلى حصانه برفقة كبير حراس القصر على عجلته الحربية وبعض الجنود، وذهبوا إلى أرض قريبة من القصر. وهناك طلب كبير حراس القصر من الوزير أن يترك له ولي العهد ليعلمه ركوب الخيل، لكن الوزير رد عليه قائلا: «أنا وعدت قاسم بأن أدربه بنفسي اليوم، وأنت أيضًا ستدربه لكن فيما بعد»، وبدأ الوزير يعلم قاسم ركوب الحصان، يمشي به ببطء شديد واستمروا على نفس الحال لعدة أيام حتى أتى يوم الاحتفال بجلوس الوزير على كرسي الحكم.

في يوم الاحتفال شدد الوزير على أن ينتشر الجنود بكثافة على مداخل الواحة، والاستعداد للدخول في حالة حرب، وأقيم الحفل في ساحة الاجتماعات حيث كرّم الوزير عددًا من العلماء والشيوخ والمجتهدين في طلب العلم والذين رشحهم شيخ شيوخ العلم، وطلب من أهل الواحة المحافظة على الواحة نظيفة وعدم ارتكاب الجرائم، وقد ألقى بعض الشعراء الشعر وأنشدت الأناشيد ودُقت الطبول.

أصدر الوزير أيضًا يوم الاحتفال قرارًا بإنشاء قسم خاص لبحث وعمل أدوية الحيوان، ثم فرق جنوده على أهل الواحة عدد قليل من المعادن وفي آخر الاحتفال ذهب الوزير وقاسم ومعهم عدد كبيرًا من أهل الواحة إلى أرض الموتى، حيث لا بُد من زيارة أبيه في هذا اليوم.

مرت الأيام وظل قاسم يتدرب حتى مرت ثلاث سنوات فأرسله الوزير إلى ساحة جنود الحرب وأمر قائد الحرس بأن يشد عليه ويعامله مثل أي جندي حتى يشتد عوده ويتعلم البسالة والشجاعة وأمر كبير حراس القصر بمتابعة قاسم أيضًا، ظل قاسم يتدرب معهم ولكن جميع الجنود كانوا أكبر منه سنًا وجسمًا، فأمر قائد الحرس بأن يُدرب قاسم لبعض الوقت مع الجنود الجدد، على أن يزيد الوقت تدريجيًا وقام أيضًا بتعليمه فنون جديدة ومهارات أكثر للدفاع عن النفس منفردًا.

طلب قاسم من قائد الحرس أن يسمح له بالتدرب على رمي السهام؛ فأمر قائد الحرس مدرب رمي السهام بتعليم قاسم رمي الأسهم والتسديد بدقة، وظل يتدرب معهم لمدة عامين كاملين حتى أصبح عمره ١٥عامًا، حتى أتى اليوم المشهود، وكان يومًا شديد البرودة والرياح، وكانت الشمس قد اقتربت من المغيب، فإذا بجيش المجنزرين يشن هجومًا على واحة الغربان بجيش لا مثيل له، حيث قاموا بإلقاء عدد كبير من كرات اللهب التى أحرقت مدخل الواحة واستطاعوا الدخول بعد استبسال

جنود الواحة أمامهم لفترة من الوقت، ثم قاموا باعتلاء الأبراج قاتلين ما عليها من جنود، وفر بعض الجنود لإخبار قائد الحرس بذلك؛ فاستعد.

أطلقت الأجراس لإنذار الناس، وفزع الوزير لسماع الأجراس، فأمر بإحضار قاسم الذ كان يلعب مع صديقه رشيد فطمأنه قائلًا: «لا تقلق ولا تخف واستعد»، بينما كان كبير حراس القصر يشدد على جنوده بالالتزام البقاء في أماكنهم، وخرج جيش الواحة لصد هجوم المجنزرين، والتقى الجيشان في معركة حامية الوطيس استمرت لوقتٍ طويل وسط الرياح والبرودة، ولعن الوزير هؤلاء المجنزرين قائلًا: «إنهم جياع وعديمي الرحمة»، كما شدد صاحب الأمن على جنوده بالانتشار في جميع شوارع الواحة وأمر بعض الجنود بعدم ترك سجن الواحة، ولا ينشغلوا بفزع المساجين الذين طالبوا بفتح السجن للخروج والهروب من شدة سماع أصوات الأجراس وحركة الخيول والعجلات الحربية التي لم تهدأ، وظلت المعركة مستمرة حتى تمكن المجنزرين من قتل قائد الحرس، بينما ظل مساعده يقاوم لآخر لحظة حتى قُتل هو الآخر، وحين بلغ الوزير ذلك أمر كبير حراس القصر بتجميع عدد من الجنود الموجودين بداخل الواحة وإرسالهم لدعم الجيش ووقْفِ زحف المجنزرين نحوهم، وبالفعل حشد عددًا كبيرًا من الجنود وأرسلهم لصد هجوم المجنزرين ثم رجع لحماية القصر.

نادى الوزير على قاسم وأمره بالاستعداد للهرب هو وكبير حراس القصر، فظل قاسم يبكي، ثم دخل الوزير إلى خزينة القصر، وأحضر المال والذهب ووضعهم داخل جلباب وقام بلفه وربطه على جسد قاسم من الداخل ثم ألبسه ثيابًا فوقهم حتى لا يعلم أحد بذلك، وأعطى كبير حراس القصر أيضًا المزيد من أكياس المال، وقال له: «في حالة فشل جيشنا، فستهرب أنت وقاسم إلى أبعد مكان، ولا تخبر أحدًا بأمركم، والمال معكم لا يجعلكم تحتاجون لأحد»، قاوم الوزير دموعه وقام بمسح دموع قاسم قائلًا: «أنت قائد يا قاسم، والقائد لا يبكي»، وظلوا في القصر حتي أتى خبر بأن المجنزرين قادمون نحو القصر، فاستعد كبير حراس القصر وشدد على جنوده بالالتزام وتنفيذ الأوامر وعدم الهرب، بينما لجأ عدد من الجنود الهاربين إلى القصر وأخبروا كبير حراس القصر بأن المجنزرين عددهم هائل جدًا ولم يستطع الجيش الصمود أمامهم، وأنهم قتلوا مساعد قائد الحرس واستبسل الجنود أمامهم ولكن دون جدوى. فقال كبير حراس القصر: «اللعنة عليهم يهجمون في أوقات لم نعتدها، إنها أوقات صعبة وسط الرياح والجو قارس البرودة، إنهم مجرمون حقًا، ولكن علينا الدفاع حتى آخر لحظة، فإذا وجدنا خطرًا على أرواحنا علينا بالانسحاب وتأمين الوزير للهرب من الواحة...»، لم يمر سوى قليل من الوقت وإذ ببعض جنود المجنزرين يركبون الخيول بسرعة عالية ويهاجمون قصر الوزير، بدأوا بتحطيم مدخل القصر؛ فأمر كبير حراس القصر جنوده أعلى الأسوار والأبراج برمي السهام عليهم فقتلوهم جميعًا، سُرّ الوزير لهذا واحتضن قاسم ثم صعدا أعلى القصر ليشاهدا ما يحدث بالخارج.

تبع ذلك مجيئ صاحب الأمن ومعه عدد من الجنود، فأُدخلوا إلى القصر، وأخبرهم صاحب الأمن بأن المجنزرين خلفهم وأنهم قد هربوا منهم نحو القصر للدفاع عن

الوزير... وبينما هم كذلك إذ بالمجنزرين يقتربون من القصر، فنزل الوزير من أعلى القصر مسرعًا، وظل الجنود يرمونهم بالسهام، وقال صاحب الأمن وكبير حراس القصر للوزير: «نحن في موقف شديد الصعوبة وعلينا بالهرب في أسرع وقت»، رد الوزير: «اذهب أنت وساعد في خروج جميع خدم القصر من المدخل الخلفي سريعًا قبل أن يقتحم المجنزرين القصر»، ثم أردف قائلًا لكبير حراس القصر: «لن أهرب أبدًا، فالتاريخ لن يرحمني ولن أقبل أن أعيش ذليلًا في أي واحة غير واحتي، سأموت هنا بشرف وشجاعة كما علمني أبي، ولن أترك مكاني، أما قاسم فستأخذه معك إلى أبعد مكان ممكن ولا تتخلَ عنه أبدًا، ولن تحتاجوا إلى أي شيء فالمال معكم كثير، تاجروا به ولا تخبروا أحدًا بأمركم»، ثم قام الوزير وهو يبكي ويرتعش بمسح دموع قاسم واحتضنه وقال له: «أنت قائد، والقائد لا يبكي، كن شجاعًا يا ولدي، فأنت لا ترضى لأبيك أن يعيش ذليلًا، غير أنني معروف بين الواحات الأخرى ووجودي معكم خطر عليكم؛ فقد يسلمني أحد وزراء الواحة التى سنهرب إليها إلى هؤلاء الخونة المجرمين حتى تعلو مكانته عندهم، ويأمن هجومهم على واحته أو يمتنع وزراء الواحات عن استقبالى خوفًا من هجوم جيش المجنزرين عليهم، فأهون علي أن أموت هنا على أن أعيش ميت القلب مذلولا، أو أسبب لكم أي خطر على حياتكم»، فظلوا يبكون وقام كبير حراس القصر بجمع عدد من جنوده حول مدخل القصر وهو على وشك أن يحطم، وأمرهم بأن كل من يمر من مدخل القصر يقومون بقتله أو يقتلون، ثم قال للوزير: «وأنا لن أهرب، إعفني من الهروب لن أتركك وحدك هنا»، رد الوزير منفعلًا: «هذا أمر يا كبير حراس القصر، هذا أمر وعليك التنفيذ».

بدأ المجنزرين برمى كرات اللهب ورمي الحجارة تجاه القصر، فزع الخدم فساعدهم صاحب الأمن على الهرب ثم رجع للقصر مرة أخرى. بينما دخل رشيد على قاسم وقال له: «هيا نهرب يا صديقي معًا فهناك خطر كبير على حياتنا»، نظر الوزير إلى رشيد ثم أردف مخاطبًا قاسم: «اعتبر هذا الولد أخاك، فهو مخلص لك ويخاف عليك، هيا اهربا معًا»، ثم سأل الوزير رشيد: «لماذا لم تهرب مع أهلك؟»، فقال رشيد: «هربت مع عمي، ولكنني رجعت دون أن يلاحظني لأهرب مع قاسم خوفًا عليه»، فوضع الوزير يده علي رأس رشيد وقال له: «نِعم الصاحب أنت» ثم دخل الوزير غرفته وارتدى ملابس القتال الخاصة به وأمسك سيفه وخرج وسط بكاء قاسم ورشيد.

اقتحم المجنزرين مدخل القصر فاشتبك معهم جنود القصر وصاحب الأمن وجنوده، حينها أمر الوزير كبير حراس القصر بأخذ قاسم ورشيد على حصانه والهرب بهم قبل أن يلاحظه المجنزرين المشغولين باقتحام القصر، فأعاد كبير حراس القصر طلبه بأن يسمح له الوزير بالبقاء معه، فصرخ الوزير في وجهه، قائلًا: «ابني سوف يموت، اهرب ولا تتردد هذا أمر وعليك التنفيذ»، فأسرع كبير حراس القصر وهو يبكي وأخذ رشيد وقاسم الذي صرخ باكيًا: «أبي لا تتركني يا أبي»، فأسرع الوزير واحتضنه وقبله وأمر كبير حراس القصر بالإسراع بالهرب، ثم جثا الوزيرعلى ركبتيه ينظر لقاسم ويبكي لبكائه مُرددًا: «كن قائدًا يا قاسم».

هرب كبير حراس القصر برشيد وقاسم على حصان واحد، وقتل المجنزرين صاحب الأمن والجنود حتى دخلوا القصر وانقضوا على الوزير، فقتل منهم ثلاثة ولكنهم تكاثروا عليه وتمكنوا من قتله بقيادة قائدهم، واحتلوا الواحة وحرقوا المزيد من البيوت وأماكن العلم وغيرها وسيطروا سيطرة تامة على أرض الواحة، وأرسل قائدهم إلى الزعيم وهو لقب يُطلق على وزيرهم لإخباره بنبأ الانتصار، وبعده اتخذ المجنزرون واحة الغربان مقرًا رئيسيًا لهم نظرًا لكبر حجمها وكثرة خيراتها.

وفى هذه الأثناء كان كبير حراس القصر قد هرب بحصانه مبتعدًا عن واحة الغربان متجهًا ناحية شرق أرض الواحات العظمى، حتى مرت عدة أيام وجنّ الليل عليهم فحاولوا دخول إحدى الواحات القريبة ولكن الحرس منعوهم بحجة أن الدخول ممنوع ليلًا للأغراب، فقال لهم كبير حراس القصر: «الجو قارس البرودة ومعي طفلان، أريد أن أستريح مقابل المال الذي تطلبونه»، فرفضوا وأبلغوه بأن هذه أوامر ولن يستطيعوا مخالفتها، وطلبوا منه الانصراف حتى لا يتم القبض عليه، فالتجأ لشجرة أمام تلك الواحة وجلسوا جميعًا تحتها، وقال مخاطبًا رشيد وقاسم: «هذه المكان آمن بعض الشيء، فالجنود أمامنا، ولا أحد يتجرأ على أن يهاجمنا لا إنسان ولا حيوان»، فنام قاسم ونام رشيد وكبير حراس القصر من شده التعب. لاحظهم مسئول حراسة المدخل، فأمر أحد جنوده بإحضار غطائين لهم، وذهب المسئول بنفسه، وقام بتغطيتهم، فانفزع كبير حراس القصر، فطمأنه قائلًا: «لا تقلق، فأنا جئت لأغطيكم من برودة الجو»، فشكره، وأتبع المسئول ذلك بقوله: «لولا الأوامر لقمت بإدخالكم لداخل الواحة»، رد كبير حراس القصر: «لا بأس، مشكور أنت على فعلتك»، تطلع إليه المسئول قائلًا: «أظنك مقاتل أو قائد؛ فثيابك توحي بذلك»، فقصّ عليه كبير حراس القصر ما حلّ بهم وأنه هرب من بطش المجنزرين وحذره منهم، ثم نام من شدة الإرهاق حتى أتى الصباح فأيقظ رشيد وقاسم الذي قال وعينيه تدمع «لقد اشتقت لأبي كثيرًا، واشتقت لغرفتي وكلبي»، فقال كبير حراس القصر متأثرًا: «ألم يقل لك أبيك بأنك قائد، والقائد لا يبكي؟»، ومسح دموع قاسم، وقال رشيد: «لا تبكِ يا صديقي، فأنا معك وبجوارك، وقد تركت عمي لأجلك، ولا أعلم أين هو الآن!».

جهزّ كبير حراس القصر بتجهيز حصانه وفك رباطه من الشجرة ودمعت عيناه ولكنه سرعان ما قاوم بمسحها، ثم دخلوا الواحة بغرض شراء الطعام واشتروه، في حين اشترى كبير حراس القصر له ولهم لباس مزارعين، ثم انطلقوا مرورًا بواحات كثيرة، حتى أتى وقت الظهيرة فجلسوا للراحة ودخلوا الواحة الجالسين أمامها لشراء الطعام والشراب ثم عاودوا الانطلاق حتى قبل غروب الشمس، استراحوا فى طريقهم وأمرهم كبير حراس القصر بتغيير ملابسهم بلباس المزارعين، وقام كبير حراس القصر بخلع الخاتم والعمامة التي يرتديها قاسم وخبأها في وعاء على ظهر الحصان، ووجد أن قاسم يحمل تحت ثيابه عددًا من أكياس المال الصغيرة، وبعض الذهب التي وضعها له أبيه ولفها حول بطنه، فقال: «لا تخبروا أحدًا بأمر هذا المال واحتفظوا به عند الحاجة، فالوزير أعطاني مالًا كثيرًا أيضًا، ولا تخبروا أحدًا بأمرنا ومن الآن إذا سألكم أحد فأنتم أولادي كل ولد

منكم من امرأة مختلفة، ونحن من واحة الغربان هربنا من بطش جيش المجنزرين، ونعمل في الزراعة وتجارة الماشية، وتركنا كل شيء في واحتنا، وأنا اسمي من الآن عقبة، وأنتم احتفظوا بأسمائكم»، ثم طلب منهم: «أعيدوا عليّ ما قلته لكم حتى نتأكد مما ستقولونه ولا يحدث أي اختلاف في كلامنا، ولا يشك أحد في أمرنا»، فأعادوا عليه ما قاله، ثم أردف «إياكم أن تخبروا أحدًا غير ذلك، فقد يسلمنا قرابين إلى جيش المجنزرين ليتقرب منهم ويضمن محبتهم»، سأله قاسم: «إلى أين ستذهب بنا؟ هل سنظل هكذا؟»، فقال له: «لا، بل سأختار لكم واحة مناسبة تكون أبعد بكثير عن واحة الغربان، فتحملا معي مشقة السفر وعنائه»، حلّ المساء فناموا بجوار شجرة أمام أعين جنود واحة أخرى، وكان الجو معتدلًا ثم حين حل الصباح الباكر وجد عقبة قاسمَ مستيقظًا، فأخبره قاسم بأنه رأى أبيه الوزير في الحلم والذي قال له أكثر من مرة: «أنت قائد، والقائد لا يبكي»، ثم ألبسني تاجه وخاتمه وأجلسني على كرسي الحكم، وقال لي: «هذا مكانك فحافظ عليه»، ثم اختفى واستيقظت، فابتسم كبير حراس القصر وقال: «عدني يا قاسم أن تكون قائدًا كما كان يحلم أبيك بك، وأنا معك ولن أتركك»، وقال رشيد: «وأنا أيضًا أريد أن أكون مثلك يا قاسم»، ثم ركبوا الحصان وانطلقوا حتى أتى وقت الظهيرة فاستراحوا، وظل قاسم ورشيد يلعبان التلتاويه، ثم انطلقوا مرة أخرى، مرت عدة أيام على هذا الحال حتى مروا على واحة تسمى واحة الزراعة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الجزء الثاني
واحة الزراعة

واحة الزراعة هي واحة خضراء توجد شرق أرض الواحات العظمى، وتبعد عشرين يومًا عن واحة الغربان، وقد سُميت بهذا الاسم لكثرة الأراضي الزراعية بها، وعندما مروا على هذه الواحة أوقف كبير حراس القصر حصانه قائلًا لهم: «أشعر أن هذه الواحة مناسبة لنا، كما أنها تبعد عن واحة الغربان كثيرًا، ولكن إذا أردنا أن نعيش فيها فعلينا إخبار الجنود بأننا هربنا من واحة الغربان ونريد أن يعلم الوزير أمرنا ونحذره من جيش المجنزرين، ولا تنسوا ما قُلنا مرارًا وتكرارًا، وحين اقتربوا من مدخل الواحة قال عقبة للجنود: «نريد الوزير فنحن هاربون من بطش جيش يسمى جيش المجنزرين وهؤلاء أولادي، وأريد أن أخبر الوزير بأمر هذا الجيش الطاغي اللعين»، فبعث مسؤول حراسة المدخل أحد جنوده إلى قصر الوزير ليبلغه، ثم أتى بعض الجنود واصطحبوهم مشددين عليهم الحراسة وأخذوهم إلى قصر الوزير فهو يرغب بمقابلتهم.

استقبلهم كبير حراس قصر واحة الزراعة الذي يدعى مصعب، فأجلسهم وأحسن استقبالهم وأكرم ضيافتهم وقال لهم: «أخبروني ما أمركم؟» فقال كبير حراس قصر واحة الغربان: «أنا اسمي عقبة وهؤلاء أولادي، أحدهم من زوجة والآخر من زوجة أخرى، ونحن من واحة الغربان، وكنا نعيش في سلام وأمان»، فسأله مصعب: «لماذا تسمى واحتكم الغربان؟»، أجاب عقبة: «كانت تكثر بها الغربان في قديم العهد، فأطلق مؤسسها ووزيرها عليها هذا الاسم»، فقال مصعب: «ونحن أيضًا لكثرة الزراعة والأراضي الخصبة وكثرة القنوات المائية أطلقوا علينا واحة الزراعة»، فقال قاسم: «نعم، لاحظنا ذلك عند قدومنا إلى هنا»، ثم طلب كبير حراس القصر مصعب من عقبة أن يكمل حديثه، فقال عقبة: «هجم علينا جيش المجنزرين في وقت غروب الشمس، الجو كان شديد البرودة وملئ بالرياح فأطلقوا علينا كرات اللهب والحجارة بعدد كبير من المجانيق، وكان عدد جنودهم هائلا وكانوا يضربون العزل ولا يرحمون أحدًا»، فقال مصعب: «نعم لقد علمنا بأمرهم، ونحن نستعد من الآن لهم فهم يسيطرون على عدد كبير من الواحات ليكبر ملكهم وتكون لهم قوة كبيرة لا يقدر عليها أحد»، فقال عقبة: «علمت أنهم كانوا يعيشون في فقر وانعدام أمن وسلام، وانتشار الفواحش والجرائم، فربما ضاق بهم الأمر وشعروا بالنقص فأرادو فعل ذلك»، فقال مصعب: «نعم وهم أيضًا يدفعون المال الكثير لزيادة عددهم من الجنود المرتزقة، فالمال ليس مالهم وإنما مال الواحات التي يستولون عليها بطريقة غير آدمية»، فقال عقبة: «نعم، فاستعدوا لهم بجيش كبير يستطيع صد هجومهم، ولكن لي طلب واحد وهو أنني أريد العيش في واحتكم فاسمحوا لي بذلك»، فقال كبير حراس القصر مصعب: «سأخبر الوزير بذلك أولًا».

وحين دخل مصعب على الوزير، قال له الوزير: «أدخلهم لي أولًا لأتحدث معهم»، فدخلوا على الوزير وحكى عقبة له مرة أخرى ما حدث لهم، فقال الوزير: «وماذا فعلوا بوزير واحة الغربان؟»، فقال عقبة والدموع بدأت تسيل على خده: «لا أعلم عنه شيئًا، فقد هربت وجيش الأعداء كان يحاوط قصر الوزير»، فبكى قاسم وأبكى رشيد، فقال الوزير: «أعلم أنكم متأثرون بما حدث لكم، فلكم السلام منى والسماح لكم بالعيش في واحتي»، ثم أعطاهم كيسًا صغيرًا به مال، وقال لهم: «هذا تعويض لكم عن ما حدث»، فرفض عقبة وقال: «تمكنت قبل أن أهرب من أخذ ما أملكه من مال، فأنا لا أحتاج لهذا المال، وسأشتري بيتًا وأعمل أجيرًا في المزارع، فهذى مهنتى، حتى أستطيع شراء قطعة أرض خاصة بي وأتاجر في الماشية»، فقال الوزير: «المال قد خرج، فلا يحق لك أن ترده عليّ مرة أخرى، أما هنا في الواحة فلا أحد يبيع بيته لأحد، فهذه عادات أهل الواحة ولكن ستقيم في غرفة الضيافة التابعة للقصر، حتى تبني لك بيتًا وسنساعدك في فعل ذلك، ومعك كبير حراس القصر إذا احتجت له وجدته».

فشكر عقبة الوزير، ومكثوا في غرفة الضيافة حتى أتى الصباح. وفي الصباح خرج عقبة ومعه قاسم ورشيد وتجولوا حول الواحة، ودخلوا السوق فوجدوه أصغر بكثير من سوق واحة الغربان، والبائعين يبيعون بضاعتهم وكأنهم يغنون، فقال عقبة: «أرأيتم الباعين كيف يبيعون بضاعتهم؟» فقال قاسم: «طريقة جميلة وملفتة للنظر»، وقال رشيد: «يا لها من طريقة جديدة في البيع»، ثم قاموا بشراء بعض الملابس وخرجوا من السوق وأخذوا جولة حوله، فجدوا سوقًا آخر ولكنه للأسماك فقط، ويسمى خانة الصياد، حيث وجدوا جميع أنواع السمك، فقال عقبة: «غريب هذا الأمر، فهذي أول مرة أجد سوقًا للسمك فقط، وأيضًا البائعون يلحنون بيعهم»، وقال قاسم: «من الواضح أنهم مختلفون عن واحتنا»، فقال عقبة: «بالطبع فكل واحة لها تقاليد وعادات مختلفة وبعض الأشياء المميزة أو الغريبة، مثل هذه الواحة»، ثم خرجوا من السوق وظلوا يتجولون حتى وجدوا أرض فضاء كبيرة وعلى مسافة قريبة من مكان تدريبات جيش واحة الزراعة، فقال عقبة: «ما رأيكم إذا بنينا بيتنا هنا؟»، فقال قاسم: «رغم أنه مكان لا يوجد بجواره أي بيوت ولكنه جيد»، وقال رشيد: «نعم، المكان مناسب وأيضًا قريب من تدريب الجنود، فنحن سنكون في أمان أيضًا»، فقال عقبة: «نريد أن يسمح لنا الوزير بالبناء هنا».

وحين رجعوا إلى غرفة الضيافة فى القصر، أخبروا كبير حراس القصر، فقال لهم: «المكان الذي تريدونه هو مكانكم، فالوزير أوصانى بكم، فهو متأثر جدًا بما حدث لكم، وأمرني بخدمتكم ولا أرفض لكم طلبًا إذا كان ذلك في استطاعتي»، فشكروه وقال عقبة: «أبلغ شكرنا للوزير»، ثم شرعوا في بناء البيت الذى استغرق بناؤه عدة أيام قليلة، فالبيت له سور أمامه فقط وبه حوش حتى يضعوا الحصان به ويجلسون في هذا الحوش.

عمل عقبة مزارعًا في أحد الأراضي، وقام بإرسال قاسم ورشيد إلى بيوت العلم للتعلم في حلقات العلم في الواحة، وكان يدرب قاسم ورشيد في الحوش كل يوم، فإذا خرج للعمل يذهبون إلى بيوت العلم، ويستمرون بعدها في لعب التلتاويه، ويؤدون

واجباتهم، وظل قاسم لفترة ممن الوقت يتذكر كلبه الذي كان يلعب معه في حديقة القصر، ويحكي لرشيد عن هذا الكلب، وأنه كان يحب أن يلعب معه. ظلّ عقبة يُعلم قاسم ورشيد فنون القتال ويجعلهم يركضون كل يوم داخل حوش بيتهم حتى مرت خمس سنوات وأصبح عمرهم عشرين عامًا، فاشترى عقبة أرضًا زراعية خاصة بهم، وسجلها باسم قاسم، كما سجل البيت باسم قاسم عندما بلغ قاسم العشرين عامًا.

أصر رشيد وقاسم أن يساعدوا عقبة في زراعة الأرض، وعمل معهم عدد من المزارعين بالأجر وظل عقبة يحاول أن يُبعد قاسم عن مساعدته ولكن قاسم أصر على العمل حتى طلب عقبة من كبير حراس القصرمصعب بأن يجند رشيد وقاسم في ساحة الحرب كما يسمونها في واحة الزراعة، ليصبحوا من الجنود المقاتلين ليبعدهم عن مشقة زراعة الأرض ويجعلهم مقاتلين أقوياء، فقال له كبير حراس القصر «سأخبر الوزير بذلك، لأن عادات هذه الواحة عدم تجنيد أي غريب»، رد عقبة: «نحن في حالة خطر ومعرضون للحرب في أي وقت من جيش المجنزرين الذي قوى ملكه وسيطر على العديد من الواحات، كما أننا أصبحنا من أهل الواحة ونشعر بأننا منهم، فلي بيت ولي أرض وأدفع الضرائب مثلهم»، فقال كبير حراس القصر: «أمهلنى بعض الوقت، وسأخبر الوزير بهذا الأمر ثم أخبركم»، وحين ذهب كبير حراس القصر إلى الوزير وأخبره، سأله الوزير: ما رأيك أنت؟ هل نعطي لهم الحق أم لا؟»، فقال كبير حراس القصر: «أنا أرى أن نعطيهم الحق، فهم أصبحوا منا ويعيشون مثلنا ولا يوجد فرق، كما أننا نحتاج إلى جنود أيضًا، فلا مانع من ذلك»، فقال الوزير: «اعمل لهم وثيقة تفيد بأنهم أصبحوا من أهل واحة الزراعة، وسأقوم بختمها واعتمادها، ومن ثم يصبح لهم الحق بأن يكونوا جنود حرب في ساحة الحرب».

عاد كبير حراس القصر بعجلته الحربية إلى عقبة وأولاده حيث وجدهم يعملون في أرضهم، فقال لهم: «بشرى عظيمة لكم، فلقد سمح الوزير لى بعمل وثيقة لكم تفيد بأنكم ستصبحون من أهل الواحة، وسيكون لكم الحق في التجنيد في ساحة الحرب»، ففرحوا وشكروا كبير حراس القصر الذي أردف قائلًا: «سأعطي لكم الوثيقة فور الانتهاء منها».

بعد يومين، أرسل لهم كبير حراس القصر وقاموا باستلام الوثيقة التى تفيد بأنهم أصبحوا من أهل الواحة، كما أرسل لقائد الحرس لينظر في أمر قاسم ورشيد، فقال قائد الحرس: «اتركوني ستة أشهر حتى أتم خطتي الحالية مع الجنود، وبعدها أفتح الطريق لمن يريد التجنيد»، فأخبر كبير حراس القصر عقبة بذلك، وقال له: «انتظر ستة أشهر وقم بعدها بإرسال أولادك إلى ساحة الحرب».

ظل قاسم ورشيد يتدربون على حمل السلاح ويبارزون بعضهم بالسيوف الخشبية، واشترى عقبة بعض الماشية ليتاجر بها في السوق، وظل قاسم ورشيد يساعدانه ومات حصانهم، فقام عقبة بوضع خاتم وعمة قاسم وبعض ملابسه داخل صندوق في البيت، واشترى قاسم حصان ورشيد أيضًا اشترى حصان، وظل عقبة يعلمهم ركوب الخيل بطريقة صحيحة ويحمسهم، حتى أتى اليوم الذي سيذهبون فيه إلى التدريب في ساحة الحرب للاختبار، فقال لهم عقبة: «أريدكم أن تبذلوا أقصى ما

لديكم في التدريبات لتنالوا مكانة عالية وتكونوا جنودًا مميزين تتقنون فنون الحرب والقتال، واعلموا أن التدريب في الساحة مختلف عن التدريب هنا في حوش البيت، وقاسم يعلم ذلك فلقد تدرب من قبل في ساحة واحتنا»، فوعدوه بفعل ما أمرهم به لينالوا التميز.

توجه قاسم ورشيد إلى ساحة الحرب وسجلوا أسمائهم، ثم دخلوا الساحة ومعهم عدد من الأشخاص، فقال قائد الحرس: «أهلا بكم في ساحة المعارك، الساحة التي لا تقبل إلا بالشجعان الذين لا يخافون الموت، فمن أتى منكم إلى هنا ويخشى الموت فعليه أن يرحل، ومن جاء ويعلم أنه فداء للواحة ولحماية أهلها من الخطر فنحن نرحب به، وأنتم الآن في مرحلة التدريب والتدريب لمدة شهر وبعد ذلك سنحدد من منكم يليق ومن لا يليق»، ثم أمرهم بالجري حول الساحة بعض الوقت فلاحظ أن قاسم ورشيد يجريان بلا تعب وليسوا كغيرهم ثم أوقف الجميع وأمرهم بالاصطفاف وأعطاهم سيوفًا خشبية، وبدأ يعلمهم إمساك السيف، فلاحظ أيضًا أن قاسم متمكن من إمساك السيف والضرب به كأنه مقاتل، فقال قائد الحرس لمساعده: «انظر إلى هذا الفتى»، وأشار على قاسم فهو كالمقاتلين متمكن من إمساك السيف فدوّن اسمه كأول المقبولين والمتميزين، فقال مساعده: «هذه أول مرة ندون أحدًا من المقبولين ومن أول يوم»، فقال قائد الحرس: «أعجبت به وبتمكنه من مسك السيف»، ثم أنهى قائد الحرس التدريب.

عاد قاسم ورشيد إلى بيتهم فجدوا عقبة في حالة من التعب الشديد والسعال ازداد، فذهبوا به إلى أحد عرافي الداء كما يسمونه أهل الواحة، فأعطى لهم عراف الداء بعض الأعشاب وأمره بالراحة في البيت وعدم بذل مجهود كبير فرجعوا به إلى البيت، وقال قاسم: «عليك أن تستريح يا عمي مثلما قال الطبيب أو كما يطلقون عليه عراف الداء»، فقال عقبة: «ومن يدير تجارتنا ويزرع أرضنا؟» فقال قاسم: «نستأجر شخصًا ذو ثقة»، فقال رشيد: «نعم، شخص ذو ثقة وأيضًا نحن نتابع معه ونشرف عليه بعد الانتهاء من التدريب في الساحة»، فقال عقبة: «إذًا فالأنسب لذلك هو المزارع جعفر فهو أمين ونشيط وذو خبرة جيدة في الزراعة ومراعاة وبيع الماشية ومتقن للعمل»، فقال قاسم: «نعم، فهو شخص طيب جدًا وأنا أعرفه»، فقال رشيد: «سأذهب له الآن وأخبره بذلك، حتى يستعد من الغد فأنا أعلم أين بيته»، فقال قاسم: «قل له أن ما سيحتاجه من مال سيأخذه»، فقال عقبة: «هو شخص متواضع وفي ظروف صعبة ولديه ثلاث بنات وزوجته قد ماتت منذ فترة ولم يتزوج بعدها، فسيوافق دون شروط بإذن الله».

ذهب رشيد ومعه قاسم إلى المزارع جعفر الذي يبلغ من العمر ٤٥ عاما، طرقوا عليه الباب ففتحت لهم إحدى بناته التي أعجب بها قاسم الذي ظل صامتًا ينظر إليها، فقالت: «ما أمركم؟»، فقال رشيد بعدما لاحظ أن قاسم ينظر للفتاة: «نحن أبناء عقبة، ونريد المزارع جعفر»، فخرج جعفر عندما سمع صوتهم فرحب بهم وأدخلهم بيته وأكرمهم فأخبروه بأمرهم فقال: «أتمنى الشفاء العاجل لأبيكم عقبة، ولا مانع عندي من زراعة أرضكم ورعاية تجارتكم، فأنا بالأصل أجير عندكم وهذه أمانة سأحافظ عليها وأرعاها وليس لى أي شروط». فشكروه وذهبوا متوجهين إلى بيتهم وبينما

هم يمشون على أرجلهم فقال رشيد مبتسما لقاسم: هل أعجبتك ابنة المزارع جعفر؟» أجابه قاسم: «لماذا تقول مثل هذا الكلام؟» فقال رشيد مبتسما: «أقول هذا لأن عينك لم تنزل من عليها»، فقال قاسم مبتسما: «نعم فقد لفتت انتباهي ليس إلا»، وظلوا يتحدثون حتى دخلوا بيتهم وأخبروا عقبة بما حدث.

في اليوم التالي أتى جعفر واطمئن على عقبة، ثم بدأ في مهامه وظل قاسم ورشيد يتدربون ويتابعون مع المزارع جعفر وأثناء تدريبهم انفرد قائد الحرس بقاسم واعترف باعجابه به وقال له: «هل كنت تتدرب قبل مجيئك إلى هنا؟» فقال قاسم: «لا، فلا علم لي بشؤون الحرب من قبل»، فقال قائد الحرس: «أمرٌ غريبٌ فأنت متمكن جدًا وذو بنية وجسم قوي وإمساكك بالسيف إمساك مقاتل، وركوبك للخيل وأنت تحمل الدرع كأنك قد فعلت هذا الأمر من قبل، فكل المتدربين ليسوا مثلك، حتى أخيك ليس مثلك فأنت أقوى وأشد وتشبه المقاتلين في الحرب، فأبشر فأنت وأخوك قد اجتزتم الاختبار بنجاح، وأنت صنفت من الجنود المميزين، ولكن لا تقل لأحد حتى تنتهى فترة التدريب»، فزاد هذا الكلام من حماس قاسم وعزيمته وأخبر رشيد وعقبة بهذا الكلام، فقال عقبة: «أنا في سعادة شديدة لسماع مثل هذه الأخبار الجميلة، وإن شاء الله ستصبح قائدًا مثلما قال أبيك عنك، فابذل أنت ورشيد كل الجهد ولا تهدأ عزيمتكم أبدا».

ظل قاسم ورشيد يتدربون بحماس حتى انتهى التدريب، فأعلن قائد الحرس عن الجنود اللائقين وأمرهم بالانصراف والحضور غدًا لاستلام زي المقاتلين، ورفض بعض الأشخاص الآخرين فخرج قاسم ورشيد راكبين خيولهم واتجهوا إلى بيتهم وأخبروا عقبة، فقال لهم عقبة: «منذ الغد، أنتم جنود حرب، هنيئا لكم، فقالوا له: «هذا من مساعدتك وجهدك وتعبك معنا»، فقال لهم: «التعب لا يهم، المهم هو ثمار هذا التعب، فأنا أريدكم متميزون دائما، وأنا سأذهب من الغد إلى الأرض، فقد شفيت وهدأ السعال كثيرا، ولم أعد أشعر بالتعب»، فقال قاسم: «لا ترهق نفسك، فجعفر يقوم بكل شيء ويستأجر المزارعين لمساعدته ونحن لا نتركه أيضًا»، فقال عقبة: «لا أريد الجلوس في البيت كثيرًا، ولن أتخلى أيضًا عن جعفر، فسيظل يساعدنا وأنا معه لأنه أمين ومتقن في عمله»، فقال قاسم: سنذهب أنا ورشيد إلى الأرض للاطمئنان على جعفر، فذهبوا إلى أرضهم فوجدوا المزارع جعفر ومعه بناته الثلاثة يأكلون فسلموا عليهم وقال لهم جعفر: «تفضلوا الغذاء معي»، فرفضوا، وقال قاسم: «أكملوا أنتم وسنتجول بجواركم حول الأرض حتى تنتهون من طعامكم»، وابتعدوا عنهم ثم جلسوا على إحدى حدود أرضهم فقال رشيد: «ما رأيك في بنات العم جعفر؟»، قاسم: «أشعر أنهم في غاية الأدب والحياء، هل رأيت عندما دخلنا عليهم، لم ترفع أي من بناته عينيها»، رشيد: «نعم، لاحظت هذا وأعجبتني ابنته الأخرى. قاسم مبتسما: «إذًا فاطلبها للزواج إن كانت تعجبك»، رشيد: «وماذا عنك أنت فأنت قد أعجبت بابنته الكبرى»، قاسم: «إذًا علينا أن نسأل العم جعفر عن البنات أولًا»، رشيد: «لا يصح ذلك هل جننت؟» قاسم: «وهل أنا غبي إلى هذا الحد؟ أنا فقط سأسأله عن بناته وأسمائهم وأخبارهم ولن أقل له بالطبع أنني أريد

ابنتك للزواج»، رشيد: «إذا كان الأمر كما تقول فأنت محق نستدرجه في الكلام، ونعلم أخبارهم دون أن يشعر بشيء».

حين انتهى جعفر وبناته من الأكل وانصرفت بناته، وجلس معه قاسم ورشيد ظلوا يتحدثون عن الأرض وقال جعفر في خلال عشرين يومًا سنحصد القمح من الأرض، فقال رشيد لجعفر: «هؤلاء كلهم بناتك يا عم جعفر؟»، فقال: «نعم، هم بناتي وليس لي أولاد وماتت أمهم منذ فترة»، وظلوا يتحدثون ولم يستطع أحدٌ منهم أن يسأله عن أسماء بناته وأحوالهم، ثم انصرفوا بينما قال رشيد مبتسما لقاسم: «ألم تقل لي بأنك ستعلم من العم جعفر كل شيء عن بناته؟»، فقال قاسم ضاحكا: «لم أستطع فقد وقف الكلام في فمي ولم يخرج»، فقال رشيد: «الأمر بسيط، نستخبر عنهم من أبينا عقبة»، فقال قاسم: «نعم، كانت الفكرة غائبة عني»، وظلوا يضحكون ويتكلمون. حتى وصلوا بيتهم وسألوا عقبة فأخبرهم أن ابنته الكبرى اسمها صابرة وعمرها ١٩ عام، والثانية اسمها ماهرة وعمرها ١٧عام، والأخرى اسمها راضيه وعمرها ١٣ عام، ثم سألهم عن سبب سؤالهم فأجاب رشيد: « فقط نسأل لاننا وجدناهم في الأرض مع أبيهم يأكلون»، وقال قاسم: «السؤال من باب الفضول ليس إلا».

في مساء ذلك اليوم حلم قاسم بأبيه وهو يقول له: «لا تنسَ مكانك، فمكانك هو كرسي الحكم فاحكم بالعدل»، ظل قاسم يتدرب بحماس ويتذكر أبيه والعذاب الذي مر به أثناء الهروب حتى يأخذ بثأر أبيه وينتصر على جيش المجنزرين، حتى أتى اليوم الذي يختاره قائد الحرس لجميع الجنود حيث تقام معركة بين نصف الجنود لمحاربة النصف الآخر وكأنهم في حرب، ويقام هذا اليوم كل شهر وذلك حتى يدرك قائد الحرس قوة جيشه، ويعمل على تصحيح الأخطاء، وأيضًا يختار يوما آخر كل شهر للجنود الذين يجيدون الضرب بالسيف وهم راكبون على الخيول ويحارب الجنود بعضهم البعض وكأنهم في حرب، ولكن بسيوف غير قاتلة، فاندهش قائد الحرس من قاسم ومن مهاراته ومن شدة حماسه وأعجب بسرعة ضربه بالسيف، ومرت الأيام وأصبح عمر قاسم ٢٢عامًا، وقائد الحرس ما زال معجبًا بقوته حيث كان سريعًا جدا في المبارزة بالسيف، وتوقع الضربة ومُتقنًا لرمي الأسهم وماهرًا في ركوب الخيل والمبارزة عليها ولديه قوة ضاربة بالسيف كانت في بعض الأوقات تجعل الذي يبارزه يتقهقر بعض الشيء أو يفقد السيطرة على سلاحه، فجعله قائد الحرس مساعدًا له من ضمن عشرة مساعدين لقائد الحرس بعدما أرسل أحد مساعدينه لقصر الوزير.

أصبح قاسم أصغر مساعد من حيث العمر، وكانت وظيفة المساعد هي المساعدة في تجهيز أدوات الحرب وملاحظة الجنود والإشراف عليهم من ملبسهم ومأكلهم وانضباطهم، بالإضافة إلى أن المساعد يتدرب أيضًا معهم، و بعد أن يقضى الجندي عامين في ساحة الحرب يُكلف بعدها بأوامر تنفذ على الجندي فيقضيها لمدة شهر ثم يرجع مرة أخرى لساحة الحرب، وكانت الأوامر مثل حراسة مداخل الواحة وحراسة ساحة الحرب وبعض الأماكن المهمة، أو يُنقل إلى قصر الوزير، ومن ضمن أدوار المساعد هي إعطاء أوامر لمن قضى عامين في التدريب للخروج في

حراسة أو مهمة معينة أو ملاحظة الجنود المميزين وإخبار قائد الحرس عنهم، والمساعد يخرج أيضًا لبعض هذه المهام ويكون هو القائد أو المسئول عن بعض الجنود في هذا المكان وقائد الحرس هو من يختار المساعدين للخروج في بعض هذه المهام. أعطى قاسم أوامر لرشيد بحراسة إحدى مداخل الواحة حتى يأتي دوره في أمر جديد.

وذات يوم وهما جالسان في البيت، قال عقبة: «أريدكما أن تتزوجا معًا في ليلة واحدة، فما رأيكم؟» فابتسم رشيد وقال: «بالطبع موافق»، وقال قاسم: «أمر جميل أن أتزوج مع صديقي وأخي رشيد في يوم واحد، بالطبع سيكون يومًا سعيدًا»، فقال عقبة: «إذًا عليكم اختيار زوجة مناسبة، فهل أعجبتم بأحد أم أختار أنا لكم؟» فقال رشيد: «بل أعجبنا ببنات المزارع جعفر، فهم في أدب واحترام شديدين، وقاسم أيضًا أعجب بابنته صابرة»، فقال عقبة مبتسما: «ولذلك كنتم منذ أكثر من سنة تسألاني عنهم»، فضحكوا وقال رشيد: «نعم، ولكننا وقتها خجلنا أن نقول لك هذا»، فقال عقبة: «إذا كان قاسم أعجب بصابرة فأنت قد أعجبتك ماهرة إذًا»، فقال رشيد: «نعم»، فذهب عقبة وحده إلى بيت المزارع جعفر وأخبره، فرحب جعفر وقال: «شرف لى أن نصبح أسرة واحدة ولكن سأسأل بناتي أولا»، بعد يومين أخبر جعفر عقبة بأنه موافق هو وبناته فاتفقوا على كل شيء وتزوجوا، وأقيم لهم حفل كبير حضره قائد الحرس وكبير حراس القصر وبعض من زملائهم الجنود، وأرسل لهم الوزير وكبير حراس القصر وقائد الحرس الهدايا وقد تزوجوا في بيتهم مع عقبة.

مرت أكثر من خمس سنوات وطوال هذه السنوات كانت تأتي أخبار بأن جيش المجنزرين قد احتل عددًا كبيرًا من الواحات، ويواصل زحفه للسيطرة على جميع الواحات لعِظَم ثروته وكبر جيشه حتى أصبح لديهم عدد من الجيوش يحاربون شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا فى آن واحد، وظل قاسم يتدرب ويساعد قائد الحرس الذي يحبه ويقدره، وقد اقترح قاسم عليه بأن يصدر قرارًا بأن على كل الجنود أن يتعلموا رمي السهام، فقال له: «ولماذا رمي السهام؟» فقال قاسم: «أتذكرعندما كنت في واحة الغربان أن صمود الجيش لبعض الوقت كان بسبب الرماة»، فأصدر قائد الحرس القرار.

مر عام على ذلك، حينها كان قاسم قد بلغ ثمانية وعشرين عامًا وقد أنجب قاسم طفلان ولدًا وبنتًا، الولد اسمه فهد والبنت اسمها انتصار، في حين أنجب رشيد طفلان أيضًا، وتوفى المزارع جعفر ومرض عقبة وأصبح ملازمًا للفراش، واختار رشيد رجلا يدير تجارتهم وزرعهم، وأتت أخبار بأن كبير حراس القصر قد مرض مرضًا شديدًا احتار فيه عرافي الداء وبعدها بشهر مات كبير حراس القصر بهذا المرض، فأعلن الوزير ذلك والتقاليد أن كبير حراس القصر لا يدفن إلا عند تعيين آخر بدلا منه، وذلك في مراسم كبيرة يحضرها أهل الواحة ولا يدفن إلا بحضور الوزير وجميع القادة ومعظم الجنود لتشيع جثمانه إلى مدافن الواحة، وعندما علم الجميع بموت كبير حراس القصر أرسل الوزير إلى قائد الحرس و يدعى مصعب أيضًا وقال له لقد اخترتك لتكون كبير حراس هذا القصر ترعاه وتحافظ عليه فرحب مصعب بهذا الأمر، ثم قال له الوزير: عليك بأن تختار قائدا للحرس بدلًا منك فقال

مصعب: «الأنسب لهذه المكانة بلا منازع هو قاسم بن عقبة المزارع»، فاندهش الوزير وقال له: «قاسم هو أحق بقيادة الحرس بدلا منك أنت!» فقال: «نعم، فهو شخص شجاع وقوي ولديه مميزات تجعله يستحق هذه المكانة»، فقال الوزير: «لا مانع من تعيينه كقائد للحرس بدلا منك، ولكن عليك المزيد من الإشراف عليه»، فقال مصعب: «لا تقلق فهو جدير بالثقة، ومع ذلك سأقوم باستمرار بمتابعته هو والجيش»، فأعلن الوزير ذلك في الساحة الكبيرة عند تشييع جثمان كبير حراس القصر ولما علم قاسم بأنه سيكون قائد للحرس انهالت الدموع من عينه وحضنه رشيد وبارك له ثم دفنوا كبير حراس القصر، ورجع قاسم ورشيد إلى بيتهم وأخبروا عقبة بذلك فبكى من شدة فرحه، وقال قاسم له: «كل ما وصلت له هو من فضل الله وكرمه عليّ ثم من فضلك أنت، فلا أنسى أنك أنت مدربي الأول وأنت من علمتني فنون الحرب ولا أنسى أبي الذي علمني ركوب الخيل حتى أصبحت في هذه المكانة». وبينما هم يتحدثون سمعوا صوت المنادي يخبر أهل الواحة بصدور قرار رسمي بتعيين قاسم قائدًا للحرس وتعيين مصعب كبير حراس القصر، فقال عقبة لقاسم: «لا تنسَ جيش المجنزرين وما فعلوه بنا، فقوِّ جيشك، فربما يأتي المجنزرين إلى هنا ليحتلوا الواحة، فكن حذرًا فهم يهجمون في أي وقت، فإن أتوا فلا تنسَ حق أبيك، وصدهم إن استطعت فربما لا أحضر هذه اللحظات»، فبكوا جميعا، وقال قاسم: «سأبذل قصارى جهدي للفتك بهم كما يفعلون»

حين أتى الصباح، ذهب قاسم إلى ساحة الحرب وانتظر الوزير وكبير حراس القصر ليستطيع القيام بمهمته، فأتى مصعب وقد ارتدى زي كبير حراس القصر ومعه الوزير وقاموا بإعطاء قاسم زي وسيف قائد الحرس، وقام مصعب بأخذ جميع المساعدين معه إلى قصر الوزير، وقال لقاسم: «اختر أنت مساعدينك بنفسك، ولا تستعجل في اختيارهم»، فبدأ قاسم في تدريب الجيش واختار رشيد مساعدًا له.

مرت بعض الشهور القليلة ومات عقبة فحزنوا عليه حزنًا شديدًا هم وزوجاتهم وأطفالهم وحضر الوزير ومصعب وبعض القادة مراسم تشييع جثمانه، واقترب قاسم ورشيد من جسده مقبلين يده، وقالوا له: «ما زلنا على العهد، وسنقاتل من أجل حقنا ومن أجل ما فعله جيش المجنزرين بنا وبأهلنا»، ثم رجعوا إلى البيت، وقام قاسم بفتح الصندوق الذي وضع فيه عقبة خاتم قاسم وعمته وحذائه وبعض ملابسه، فقام قاسم بوضع هذا الخاتم في يد ابنه فهد، وقال: «الآن قد حان وقت التغيير، واستخدام العقل لهزم هؤلاء الملاعين، إذا أتوا إلى هنا فسأسحقهم»، فقالت له زوجته صابرة: «ما هذا الخاتم؟ إنه ثمين جدا ويشبه خاتم الوزراء وذويهم، فما الذي أتى به إلى هذا الصندوق؟»، فقال قاسم: «هو ملك أبي عقبة، وقد أعطاه لي وأنا صغير، فلما كبرت احتفظ به في هذا الصندوق، وألبسته إلى ابني»، فقالت: «وكيف لعمي عقبة رحمه الله أن يمتلك مثل هذا الخاتم وهو مزارع وتاجر ماشية»، فقال لها: «لا عليكِ يا صابرة، ولا تشغلي نفسك بهذا الأمر»، فقالت له: "بالله عليك قل لي ما قصة هذا الخاتم ولا تخفِ عليا شيء»، فظل يفكر حتى قال لها: «أتذكر عندما كان أبي يتاجر في الماشية في سوق واحة الغربان، قام أحد الجنود بالتعرض لأبي وكنت معه، فقمت برمي حجارة كبيرة على رأس الجندي، فسال دمه فقبضوا

عليه وعلى أبي عقبة وسلموني إلى الشيخ الحاكم فقضى الشيخ الحاكم على الجندي بحكم، واعتذر لي ولأبي، وبعدها بيومين، أرسل لنا وزير الواحة فذهبت أنا وأبى فاعتذر لنا وأعطاني الوزير هذا الخاتم»، فقالت: «هل تتذكر لماذا لم يذهب معك رشيد؟» فقال مترددا: لا أتذكر فربما لأنه ابن امرأة أخرى غير أمي ولم يكن يسكن معى فى نفس البيت»، فقالت صابرة: «أظن أنه كان وزيرا عادلا يهتم بشؤون الناس»، فدمعت عين قاسم، فقامت زوجته بمسح دموعه بيدها، وقالت: «لمَ تبكي الآن؟» فقال قاسم: «تذكرت يوم رحيلي عن واحتنا فبكيت»، فقالت له: «الآن قد عوضك الله فلا تحزن، فأنت في مكانة لم يصل لها كثر من أبناء واحتنا»، فقال: «الحمد لله وأكبر تعويض هو أن رزقني الله بكِ».

بدأ قاسم يتجول حول الواحة ويرسم بيده على الورق مداخل الواحة وقصر الوزير وبعض الأماكن المهمة وساحة الحرب، وبدأ يفكر في كيفية حماية الواحة لصد هجمات العدو إذا اعتدى عليهم بجيش عظيم، وبعد أن قرر وسهر الليالي في دراسة الواحة ومداخلها وكيفية تأمينها وجعلها حصن مانع للأعداء، ذهب قاسم إلى مصعب وقال له: «أخبر الوزير بأنني أحتاج إلى عمل توسعة كبيرة في الجيش وضم جنود أكثر من الواحة وتدريبهم على الفنون القتالية»، فأخبرمصعب الوزير، فقال الوزير: «أنا قلق جدًا على الواحة خوفًا من استيلاء جيوش المجنزرين عليها، ولكن توسعة الجيش لها ميزانية سنويا، فأخبر قاسم بالتوسع ولكن في حدود الميزانية المطلوبة»، فبدأ قاسم باختيار بعض الأشخاص في حدود الميزانية التى أقرها الوزير له، وبدأ في تدريبهم واختار بعض المساعدين له ليكتمل عددهم عشرة مساعدين، وظل يدربهم لعدة شهور، ثم أخبر مصعب بأن هذا الجيش لا يكفي لصد هجوم أو للدخول في حرب قوية مع جيش بحجم جيش المجنزرين، فكان رد مصعب بأن المشكلة في الميزانية فقط. فقرر قاسم الذهاب إلى الوزير، واقترح عليه زيادة ميزانية الجيش ليستطيع ضم جنود أكثر وشراء الخيول وزيادة أدوات الحرب للجنود الجدد، فقال الوزير: «لا يمكن زيادة الميزانية فدخل الواحة ومواردها محدودة وهناك ميزانيات لكل شيء لا أستطيع أن أنقص ميزانية على حساب أخرى، كما أنك قمت بتجنيد عدد كبير من الجنود، ألا يكفي هذا العدد؟» فقال قاسم: «لا يكفي حتى لصد هجوم جيش المجنزرين وأنا أفعل كل هذا للحفاظ على حياتك ومكانتك أيها الوزير»، فقال الوزير: «نعم، فأنا أشعر بالقلق باستمرار، كما أنه كل حين يأتي لنا خبر بسيطرة جيوش المجنزرين على واحات أخرى، ولكن ماذا عليّ أن أفعل؟» فأخبره قاسم بأن لديه اقتراح بزيادة الضرائب على المزارعين وعلى التجار في سوق الواحة وفي خانة الصياد وعلى بعض القادة، فقال الوزير: «اقتراح عظيم، ولكن عليك أولا دراسة الأمر مع محاسب المال للتخطيط لفعل ذلك، ومن ثم إرسال هذه الأموال إلى خزينة ساحة الحرب لتفعل بها كما تشاء».

مرت الأيام حتى أصدر الوزير قرارات مدروسة لرفع الضرائب وانعاش خزينة الجيش، فأخبر قاسم مصعب بأنه يريد إنشاء ساحة جديدة لتدريب الجنود، فسأله مصعب: «لماذا ساحة جديدة؟» فقال له: «إن تجنيد عدد من الجنود الجدد وتدريبهم في الأماكن لمتاحة الآن يؤخر كثيرًا من استعدادات الجيش ومن حركة تطويره، كما

أننى لدي بعض الخطط والأفكار وأريد تنفيذها دون تأخير فالعدو لن ينتظرنا، وأنا أريد هذه الساحة لتدريبهم وتعليم الجيش بأكمله مهارة رمي السهام في هذه الساحة».

ذهب مصعب للوزير قائلًا له: «إن قاسم محق فيما يفعله فوجود ساحة للجنود الجدد فقط سيعطي قوة للتركيز عليهم وتقويتهم بشكل أفضل وأنا أثق فيما يفعله قاسم»، فقال الوزير: «أنا مدين لك بالشكر لتعيين قائد مثل قاسم فهو حقًا يستحق مكانته التي اخترتها أنت له، فهو دوما لا يهدأ وتعجبني أفكاره وطموحاته»، فقال مصعب: «قاسم يسبق عهده ويسبق جنود كثيرين في مهاراته الحربية، ولذلك اخترته لهذه المكانة خلفا لي، وأنا أعلم أنه سيكون على قدر من الكفاءة وتحمل المسئولية».

أنشأ قاسم الساحة وسماها ساحة التدريب، وجعل رشيد يرأسها وأمره بتعين خمسة مساعدين له، وظل قاسم يجند عددا كبيرا من الجنود ويرسلهم إلى ساحة التدريب، وأعطى أوامر لرشيد بتدريب الجنود تدريبات شاقة وتعليمهم رمي السهام، وتابع قاسم هذه التدريبات وأشاد برشيد وبمساعديه. كما أخذ قاسم الجنود المتقنين لرمي السهام وقام بتدريبهم على تنفيذ خطط حربية وتدريبهم على بعض المهام الأخرى وكيفية التقدم لحماية الجيش وكيفية الاحتماء، كما قام بالاستعانة بالبنائين والحدادين من أهل الواحة لتنفيذ أفكاره بعدما سمح له مصعب بفعل ذلك.

طلب قاسم من بعض الحدادين بأن يقوموا بعمل درع حديدي عرضه أربعة أمتار وارتفاعه مترين وله فتحات متوازية كل فتحه تسمح بخروج سهم منها ولها فتحات من الأعلى وذات غطاء يفتحها الجندي للنظر من خلالها، كما لها غطاء من أعلى طوله متر حتى يحتمي تحته الجنود ولا يسقط عليهم شيء مثل كرات اللهب أو سهام العدو، وأسماه قاسم درع الرماة، واستخدم قاسم الدرع للجنود المميزين في رمي السهام ودربهم عليه، وشدد على أن له أهمية كبرى في حالة هجوم جيش الواحة على أي جيش آخر، ودربهم أيضًا على كيفية الانتشار والتمركز الصحيح. كما أمر البنائين بأن يقوموا بزيادة ارتفاع أسوار الواحة أكثر مما كانت عليه وعمل أكثر من مدخل وهمي للواحة من يراه من الخارج يظنه مدخل للواحة ولكن يُفاجأ عند الدخول بأنه ممر طويل مغلق من جميع الاتجاهات بسور يحاوطه، ووضع قاسم عليه بوابة وعددًا من الجنود، وقام بإنشاء برج بعد انتهاء الممر المغلق ووضع عليه الرماة، فسأله مصعب: «لماذا تضع جنود على مداخل وهمية للواحة؟» فقال: «لخداع جنود الأعداء فلا يوجد مدخل إلا وعليه بعض الجنود، كما أن الممر المغلق سيساعدنا في تفرقة جيوش الأعداء واصطيادهم بالأسهم من خلال الأبراج، وبذلك نخفف الضغط على المداخل الرئيسية حتى لا يهاب الجنود جيش الأعداء، ويصبح لنا قوة مسيطرة على جميع أرجاء الواحة ونربك حسابات من يعتدي علينا». كما أمر قاسم البنائين بعمل مخارج للطوارئ وهذه المخارج مغلقة بغلق خفيف وعليها علامة من الداخل، حتى يتعرف عليها أهل الواحة للهرب في حالة الخطر وهى بعيدة عن جميع مداخل الواحة.

انبهر الوزير من ما حدث وقال أنه لم يكن يتوقع من قاسم أن يفعل كل هذا، وقدم الوزير الشكر لمصعب لحسن اختياره لقاسم، وشكر قاسم على أفكاره الجديدة

والمبتكرة التي نفذها بالواحة، وزيادة درجة الأمان في حالة الحرب وطرق الخداع الجديدة والغير مسبوقة وقال له الوزير أيضًا: «من اليوم يا قاسم كل ما تريده سيتحقق لك»، فوعده قاسم بأن جيشه سيكون مهيئًا في أي لحظة لصد الهجمات وحماية أرواح الناس بقدر الإمكان وقام قاسم بمباشرة هذه الأعمال التي لم تشغله ولم تشغل مساعدينه عن ساحة الحرب، وأيضًا أمر قاسم الحدادين بتغيير أبواب مداخل الواحة الخشبية وجعلها من الحديد الأكثر سمكًا حتى لا تخترقها الأسهم أو تكون سهلة الاشتعال.

بعدما اطمأن قاسم إلى أن الواحة أصبحت على درجة كبيرة من الأمان اجتمع بجميع جنوده، وقال لهم: «سأقوم بعمل تقسيمات جديدة في الجيش، هذه التقسيمات فى ساحة الحرب فقط»، حيث قام بجعل الجنود المميزين قادة صغار تحت كل قائد عشرة جنود وأطلق عليهم اسم »فرقة»: وأعطى لكل فرقة رقمًا، وقائدهم يسمى قائد فرقة، وهو من يختار العشرة جنود وهذا منصب جديد استحدثه قاسم لزيادة حماس الجنود وسهولة إعطاء الأوامر في حالة الحرب، ثم جعل لكل مساعد من العشرة مساعدين عدد ثابت من الفرق يتولى شؤونها ومسؤول عنها مسؤولية كاملة، وأصدر قاسم قرارا بمكافآت للمساعدين الذين يجعلون قادة فرقهم وجنودهم مميزين وأكثر حماسًا، كما أصدر قرار بتعين رشيد بمنصب والي الفرق بجانب رئاسته لساحة التدريب، ولقد استحدث قاسم هذا المنصب أيضًا ومهمة والي الفرق لكي يكون هو الوحيد الذي يتولى تدريب الجيش في حالة عدم وجود قائد الحرس واختيار المساعدين العشرة مع قائد الحرس وإعطائهم أوامر واختيار الجنود المميزين وجعلهم قادة فرق، حيث لكل فرقة رقم، وكل منهم له دور معين ويأخذ أوامره من قائد الفرقة، وقائد الفرقة يأخذ أوامره من مساعدين قائد الحرس، والمساعدين يأخذون أوامرهم من والي الفرق، حيث يأخذ أوامره من قائد الحرس.

كما أعطى قاسم صلاحيات لقادة الفرق بالتصرف الكامل حين وقوع أزمات دون الانتظار لأى أوامر وعلى الجنود العشرة تنفيذ أوامر قائد الفرقة، كل هذه التغيرات بعلم كبير حراس القصر مصعب الذي رحب بهذه الأفكار الجديدة التى ستساعد في تطوير الجيش وتقويته.

ظل قاسم يعلم جنود ساحة الحرب المزيد من المهارات وكيفية التواصل أثناء الحرب وسرعة الضرب بقدر الإمكان وعدم الاستسلام، وظل رشيد يدرب الجنود الجدد في ساحة التدريبات ويعلمهم مهارات رمي السهام ورمي الرمح وحمل الدرع والحرب على الحصان، ومن يجده قد أتقن ذلك يرسله إلى ساحة الحرب، كما طلب من قاسم السماح له بفتح أيام التجنيد كل شهر أمام من يريد من أهل الواحة، فسمح له قاسم بذلك، بعدما سمح له مصعب والوزير.

قال رشيد لقاسم ذات مرة وهما في غرفة داخل ساحة التدريبات حيث كان يشرف قاسم في ذلك اليوم عليهم: «هل تتذكر ونحن نلعب التلتاويه إذ قمت بوضعك في مصيدة الخداع من الاتجاهين فلم يكن لديك خيار إلا تقبل الهزيمة؟ وحتى وإن قمت بقفل اتجاه فيكون أيضًا خياري هو هزيمتك من الاتجاه الآخر وتنتهي اللعبة لا محالة»، فقال قاسم: «أتذكر بالطبع فقد كنت باستمرار تفعلها معي وتهزمني بهذه

الطريقة»، أردف رشيد قائلًا: «أريدك أن تفعل هذا الأمر مع المجنزرين، فلا يكون أمامهم سوى الانخداع، وأنت ليس لديك قرار إلا الانتصار وينتهى أمرهم»، فقال قاسم: «قد فهمتك ولكن بمساعدتك لي سنصبح أقوى»، فقال رشيد: «أريد أن ألعب معك التلتاويه الآن»، فابتسم قاسم وقال: «الآن يا أخي؟» فقال رشيد: «الآن يا أخي»، ثم أمر رشيد أحد الجنود بإحضار حجارة وخشب صغير لهم، فجلسوا على الأرض ورسم رشيد اللعبة على الأرض، ووضع ثلاث خشبات صغيرة جدًا، ووضع قاسم ثلاثة أحجار صغيرة جدا، وبدأوا في اللعب وأثناء لعبهم قال قاسم: «إلى متى سنظل لا نخبر زوجاتنا بحقيقة أمرنا؟» فقال رشيد: «لقد فكرت كثيرًا في هذا الأمر، ولكن لا أعلم لماذا لا أستطيع أن أخبر زوجتى بحقيقة أمرنا»، فقال قاسم: «وأنا عندما وضعت في يد ابني فهد خاتمي سألتني زوجتي فقمت بتأليف قصة لها حتى صدقتني، ولا أعلم لماذا لم أستطع أن أخبرها بالحقيقة»، فقال رشيد: «دعنا للأيام فحتما سيعلم أبناؤنا وزوجاتنا بحقيقة أمرنا»، واستمروا في اللعب والحديث حتى خدع قاسم رشيد ووضعه في خدعة الاتجاهين، فقال رشيد: «أرأيت يا قاسم فأنا الآن لا أستطيع أن أهزمك، فإذا وضعت خشبة في هذا الاتجاه هزمتني من الاتجاه الآخر، وهو ما نريد فعله على أرض الواقع مع جيش لعين مثل جيش المجنزرين، فاستخدم معهم الحيل والخداع كما نستخدمها في التلتاويه، أربك حسابتهم والعب معهم كلعبتنا هذه، فنحمي أرواحنا وأرواح أهلنا وأرواح أهل الواحة جميعهم».

ظل قاسم يفكر في كلام رشيد، حتى اهتدى إلى إصدار قرار بإعطاء الأمر الكامل لوالي الفرق بتولي جميع جنود رمي السهام، كما أصدر قرارا بتغيير لون ملابسهم واختيار المتقنين والمميزين من الجنود في رمي السهام، وفصلهم عن الجيش ليكونوا في ساحة التدريب وتحت مسؤولية والي الفرق.

اختار رشيد الجنود المميزين في رمي السهام من وسط جنود كثيرين في ساحة الحرب وساحة التدريب، واقترح على قاسم تجنيد جنود لرمي السهام فقط، فربما هناك شخص غير متقن لجميع فنون الحرب ولكنه متقن في التصويب؛ فسمح له قاسم بفعل ذلك. فقام رشيد بعمل قادة فرق للرماة وبعدها قرر قاسم عمل فتحات في كل أسوار الواحة تسمح بخروج السهام للخارج، وتكون ذات غطاء حديدي قوي يفتح حين الحرب لاصطياد جنود الأعداء بالخارج. وحين أخبر قاسم مصعبَ قال له: «هذه من أفكارك التى لا مثيل لها ولم تخطر على بال أحد، وبالطبع سيوافق الوزير على هذه الفكرة». حين أخبر مصعب الوزيرَ رحب بالفكرة وأشرف مصعب وقاسم ورشيد على عمل هذه الفتحات، فكل مترين بهم فتحة لها غطاء شديد الإحكام مغطى بالحديد من الداخل وأمامه قالب طوب غير ثابت حيث يفتح الجندي الغطاء ويزيل قالب الطوب بيده ويبدأ بالتصويب.

ظل الجيش يتدرب والأمور تسير في الواحة بشكل سليم، حتى أتى خبر من أحد الهاربين أن جيش المجنزرين قد احتل واحة تسمى واحة العصافير وهي تبعد قليلا عن واحة الزراعة، ففزع الوزير لسماع هذا الخبر وأرسل لكبير حراس القصر

ولقائد الحرس وأخبرهم بالاستعداد فجيوش المجنزرين حتما ستأتي قريبًا لاحتلال واحة الزراعة.

بدأ الجيش بالاستعداد واجتمع قاسم بجميع القادة وأخبرهم بأن الهدف هو صد هجوم الأعداء ومنعهم من الدخول وعلى الجميع تنفيذ الأوامر وعدم القلق والخوف منهم. وبعد الاجتماع أمر قاسم ببناء منصات خلف أسوار الواحة القريبة من مداخل الواحة، وعلى كل منصة ثلاثة مجانيق كبيرة الحجم اثنان لقذف كرات اللهب وواحد لقذف الطوب ذو الحجم الكبير. قام أيضًا ببناء أبراج على خانة الصياد، وعلى سوق الواحة وفي عدد من الأماكن الأخرى، وقبل قصر الوزير قام بإنشاء عشرين برجًا حيث يوجد عشرة أبراج على كلا الجانبين في الطريق المؤدي إلى قصر الوزير، وكل برج يسع خمسة عشر جنديًا بحد أقصى، ودَرج البرج ليس من الحجارة وإنما من الخشب المتحرك غير المثبت حتى يصعد الجنود عليه ويقوموا برفع الدَرج إلى أعلى حتى لا يصعد جنود الأعداء إليهم ويقتلوهم، وقام بتزويد الأبراج بعدد كبير من الأسهم ليستطيع الجنود المقاومة لأطول فترة ممكنة، ولم يضع على هذه الأبراج أحد من الجنود، وأخبر رشيد بأنه مسؤول عن ملئ هذه الأبراج فقط في حالة الحرب.

كما أمر قاسم ببناء ساحة مغلقة بها خانات لصنع جميع أنواع السلاح سماها خانة عمل السلاح، ووضع حراسة مشددة عليها وبنى عدد من الأبراج حولها، وفصل كل هذه الخانات عن ساحة الحرب. وأعطى أمرًا لرشيد بتولى هذه الساحة فاختار رشيد أحدًا من مساعديه الخمسة للإشراف على هذه الساحة وعينّ آخر بدلا منه مساعدًا له.

ظل قاسم يدرب الجنود في ساحة الحرب على تنفيذ التعليمات الجديدة وكيفية التنظيم والاصطفاف، كما أقام لهم أكثر من مناورة بالخيول للضرب بالسيف وحمل الدرع بشكل صحيح وسرعة الضرب بالسيف وكيفية الهجوم بشكل منظم، كما أمر بإنشاء عدد كبير جدا من أوعيه الماء في أماكن كثيرة من الواحة، وأخبر أهل الواحة أنه حين الوقوع في حرب وبدء جيوش الأعداء برمي كرات اللهب يقوم أهل الواحة بسرعة إطفاء الحريق من خلال هذه الأوعية المنتشرة بشكل كبير جدا في شوارع وأسواق الواحة حتى لا يُفزع الحريق أهل الواحة ولا يرهب جيشها، وشدد على أهمية دورهم في حالة الحرب واندلاع الحريق.

شدد قاسم على عدد من عرافي الداء بضرورة تأدية دورهم في سرعة إنقاذ المصابين ومداوة جراحهم، فطلب منه أحد عرافي الداء أن ينشئ لهم عددًا من الأكواخ في أماكن متفرقة من الواحة حتى يستطيعوا القيام بدورهم في أسرع وقت، فقام قاسم ومصعب بتولى هذا الأمر وأنشأوا عددًا كبيرًا من الأكواخ، وأخبر قاسم أهل الواحة بأنه يحتاج إلى متطوعين ممن لهم خيول خاصة بهم ليقوموا بسرعة نقل المصابين إلى أكواخ عرافي الداء لانشغال الجيش بالحرب، فأتى عدد كبير من أهل الواحة فحياهم قاسم وشدد على أهمية دورهم في إنقاذ المصابين.

لاحقًا قام الوزير بعمل جولة حول الواحة وانبهر مما رآه، وشدد الوزير على الجنود بعدم ترك أماكنهم أو الانخداع في حالة النصر وتنفيذ الأوامر كما ترسل لهم، وأيضًا قام مصعب بعمل تغييرات في قصر الوزير حيث قام برفع سور القصر وأنشأ درجًا داخليًا ليتمكن الرماة من الصعود للسور والتصويب من عليه، وعمل فتحتين في السور من الطوب الهش، حتى يتمكن أي شخص من هدمها والهروب منها للخارج كما قام بالاستعانة ببعض الرماة ودعم بهم حراسة القصر وأمر ببناء حصن قوي به فتحة من الحديد تقفل وتفتح للخروج والدخول من وإلى القصر ثم قام بوضع جميع ممتلكات الوزير من مال وذهب وهدايا وأوراق مهمة في سرداب أسفل غرفة من غرف القصر وقام بعمل ثلاثة أبواب لهذه الغرفة الباب الأول يفتح على طرقة لها بابين أحدهما يمينًا والآخر يسارًا، فالباب الأيمن يفتح على ممر داخل الغرفة، وهذا الممر فارغ والباب الأيسر يُفتح على ممر في آخره فتحة السرداب التى لا يلاحظها أحد، فقد صنع لها مقبضًا لا تفتح إلا من خلاله وهو لزيادة تعقيد امتلاك جيوش الأعداء لهذه الممتلكات، وأمر جنوده بالالتزام بأوامره وعدم ترك الأماكن والاستبسال لأطول وقت ممكن.

أعطى قاسم أوامر لنصف الجيش بالحراسة صباحًا والنصف الآخر بالحراسة ليلًا، وقام هو ورشيد وبعض المساعدين بالمرور على الجنود ليلا ليتأكد بأن الجميع موجود في مكانه، وقد شعر قاسم بالإرهاق كثيرًا وعاد إلى البيت فاحتوته زوجته، وأطعمته بنفسها، قائلة: «أنت عظيم فعلت ما لم يكن أحد يتوقعه، والجميع يشيد بك، وأنت قد بذلت مجهودًا عظيمًا، فالله لن يضيع تعبك ومجهودك فكن واثقًا من نفسك ومن جيشك، ولا ترهق نفسك حتى تكن صافي الذهن، وتكون وقت الحرب مستعدًا، فأعطِ لجسمك حقه حتى لا يضعف بدنك وكن على ثقة أن كل شيء على ما يرام، فالواحة أصبحت كالحصن المعقد يصعب اختراقه، وأصبح لها شكل مختلف، بفضل الله ثم بفضلك»، ثم استمرت تطمئن فيه وتضع يدها على شعره وعلى صدره وتردد: «لا ترهق نفسك حتى تكن وقت الحرب كالأسد، ولا ترهق جيشك ولا تحمله فوق طاقته حتى يكون الجميع مستعدًا»، وقامت بإحضار إناء به ماء ساخن ووضعت قدمه فيه، أتبعت ذلك بالقول: «إن لبدنك عليك حقًا، ولصحتك عليك حقًا فحافظ عليهما تجدهما وقت الحاجة بين يديك»، فشكرها لحسن اهتمامها به واعتذر لها عن التقصير في حقها وحق أبنائها.

نفذ قاسم نصائح زوجته وأمر بعض المساعدين بتبادل الإشراف على الجيش ليلًا ونهارًا وتلبية احتياجتهم والتأكد من تمركزهم، وظل الجميع على أهبة الاستعداد للدخول في أي وقت في حالة حرب، حتى أتى ليلًا للواحة تسعة من الهاربين وطلبوا من حراس إحدى مداخل واحة الزراعة بالسماح لهم بالدخول، فقال أحد الجنود: «لا يسمح لأحد بالدخول بعد غروب الشمس إن كان غريبا عن الواحة»، رد عليه أحدهم قائلًا: «نحن هاربين من واحة الماء التي تبعد قليلًا عنكم، فقد سيطر عليها جنود المجنزرين منذ وقت قليل، وأتينا إلى هنا لنحتمي بكم فالوقت متأخر جدًا ومعنا رجل عجوز أصابه التعب والهلع»، فنظر مسئول حراسة المدخل، فوجد العجوز راكبًا على حصان ويظهر عليه التعب الشديد والفزع فقال لهم: «لا

تتحركوا حتى أخبر قائد الحرس بأمركم»، فأخذ حصانه وذهب إلى بيت قاسم ليخبره فوجد أحد المساعدين بجوار ساحة الحرب يشرف عليها فأوقفه المساعد وعلم منه أمر الهاربين التسعة، فقال له المساعد: «سأذهب أنا لبيت قائد الحرس، وعد أنت إلى مكانك، ولا تترك مكانك مهما حدث، بل اكتفِ بإرسال أحد جنودك لإخبارنا إذا أردت شيئًا فربما يهجم علينا جيش المجنزرين في أي وقت».

ذهب المساعد إلى بيت قاسم فأخبره بما حدث؛ فدخل قاسم مسرعًا إلى البيت وارتدى زيه الرسمي فسألته زوجته: «ماذا حدث؟» فقال لها: «لا شيء اطمئني، فلا شيء يدعو للقلق»، ثم أخذ حصانه وبدأ يتحرك فوجد رشيد داخلًا بحصانه نحو البيت حيث كان يشرف على أماكن الجنود، فقال له قاسم: «لا تنزل من على حصانك، والحق بي" فذهب رشيد معه مسرعًا إلى مدخل الواحة، فعلم قاسم منهم بأن جيش المجنزرين سيطر على واحة الماء، فأمر بوضعهم فى كوخ استقبال المسافرين ليستريحوا حتى يأتي الصباح وإرسالهم إلى كبير حراس القصر، وعندما دخلوا إلى الواحة، زاد تعب العجوز فأرسل قاسم جندي إلى أحد عرافي الداء لفحص الرجل العجوز، فأتى عراف الداء وأعطى له شراب قال أنه مهدئ لينام وهو بخير ولا داعي للقلق.

قام قاسم مع بعض مساعديه بتكثيف عدد الجنود عند مداخل الواحة وأمر رشيد عدد كبير من الرماة وقادة فرقهم بالانتشار على مداخل الواحة وخلف الأسوار وأعلى الأبراج وأخبره قاسم بألا يرسل فى إيقاظ الجنود النائمين إلا إذا حدث هجوم، فنصف الجيش مستعد، فقال رشيد: «كنت أفكر فى ذلك ولكنني فضلت الرجوع لك أولا»، فقال قاسم: «لا أريد إنهاك الجيش فربما يفعل المجنزرين ذلك الأمر ليهرب البعض إلينا وإلى غيرنا ويظل الجيش مستعدًا ومنهكًا ويستغلوا هم هذا الإنهاك، فقال رشيد: «لا أظنهم يهجمون علينا هذه الليلة فالمسافة بيننا وبين واحة الماء قد تكفي لطلوع الشمس وهم بالتأكيد سيفضلون الارتياح كي يعدوا أنفسهم ويضعوا الخطة للهجوم علينا»، فقال قاسم: «كلامك صحيح، أعلم ذلك، ولكن علينا فقط الاستعداد بنصف الجيش نهارًا والنصف الآخر ليلًا، فربما يكونون قد وضعوا خطة الهجوم علينا من قبل، ولا تنسَ أنهم في بعض الأحيان يقومون بمحاربة واحتين في نفس الوقت فعليك الآن أن تترك الأمر لمساعدينك ليتولوا الإشراف واذهب أنت لتستريح فربما تبدأ الحرب نهارًا»، فرفض رشيد فأصر قاسم وقال: «أنا سأقوم بمراقبة ما يحدث حتى يأتي الصباح»، فذهب رشيد وظل قاسم يمر مع بعض المساعدين على الأبراج ويأمر الرماة بأخذ وضع الاستعداد وإعطاء إشارة إذا لاحظوا قدوم جيش المجنزرين وتكون الإشارة بضرب أقرب الأجراس لتصل الإشارة سريعًا، ومر على جميع المداخل وشدد عليهم وأرسل أحد مساعديه إلى قصر الوزير فأخبر الحراس بأن المجنزرين قد يهجموا عليهم اليوم، فقام الحراس بإيقاظ كبير حراس القصر وأخبروه بما قيل لهم، فظل يعطي الأوامر وأيقظ جميع الجنود ووضعهم في أماكنهم مستعدين حتى أشرقت الشمس، فذهب قاسم لمصعب وأخبره بما حدث ليلة أمس، فقال مصعب: «أنا جيشي على أتم الاستعداد للدفاع عن القصر»، فقال قاسم: «وأنا أيضًا والجميع متمركز ومستعد، فنصف الجيش نهارا

والنصف الآخر ليلا ويجتمع الجيش كاملا في وقت الذروة وحتى غروب الشمس ليتدرب البعض أو ينفذوا بعض الأوامر»، ثم أخبره قاسم بأمر الهاربين التسعة فقال له: «أحضرهم لى الآن»، وظل قاسم ورشيد يتبادلان الحراسة والإشراف لعدة أيام ظلوا طوالها في وضع الخطط الحربية ومراقبة الأبراج حتى أتى يوم فى وقت ذروته، لاحظ الجنود على الأبراج قدوم جيش كبير مسرعًا نحوهم فأطلقوا الأجراس وأسرع بعض الجنود على الخيول لإخبار الجميع والجنود في أماكنهم وخلف الأسوار وعلى مداخل الواحة، فأسرع رشيد بتقسيم الرماة، فكل مساعد من الخمسة مساعدين أخذ مجموعة من الفرق وذهب لأماكن متفرقة من مداخل الواحة وخلف الأسوار، واعتلى الرماة بعض الأبراج الفارغة وسحبوا الدرج معهم إلى أعلى، وأسرع قاسم بأخذ مجموعة كبيرة من الجنود إلى المداخل التي يهاجم منها المجنزرين وكل مساعد من مساعدينه العشرة أخذوا بعض الفرق التابعة لهم وأمر قاسم عددًا منهم بحمل الرماح والاستعداد لإلقائها على جيش المجنزرين والاصطفاف في خطوط متوازية، والجنود الراكبين على الخيول على مسافة بعيدة من أسوار ومداخل الواحة حتى لا يتم اصطيادهم بالأسهم أو النيران، وأخبرهم قاسم أنه عند اقتحام أي مدخل أو هدم أي سور يسرعون إلى مهاجمة المجنزرين بحيث يكون كل قائد فرقة خلفه فرقته يعطيها الأوامر ويكونوا في عون بعضهم البعض.

اقترب جيش المجنزرين من الواحة ولكنهم أوقفوا الزحف حيث أمرهم قائدهم بالوقوف وقال لمساعدينه: «انظروا أاسوار هذه الواحة، إنها عالية جدًا، والأبواب مرتفعة غير أي واحة أخرى، ولكن لماذا هي عالية بهذا الحد؟ أظن أنها خطة لصد هجومنا، ولكن سأجعلهم يندمون وسأسحقهم جميعًا»، ظل قاسم ورشيد والجنود منتظرين تقدمهم فلا هم قادرون على اصطيادهم ولا هم يعلمون لماذا وقفوا ولكن قاسم قال: «أشعر بأنهم تفاجأوا من ارتفاع السور وارتفاع الأبواب»، ثم أتى رشيد وهو راكب على حصانه، وقال لقاسم: «ما الأمر؟» فقال: «أظن أن ارتفاع الأسوار أربكت حساباتهم»، فقال رشيد: «أظن أن جيشًا بكبر حجم جيشهم لا يهاجم واحة مثل واحتنا إلا عندما يتجسس عليها ويعلم مداخلها قبل أن يحتلها»، فقال قاسم: «أظن أن جنون العظمة وكبر حجم جيشهم كما تقول جعلت قائدهم واثق من الانتصار ولا يهتم بما تقول أنت، أو ربما يعلمون كل شيء ويريدون خداعنا أو تدبير بعض الخطط لنا، ولكن علينا أن نراقبهم وننظر ماذا سيفعلون ولا أظنهم يرجعون دون محاربتنا»، فقال رشيد: «بالطبع أظنهم هكذا»، فقال قاسم آمرًا: «اذهب أنت وراقب جنودك وازرع فيهم الحماس».

أمر قاسم أحد الجنود بالذهاب إلى قصر الوزير وإخبار مصعب بما يحدث الآن، فلما علم مصعب أخبر الوزير الذي كان قلقًا فهدأ بعض الشيء وقال: «أتمنى ألا تكون خدعة يمارسها علينا هذا الجيش اللعين»، فقال مصعب: «كن واثقا من قاسم وجنوده فهم قادرون على وقف زحفهم وإعطائهم درسا لا مثيل له لن يمحى من كتب التاريخ»، فقال الوزير: «أتمنى أن يحدث ذلك».

على الجانب الآخر ظل قائد المجنزرين واقفا بجيشه الكبير المتعدد فمنهم الرماة ومنهم من يركب الخيول ومعهم سيوفهم ورماحهم ومعهم عدد كبير من المجانيق

التي تقذف النار وتقذف الطوب ومعهم أدواتهم الحربية غريبة الصنع مثل: حديدة طويلة قطرها نصف متر وطولها يقرب من ثلاثة أمتار لها ستة مقابض يمسك جندي بكل مقبض فيها ورأسها مدببة وهي مجهزة لفتح أبواب الواحات وهدمها ومن ثم انطلاق الجيش، وأيضًا مثل الدروع التي يحملوها حيث بها عدد من البروز المدببة لقتل الجنود بها تحت أي ظرف ومعهم سلالم خشبية يحملها بعض الجنود للصعود على الأسوار لقتل الجنود الواقفين عليه ومعهم أدوات حربية أخرى وعجلات حربية، وظل قائدهم يقول للمساعدين الثلاثة معه: «لن أرجع حتى أذيقهم العذاب»، فقالوا: «ماذا نفعل؟» فقال: «أعطوني قليلا من الوقت، فظل ينظر على الواحة من بعيد لفترة، وقال لأحد المساعدين: «خذ بعض الجنود وارجع للخلف بحيث يظنوا أن الجيش يفكر في الانسحاب وقم بمهاجمة الواحة من مدخل آخر، سيطر عليه وأرسل لنا إشارة بذلك، ولا تقتحم دون إذني»، فأخذ المساعد الجنود ورجع بهم للخلف بعيدا، وقال لمساعده الآخر: «اذهب في الاتجاه العكسي للخلف وقم بأخذ بعض المجانيق التي تقذف الطوب وبعض المجانيق التي تقذف كرات اللهب وعدد من الجنود واضرب الأسوار بالمجانيق حتى تهدم أو تتمكن من السيطرة على المدخل وعند فعل هذا أرسل لنا إشارة بذلك ولا تقتحم دون إذني»، وظل هو واقفا مع بعض الجنود الكثر أيضًا منتظرًا الإشارة لبدء الهجوم.

لاحظ قاسم رحيل عدد منهم، سأل رشيد قاسم: «هل فكروا في الانسحاب؟ فأنا أرى بعضهم يرجع للخلف»، فقال قاسم: «لا أظن الأمر هكذا فربما هناك خطة وعلينا أن نبقى مستعدين»، فقال رشيد: «الجنود جميعهم في أتم الاستعداد وخلف الأسوار لا يوجد فتحة إلا وورائها جندي ومعهم قادة الفرق لا ينتظرون إشارة منا فهم إذا وجدوا أي هجوم فسيقومون باصطيادهم على الفور وعلى الأبراج لا يخلو منها جندي، وأنا ومساعديني الخمسة تممنا على جميع الجنود وزرعنا بداخلهم الحماس»، فقال قاسم: «اذهب يا والى الفرق وشدد على جميع قادة الفرق بالتعامل دون الرجوع إلينا وعلى جنودهم تنفيذ الأوامر»، فابتسم رشيد وقال: «أمرك يا قائد الحرس».

بعد فترة من الوقت لاحظ جنود أحد المداخل الجانبية للواحة والجنود خلف الأسوار اقتراب جيش منهم تتقدمه خيول وعليها رماة أسهم، فبدأ كل قائد فرقة يعطي أوامر لجنوده بالضرب بالأسهم عندما يقتربون، وبالفعل اقترب جيش المجنزرين وأطلق عليهم عدد هائل من الأسهم، فقال قائد المجنزرين: «كيف تخرج الأسهم من خلف السور؟» وأمر الجنود بعدم التراجع ولكن جنود قاسم عطلوا زحفهم والمجانيق التي أعلى منصة بالقرب من هذا المدخل قذفتهم بالطوب وبكرات اللهب فأحرقت بعضهم وأصابت البعض الآخر، وأصابت أيضا خيولهم، بينما أتى رشيد ومعه عدد كبير من الجنود وظل يضربهم بالأسهم مع جنوده ويبث فيهم الحماس، ومنعوا بذلك أي جندي من التقدم، ولكن تمكن المجنزرين من قتل جميع الجنود على هذا المدخل، واصطادوا بالأسهم الجنود الواقفين على برج بالقرب من هذا المدخل فقام قائد فرقة بتوجيه سهم لقائدهم فأصابه في نصف وجهه فسقط قتيلا.

تراجع من نجى من المجنزرين وقتل رشيد ومن معه عددا كبيرا منهم، وعلى الجانب الآخر وفي اتجاه آخر من الواحة لا يوجد أي من المداخل سوى مدخل وهمي من يدخله يجد نفسه في ممر مغلق بالطوب، وعلى بعد من الممر يوجد برج عليه عدد من الرماة، فلاحظ الجنود خلف السور تقدم عدد كبير من المجانيق ومعهم عدد من الجنود يقتربون منهم ببطء شديد ولا يصدرون صوتهم خوفًا من أن يلاحظهم أحد، فأمر أحد مساعدي قاسم بسرعة ضرب الجنود الذين يحركون المجانيق فهم أخطر من غيرهم وعليهم التركيز حتى لا يتمكن الأعداء من هدم السور ودخول الواحة، وأمر هذا المساعد أحد الجنود بإرسال طلب إلى قائد الحرس ووالي الفرق بسرعة تزويدهم بالجنود وإخباره بما يحدث الآن، وعندما قرب المجنزرين، أمر قائدهم بأخذ بعض الجنود والسيطرة على المدخل و وقتل الجنود الواقفين عليه بالأسهم، وأن يصعد بعض الجنود بالسلم ويفتحوا لهم الباب ليقتحموا الواحة وتظل المجانيق تقذف الأسوار دون توقف إلا بإذنه.

وعندما اقتربوا من الأسوار انطلقت عليهم الأسهم التي أربكتهم وقتلت منهم عددا كبيرا، وقال قائدهم: «ما هذا كيف تخرج الأسهم من السور؟ سحقا لهم فهم خلف فتحات في السور»، فأمر الجنود بالتركيز على المدخل وقتل الجنود عليه وأن يصعد بعض الجنود بالسلم لفتح بوابة المدخل لهم وأمرهم بالتصويب على فتحات السور، كل هذا وسط وقوع عدد كبير من قتلى جيش المجنزرين حيث ركز جنود قاسم على المجانيق التي لم تتمكن سوى من صنع عدة شروخ في السور وهدم أجزاء قليلة أعلى السور، أما رمي كرات اللهب فلم يؤثر في شيء ولم تحرق أحد ولكن قتل المجنزرين جميع جنود قاسم الموجودين على المدخل، واصطاد بعض جنودهم قليل من الجنود خلف السور حيث صوبوا عليهم من قرب فاخترقت الأسهم وجوه بعض الجنود خلف السور وتمكن بعض جنود المجنزرين من الصعود أعلى السور من خلال السلالم التى يحملها عدد منهم، ولكن اصطادهم الجنود الواقفين على البرج آخر الممر.

حاول قائد المجنزرين فتح الباب بالحديدة المدببة حتى تمكن من فتح الباب وانطلق فوجد نفسه داخل ممر مغلق وانهالت عليهم الأسهم، بينما قتل المجنزرين بعض الجنود أعلى البرج بواسطة الرماة، فأمر المساعد بأن يصعد بعض الجنود الواقفين خلف السور أعلى هذا البرج فاستطاع أحد جنود قاسم اصطياد قائدهم بالسهم من أعلى البرج، ففروا هاربين، وصاح جنود قاسم مهليلين «انتصرنا انتصرنا، سحقا لجيش المجنزرين»، في حين قام عدد من أبناء الواحة بنقل المصابين إلى أكواخ عرافي الداء.

عندما وصل الجندي الذي أرسله المساعد لقاسم أخبره بأن المجنزرين يهجمون عليهم ومعهم الكثير من المجانيق وعدد من الجنود، فقال قاسم: «كنت أعلم أنها خدعة»، فأمر أحد مساعدي رشيد بسرعة الانطلاق بجيش من الرماة وبعض الجنود الآخرين وسرعة الإبلاغ إذا تمكن جيش المجنزرين من الاقتحام، فانطلقوا ولكن وفور وصولهم وجدوا جنود المجنزرين يفرون هربا وجنودهم يهللون «انتصرنا انتصرنا» فقال المساعد: «لا يعقل هذا فبمجرد قدومي استطعتم

الانتصار، يا لها من حرب سريعة وأنتم أبطال حقًا»، ثم صعد أعلى البرج ليشاهد ما حدث بالخارج فوجد القتلى والمصابين من المجنزرين وقال: «حقا أبطال فهؤلاء القتلى عددهم أكثر منكم خمسة أضعاف وانتصرتم عليهم ولكن علينا الآن سرعة الخروج من أقرب مدخل للواحة وأخذ ما تركه المجنزرين وأخذ هذه المجانيق الكثيرة لندعم بها جيشنا»، فخرجوا إلى خارج الواحة.

وفي هذه الأثناء ذهب رشيد لقاسم وهو يلتقط أنفاسه قائلًا: «جئتك بخبر سيجعلك في غاية السعادة»، فقال قاسم «بشرني به، ماذا حدث ولماذا تتلاحق أنفاسك هكذا؟»، فقال: «استطعنا الفوز على جنود المجنزرين وقتل قائد فرقة تابعة لنا قائدهم وفروا هاربين»، فقال قاسم غضبا: «يا لهم من ملاعين، سحقا لهم، فهم أيضًا يقومون الآن بمهاجمتنا من الناحية الأخرى، ولقد أرسلنا بعض الجنود لهم مع أحد مساعديك»، فقال رشيد: «أتقصد أنهم قسموا أنفسهم إلى ثلاثة فرق؟»، فقال قاسم: «نعم، فرقة أمامنا وفرقة تهاجمنا من ناحية انتصرنا عليها بفضل الله وبفضل شجاعتك واستبسال جنودنا وناحية أخرى يهجمون علينا منها الآن ومعهم عدد كثير من المجانيق»، فقال رشيد: «إذًا سأذهب لهم»، فقال قاسم: «لا، ارجع إلى مكانك واستعدوا فقد يرجع المجنزرين مرة أخرى ويهجمون علينا من نفس هذا الاتجاه، ارجع أنت وخذ بعض الجنود معك»، فانطلق رشيد مسرعا، ثم قال قاسم لأحد مساعديه: «خذ بعض الجنود واذهب إلى الناحية التى أرسلنا فيها مساعد رشيد، وأخبر الجنود بالتركيز على المجانيق فهم أخطر بكثير، وفي حالة اقتراب المجنزرين من الاقتحام أرسل لنا فورًا لدعمك»، وظل قاسم يراقب قائد المجنزرين.

رجع جنود المجنزرين الهاربين وأخبروا قائدهم بأن مساعديه الاثنين قد قتلوا، وأخبروه بكل ماحدث وبالمدخل الوهمى والممر الذي أصبح مصيدة لهم، فظل يلعن في جنوده وفي جنود قاسم وقال: «لن أرحل حتى أقطع رأس قائدهم، وأعلقها على مدخل هذه الواحة»، وأمر جنوده بالاستعداد للهجوم على الواحة من نفس الاتجاه الذي يوجد به المدخل الوهمي والممر وأمر جنوده بالانسحاب والتوجه إلى هذا الاتجاه لمحاربة الواحة، فرجعوا للخلف وتقدمت صفوف الرماة الراكبين على الخيول وأمرهم قائدهم بقتل أي جندي خلف فتحات السور، وأن يتفرق الرماة الركبون على الخيول ويصوبوا من عدة أماكن مختلفة لإرباك جنود قاسم وتغطية جيشهم حتى يتمكن من هدم الممر الوهمي المغلق بأي طريقة.

لاحظ قاسم اختفاء جيش المجنزرين فعلم بأنهم سيهاجمون الواحة مرة أخرى فأرسل بعض الجنود بقيادة مساعد له إلى رشيد ليخبره بأن المجنزرين قد يكونوا قادمين لمحاربة الواحة مرة أخرى وأرسل بعض الجنود بقيادة مساعد آخر له إلى الاتجاه الآخر للتدعيم، وقال لهم: «لن أستطيع ترك هذا المدخل فربما يهاجم المجنزرين منه، ويكون انساحبهم خدعة لنا، ولكن أخبروني بما يحدث فور وصولكم».

لما علم رشيد باختفاء المجنزرين أرسل بعض جنوده إلى الأبراج التى تتوسط الواحة وأمر بنزول نصف الرماة لدعمه وتكثيف العدد، وعلى الجانب الآخر عندما

وصل مساعد قاسم الذى أرسله لدعم مساعد رشيد وجنوده فلم يجدوا سوى عدد قليل من الجنود الذين أخبروه بالانتصار وأن مساعد رشيد خرج ليجمع السلاح والمجانيق ليدعم الجيش فصعد مساعد قاسم إلى أعلى البرج ونظر إلى ما يحدث بالخارج فوجد مساعد رشيد وبعض الجنود يجمعون ما تركه المجنزرين فقال لهم بصوت عالٍ: «نصركم ثمين ولكن كان عليكم أن لا تخرجوا أبدا إلا بأمر من قائد الحرس»، فقال مساعد رشيد له بصوت عالٍ: «القائد قاسم أمرنا بالتصرف الكامل فنظر له مساعد قاسم دون كلام، ثم أمر بنشر الجنود خلف الأسوار وعلى الأبراج وأعد الصفوف مرة أخرى وأوقفهم مثلما أمر قاسم، وأرسل أحد الجنود ليخبر قاسم بالانتصار على جيش المجنزرين ولكن قبل أن يذهب هذا الجندي وصل المساعد الآخر الذي أرسله قاسم للدعم قائلًا: «إن قائد الحرس يخبركم بأن المجنزرين عائدين لمحاربة الواحة فربما يهجمون مرة أخرى من هذا الاتجاه»، ثم قال للجندي المرسل لقاسم «اذهب وأخبر قائدنا بهذا الانتصار»، ثم قال مساعد قاسم الأول لمساعد قاسم الثاني «إن مساعد رشيد وبعض الجنود بالخارج يجمعون ما تركه المجنزرين»، فقال الثاني: «علينا سرعة إخبارهم بالدخول للواحة فربما يأتى المجنزرين ويقضون عليهم»، فصعد المساعد الأول إلى البرج فقال لمساعد رشيد بصوت عالٍ: «ارجع يا صديقي وادخل بجيشك وانتظر أمرًا من قائد الحرس»، فأجابه بصوت عال: «لا تخف فقد انتصرنا وما تركوه هو ملكنا وقائد الحرس أعطانا التصرف الكامل»، فقال له: «ارجع فجيش المجنزرين قادم لنا مرة أخرى»

وفي تلك اللحظة اقترب بعض جنود مساعد رشيد من المصابين ومن يظنوهم قد قتلوا من المجنزرين فقتل عدد من جنود المجنزرين بعض جنود مساعد رشيد بالدرع المدبب، فصرخ مساعد رشيد قائلا لهم: «ابتعدوا عن دروعهم اللعينة مثلهم»، وسرعان ما قام جنوده بغرز الرماح في أجسادهم، وفي هذه اللحظة أخبر الجندي المرسل لقاسم أن الجنود قد انتصروا على المجنزرين وقتلوا قائدهم في الممر المغلق، فابتسم قاسم وقال بصوت عالٍ: «هنيئا للأبطال ولكن اذهب أمامي وأخبرهم بعدم ترك أماكنهم وأن يكونوا في وضع الحرب، فربما يحاربهم المجنزرين مرة أخرى»، ثم قام قاسم بإرسال عدد آخر كبير من الجنود إلى نفس المكان بقيادة مساعد ثالث له، بينما كان يدور حوار داخله قائلا: «أنا الآن في حيرة هل أبقى مكاني هنا أم أذهب إلى رشيد أم إلى الثلاثة مساعدين، فأنا لا أضمن حماقة جيش المجنزرين، ولكن أظنهم سيهجمون من إحدى المداخل التي هزموا منها فهم لا وجود لهم هنا حتى الآن»، ثم قطع حديثه الداخلي وقال لأحد المساعدين: «كن مكاني هنا وإذا حدث شيء أرسل لي فورًا» وأخذ قاسم معه قليل من الجنود وانطلق إلى الثلاثة مساعدين وفى هذه اللحظة ظل جنود مساعد رشيد يغرزون بالرماح في بطون المجنزرين الذين أصابوا عددًا منهم بالدرع المدبب وبينما هم يجمعون أنفسهم للدخول للواحة اقترب جنود المجنزرين، فصاح مساعد قاسم الذي هو أعلى البرج قائلا: «أسرعوا بالفرار إلى داخل الواحة فالمجنزرين خلفكم» وبدأ في إطلاق جرس الإنذار، ولكن اقترب جيش المجنزرين القادم بسرعة عالية منهم وقتلوا مساعد رشيد وجميع جنوده ولم يستطع أحد النجاة منهم، وبدأت المعركة

فأعطى أحد مساعدي قاسم الأوامر للرماة بسرعة التصويب وأتى مساعد قاسم الثالث والتحق بالمعركة التي قد بدأت.

أمر قائد المجنزرين بعض جنوده بالإمساك بالمجانيق وقذف الممر والسور والتصويب على الجنود خلف فتحات السور فظل رماة المجنزرين الراكبين على الخيول يصوبون ويقتلون، فقتلوا عددًا كبيرًا من جيش قاسم لكبر عددهم، حتى وصل قاسم وشاهد أن جيش المجنزرين يفتك بجيشه وأن الممر وبعض أجزاء من السور أوشكت على الهدم فجمع رماة الرمح وأمرهم برمي الرماح في داخل الممر فأصابوا عددا كبيرًا وصعد قاسم إلى البرج فشاهد ما يحدث، ورأى كثرة عدد جيش الأعداء؛ فأرسل بعض الجنود لإخبار بعض المساعدين له بإرسال عدد كبير من الجنود لهم حتى يستطيعوا إكمال المقاومة، وأرسل جندي إلى رشيد يخبره بإحضار عدد من الجنود ويبقي على البعض الآخر ويبقي على المساعدين ويكونوا في أتم الاستعداد.

استمر قاسم وجنوده في المقاومة فكلما مات أو أصيب أحد من الرماة خلف السور أمر بأن يدخل مكانه آخر، والمتطوعين من أهل الواحة يقومون بسرعة نقل المصابين إلى أكواخ عرافي الداء، وظل قاسم يحمس فيهم ثم صاح قائلا: صوبوا على المجانيق، حتى بدأ الممر في التهدم فحمل قاسم القوس وبدأ بتصويب السهام من أعلى البرج هو وجنوده على جنود المجنزرين في الممر حتى جعلهم يتراجعون بعض الشيء ثم يتقدمون مرة أخرى ويكملون الهدم ورمي السهام وقذف الطوب وكرات اللهب التى لم تكن تؤثر لأنها تصطدم بالسور لارتفاعه، بينما الطوب كان يوجه على الشرخ حتى يهدم السور كاملًا ويستطيعون الدخول وظلوا هكذا حتى أتى مساعد آخر لقاسم بعدد من الجنود فنزل قاسم مسرعا من على البرج وجمع جميع جنوده ما عدا الجنود خلف السور وأعلى البرج وابتعد قليلا وقال لجنوده: «الممر سيُهدم الآن فعليكم الاصطفاف»، فجعل بعض الرماة أمامه حاملين درع الرماة ثم خلفهم جنود يحملون الرماح والدروع وخلفهم جنود يحملون سيوفا ودروعا وخلفهم جنود راكبين على الخيول ومعهم سيوف ودروع، ثم أردف قائلًا: «عندما يُهدم الممر أو السور سأعطي لكم إشارة البدء في الانطلاق، وكونوا شجعان فنحن سنصمد أمامهم وجنودنا أعلى البرج وخلف الأسوار سيكونون عوننا لنا».

ظل قائد المجنزرين كلما مات جنوده داخل الممر أرسل آخرين حتى هدم أعلى جزء من السور وظهر الجنود بداخله لقاسم وجنوده ولكنهم لا يستطيعون الدخول فأمر قاسم الرماة الحاملين لدرع الرماة والرماة على الخيول بتصويب سهامهم نحوهم فقتلوهم جميعا، وصوب المجنزرين على الرماة أعلى البرج فقتلوا منهم عددا كبيرا، وأتى رشيد ومعه عدد كبير من الجنود فأمر قاسم الرماة بالصعود للبرج حتى اكتمل عدده فأصبحوا قوة ضاربة لجيش المجنزرين، حينها أرسل قائد المجنزرين الرماة والرماة الركبوين على الخيول داخل الممر فقتلوا عددًا من جنود قاسم ولكنهم قُتلوا جميعًا بعدها؛ فازداد غضبا وأمر عددًا كبيرًا من الجنود بهدم ما تبقي من حائط الممر، فتمكنت المجانيق من هدم السور وفتحت به أجزاءً يستطيعون

منها الدخول، فأمر قاسم رماة الرمح والسهم برمي الرماح والأسهم فقتلوا عددًا كبيرًا منهم.

بينما جثا رشيد أرضا على ركبتيه هو وجنوده وظلوا يصطادون بسهامهم عددا كبيرا من جيش المجنزرين، وكذلك الجنود أعلى البرج وخلف الأسوار ظلوا يقذفون السهام وكل من يقترب من جيش المجنزرين يقذف بالسهم والرمح، ولم يعطِ لهم الجنود فرصة.

في نفس الآن كانت المجانيق تقذف على الممر وأجزاء أخرى من السور حتى هُدم الممر وأجزاء من السور وهجم المجنزرين وتمكن عدد كبير منهم من الاقتحام، فأمر قاسم جنود السيف والدرع بالتقدم للاحتكاك معهم فانطلقوا بشكل منظم وقتلو عددًا من جنود المجنزرين الذين وبالمقابل قتلوا منهم الكثيرين، فأمر قاسم جنود الخيول بالتقدم للتصويب فانطلقوا بشكل متوازي كل قائد فرقة خلفه فرقته وقتلو عددا كبيرا من المجنزرين.

دخل قاسم بعدها ركبا حصانه وأطاح بسيفه برقاب بعض من جنود المجنزرين، بينما اقترب رشيد أكثر هو وجنوده وظلوا يرمون السهام ولاحظ أن البرج قد مات أكثر من نصف من كان عليه فأمر بعض الجنود بصعود البرج ورفع السلم ورائهم حتى اكتمل عدد مَن في البرج وحاول بعض جنود المجنزرين صعود البرج حاملين سُلم فاصطادهم رشيد وجنوده قبل وضع السلم، فاتجه عدد من المجنزرين لقتل رشيد وجنوده ولكنهم لم يستطيعوا التقدم فكل من يقترب ينهال عليه وابل من السهام ويسقط قتيلًا.

قتل قاسم ومساعديه عدد من الجنود وعادت قوة جيش قاسم مرة أخرى وحاول قائد المجنزرين بث الحماس في جنوده ولكن عندما قتل الرماة عددًا كبيرًا من الراكبين على الخيول وأعمل قاسم ومساعديه وجنوده سيوفهم في رقابهم فهرب المجنزرين بعدد قليل جدًا من الجنود ومعهم قائدهم الذي لم يتقدم ليحارب بل فقط ظل يعطي الأوامر من الخارج.

هلل رشيد والجنود: «هزمناهم هزمناهم»، وقاموا بحمل قاسم ورشيد على الأعناق فسالت الدموع من عين قاسم ثم قال: «أنزلوني»، وصعد أعلى البرج وقال: «بفضل استبسالكم وشجاعتكم والحيل التى استخدمناها استطاعنا صد هجوم أعظم جيش لم تقف أمامه أي واحة سوى واحتنا فالتاريخ سيشهد لنا دائما أننا انتصرنا على جيش عنيف وعنيد أرهقنا وكاد أن يدخل واحتنا ويستولي عليها»، ثم هلل وصاح: «نحن أبطال نحن شجعان»، وردد خلفه الجيش، وأرسل قاسم أحد الجنود إلى قصر الوزير لإخباره بالانتصار على المجنزرين.

قال قاسم لرشيد: «لن أنام اليوم حتى تبني هذه الأسوار وتصلح البوابة ويبنى الممر»، فقال رشيد: «لا عليك فكل شيء سيعود كما كان»، وبالفعل بدأوا في إصلاح البوابة وبناء الممر والسور.

حين وصل الجندي إلى كبير حراس القصر وأخبره بما حدث فقام بإخبار الوزير الذي عندما سمع الخبر ابتسم وظل يردد: «فعلها قاسم»، ثم قال: «الشكر لك يا مصعب في اختيارك لقاسم فقد نجحت مهمته وحافظ علينا جميعا، أحضر لي قاسم الآن»، فقام مصعب بإرسال أحد الجنود له وهو يتابع أعمال البناء والإصلاح.

لما ذهب قاسم لمصعب حياه مصعب على انتصاره، فشكره قاسم على اختياره له لهذه المكانة وعلى الاعتماد عليه، فقال مصعب: «اليوم كلنا شاكرين لك لشجاعتك وحيلك واستبسال جيشك»، ثم ذهب قاسم إلى الوزير الذي قابله بابتسامة وقام باحتضانه لأول مرة وقال له: «أنت شجاع يا قاسم فقد رفعت رأسنا وأزلت همنا وتوترنا وهدأت من روعنا وحميتنا من الهلاك، وأرحتني فقد كادت رأسي أن تنفجر من التفكير والقلق»، فقال قاسم: «الشكر الأول لاستبسال جنودي وعدم خوفهم من جيش الملاعين هذا»، فقال الوزير: «لولا حيلك التي فعلتها وأفكارك المبهرة في جعل الواحة حصنًا منيعا لفتك جيش المجنزرين بجيشنا وأذاقونا العذاب، من اليوم يا قاسم لك ولجيشك أجر ومكافأة لا مثيل لها، سأعطيها لكم من أموال خزانة القصر وتعلن غدًا في يوم الاحتفال بالنصر على أقوى عدو لنا، وسأجعل هذا اليوم عيد رسمي للواحة»، ثم قال لمصعب: «أرسل المنادين في الشوارع لإبلاغ الناس بأن غدًا ستشهد الواحة احتفالا كبيرا بقائد الحرس وجيشه، وأن اليوم سيصبح عيدًا رسميًا للواحة»، وقال لقاسم: «اذهب يا بطل ونم الليلة في سلام لتكن جاهزا غدًا، أسعدت الجميع وأنا بصفتي مسؤول عنكم جميعًا سأسعدكم بقدر ما أستطيع»، ثم خرج قاسم وركب حصانه وذهب إلى بيته فوجد حوله مجموعة من الناس يهتفون قائلين: «يحيا القائد قاسم وجيشه»، واستقبلوه وحملوه على أعناقهم قائلين له: «أنقذتنا يا لك من قائد شجاع»، فرد عليهم بعدما نزل من على أعناقهم: «الشكر ليس لي وحدي وإنما لمساعديني ولأخي رشيد وكل جندي من جنود الواحة، فلولا استبسالهم وصمودهم لأصبحنا في هلاك لا محالة».

خرج أولاد قاسم وأولاد رشيد فاحتضنهم بسرعة أولاده وأولاد رشيد، في اللحظة التي أتى فيها رشيد فحياه الناس واحتضن رشيد أولاده وأولاد قاسم، ثم ودع كلاهما الناس وشكروهم. قال رشيد لقاسم: «كل ما أتلفه المجنزرين تم إصلاحه»، فقال قاسم: «عمل جيد وجهد معتاد من قائد مثلك».

دخل رشيد وقاسم إلى البيت حيث استقبلتهم زوجاتهم واحتضنوهم وبكوا جميعا، فقالت صابرة: «كنت أبكي وأدعو الله خوفا عليكما»، وقالت ماهرة: «منذ أن سمعنا صوت الأجراس ونحن لم نتوقف أبدا عن البكاء، وكنا خائفين والحمد لله على سلامتكم»، فقالت صابرة: «هنيئا لكم النصر أنتم بذلتم كثيرًا من الجهد وسهرتم الليالي فكان النصر حليفكم»، ثم جلسوا وتناولوا الطعام وذهبوا لينالوا قسطًا من النوم والارتياح.

حلّ الصباح واستيقظ قاسم على صوت بعض الآلات الموسيقية التي تعزف له في الخارج، فخرج قاسم وشكرهم، فقال أحد منهم: «لقد أرسلنا الوزير لنطوف في شوارع الواحة على أن نبدأ ببيتك أولا»، فشكرهم قاسم ثم انطلقوا ودخل البيت وجلس هو ورشيد وزوجاتهم وأولادهم وقال قاسم: «رغم سعادتي بالانتصار إلا

أنني في غاية القلق فجنود المجنزرين حتما سيعودون لمهاجمتنا فهم لن يقبلوا بالهزيمة أبدا»، فقال رشيد: «سنلقنهم درسًا آخر إذا أتوا وسنقوي أماكن ضعفنا وسنصبح أقوى مما كنا نحن عليه»، رد قاسم: «الأمر ليس بهذه البساطة يا عزيزي فجيش المجنزرين إذا عاد لمهاجمتنا فسيكون جيشًا أعظم بكثير مما كان وسيحاربوننا من جميع الاتجاهات، وأنا لديّ بعض الأفكار سأقترحها على الوزير ولكن ليس اليوم حتى لا أفسد فرحته بالانتصار»، فقالت صابرة: «أعانك الله على حجم المسئولية التي أنت فيها وحفظ الله عقلك المدبر الرشيد ولا تتردد في أي شيء تراه خيرا للجميع»، فقال قاسم: «بالطبع لن أتردد ولن أتاخر في اتخاذ أي قرار يكون في صالح الجميع».

أرسل الوزير جنودا لقاسم ورشيد ومعهم ثلاثة عربات حربية فركب قاسم عربة ورشيد ركب الأخرى وأخذو أولادهم وزوجاتهم معهم وانطلقوا نحو ساحة الاجتماعات الخاصة بالواحة للاحتفال وإلقاء كلمة. كان الطريق للساحة مليئًا بالجنود والناس يحيون قاسم ورشيد، وحين وصلوا صعدوا على المنصة ثم أتي الوزير وكبير حراس القصر وصعدوا على المنصة وجلسوا عليها هم وزوجاتهم وأولادهم، وضرب أحد الجنود الجرس فصمت الجميع، وأشار الوزير بالبدء في الاحتفال؛ فعزفت فرقة بعض الألحان الموسيقية وألقى الشعراء قصائدهم، ثم قام الوزير وقال بصوت تملؤه السعادة والفرح: «أهل واحتى العظيمة واحة الزراعة اليوم نحن في عيد ومنذ تلك اللحظة يعتبر يوم الانتصار على جيش المجنزرين وحماية أرواح الناس بالأمس هو عيد رسمي للواحة»، فصاح الناس مهللين ثم أكمل الوزير قائلا: «قاسم وجيشه حفظوا دمائنا من هلاك محقق فوجب علينا زيادة أجورهم وإعطائهم الهدايا وتعويض أهل القتلى بمبالغ مالية ضخمة ومكافآت مجزية للمصابين، وكل هذا من خزينة القصر، ونحن جميعا مدينين بالشكر لقائد الحرس وأخيه رشيد والي الفرقة وقائد الرماة»، فهلل الناس ثم أكمل الوزير قائلا: «أشكر أهل الواحة الذين ألقوا بأنفسهم فى التهلكة من أجل إنقاذ المصابين وإرسالهم إلى أكواخ عرافي الداء، وكل التقدير لكل عراف داء ساهم في إنقاذ مصاب ولهم مكافأة مجزية على دورهم، كما قررت من اليوم إنشاء قصرين يليقان بقائد الحرس ووالي الفرق وتكون هذه المرة الأولي التي يصبح فيها لقائد الحرس قصر له حراسه كقصر الوزير»، فقام قاسم ورشيد وشكروا الوزير ثم قال قاسم للناس: «الفضل كل الفضل لجنودي البواسل الشجعان ولكبير حراس القصر وللوزير بالاستجابة لمطالبنا والمساندة المستمرة التي أكسبتنا هذه القوة».

انتهى الاحتفال، ومرت أيامٍ قليلة، وعين قاسم قائد الفرقة الذي قتل مساعد المجنزرين مساعدًا لرشيد خلفًا للمساعد الذي قُتل وهو يجمع الغنائم، وعين الجندي الذي قتل مساعد المجنزرين الآخر قائد فرقة وقال قاسم: «هذه مكافآت بسيطة لتحقيق مبدأ العدالة، وعليكم أيها الجنود بذل الجهد والتدريب فحتما سنخوض أكثر من معركة في الأيام المقبلة، وسأقوم ببعض التغييرات التي من دورها ستعزز قوتنا وتجلعنا أكثر صمودًا أمام جيوش المجنزرين اللعناء الذين أسقطوا عددا كبيرًا من

القتلى في صفوفنا ولولا استبسالكم وحسن تصرف الرماة في اصطيادهم لنجحوا في السيطرة على واحتنا».

أرسل قاسم منشورًا لوزير الواحة بتغيير جميع اتجاهات مداخل الواحة، وعلل قاسم طلبه بأن الأمر غير مكلف لأنه فقط يجب خلع الأبواب الضخمة وإغلاق مكانها بالطوب وعمل مداخل أخرى بنفس الطول ووضع هذه الأبواب عليها، وإن الأمر في الأساس هو للخداع الدئم لجيوش المجنزرين وإرباك حسابتهم بعدما علموا جميع مداخل الواحة، كما طلب قاسم السماح له ببناء عدة أبراج حول اسوار الواحة لزيادة الدعم وتقليل الخطر، فسمح له الوزير وكبير حراس القصر بفعل ذلك وبدأت الواحة تشهد تغيرا في المداخل وغلق الأخرى، وبدأ الجنود والعمال بحمل الأبواب الضخمة ونقلها وسط مساعدة أهل الواحة، وأمر قاسم بضرورة إرشاد الجنود الذين على الأبراج للناس التي تطلب دخول الواحة وإخبارهم بتغير المداخل.

أرسل قاسم بعدها بعدة أيام بعض جنوده خارج الواحة متنكرين في زي أشخاص عادية لمعرفة أقرب الواحات المجاورة لواحة الزراعة وهل هي محتلة أم لا، فعلم قاسم أن هناك أربعة واحات في اتجاهات مختلفة ولكنها قريبة لهم وليست محتلة فطلب من الوزير التعاون معهم وذكر قاسم أسماء الواحات وهم (الجبال/الأشجار/العطور/الأسماك) وأخبر قاسم الوزير بأمرهم قائلًا: «هذه الواحات مساحتها قليلة وجيشها قليل ولن يصمدوا أمام جيش المجنزرين أبدا، أيضًا تعاوننا معهم سيزيد من قوة جيشنا ويحمينا فلا نصبح محاصرين فجيش المجنزرين إن حاصرنا هلكنا وتمكنوا منا، وإن قمنا بالهرب لحقوا بنا وقتلونا، وحصارهم سيقلل من مواردنا فلا أحد يدخل للشراء ولا أحد يستطيع الخروج كما انهم لن يهدأوا حتى يهجموا علينا مرة أخرى، وستكون المرة القادمة أشد بكثير وإن جيشنا لا يستطيع سوى صد الهجمات، وذلك الأمر لن يدوم طويلا، وأنا أريد تصعيب المهمة على جيش المجنزرين حتى يجدوا أنفسهم إن حاربوا واحة واحدة وجدوها خمس واحات، وسيساعد ذلك في إرباك حساباتهم ويفقدهم قوتهم ويعطل كل خططهم نحونا، فنحن من الآن في خطر أشد مما كنا عليه». فرد الوزير قائلًا: «يا قاسم أنت شخص عظيم، وقائد لن ينقص التاريخ من حقك أبدا فأنت عقل مدبر، وفكرك عظيم بالطبع، وأنا أوافق على اقتراحك هذه دون تردد، ومن الآن سأرسل لهم الرسل وأطلب منهم التعاون وننتظر الجواب منهم»، فقال قاسم: «لا، أنا أريد أن أذهب بنفسي لهم»، فقال الوزير فزعا: «لا، أنا أخاف عليك، فليس الخروج أمن عليك على الإطلاق»، فقال قاسم: «أنا سأذهب متخفيًا في زي أشخاص عاديين، وذهابي هو لمزيد من إقناع وزير كل واحة حتى تكتمل الرؤية، ولا يتردد أحد ولا نستغرق المزيد من الوقت»، فقال الوزير: «لن أقف أمامك فلقد أقنعتني بالتأكيد، فاذهب وسأرسل معك منشور مختوم مني لكل واحة، واعرض الأمر عليهم وأكّد عليهم بأن التعاون حربي فقط لزيادة التصدي لجيش المجنزرين، ولكن خذ معك عدد من الجنود متخفين مثلك»، وقام الوزير بكتابة أربع منشورات وختمها وإعطاها لقاسم.

ذهب قاسم للبيت وتحدث مع رشيد وقال له: «أريدك أن تذهب معي لأربع واحات متخفيين في زي أشخاص عادية»، وحين سمعت زوجاتهم هذا الأمر ظلوا يقنعوهم

بعدم الذهاب وإرسال مساعدين بدلا منهم، فطمأنهم قاسم وقال: «سنأخذ عددًا من الجنود معنا متخفين في زي مثلنا، كما أن الواحات الذاهبين لها ليست محتلة ولا يوجد أي من الأعداء بالقرب منها»، وبالفعل أخذ قاسم عددًا من الجنود متخفين في زي أشخاص عادية وركبوا خيولهم وخرجوا خارج الواحة متجهين نحو واحة الجبال و هي أكبر واحة من الواحات الأربعة، حيث يوجد على مدخلها بعض الجبال وبداخلها أيضًا بعض الجبال ولذلك سميت بواحة الجبال.

ننتقل إلى واحة الغربان حيث وصل قائد جيش المجنزرين إلى زعيم المجنزرين وأخبره بما حدث وبما شاهدوه من مدخل وهمي وممر مغلق وارتفاع الأسوار والبوابات عن بقية الواحات الأخرى، فصاح فيه غاضبا: «كيف يحدث هذا؟ فجيش المجنزرين لم يهزم قط، أنت جلبت لنا العار بهزيمتك هذه، معك كل هذا الجيش ولم تستطع السيطرة على واحة حمقاء مثل واحة الزراعة، سحقا لك ولولا أنك قد انتصرت على عدد من الواحات الأخرى لقتلتك بسيفي الآن، فنحن لدينا عدد من القادة المميزين غيرك، وجميعهم قد انتصر في كل الحروب التي خاضها»، فقال القائد: «الأمر لم يكن متوقعا بالنسبة لنا، فهم قد استعدوا ووضعوا لنا الخطط والحيل التي فاجأتنا»، فقال الزعيم: «وما الجديد في ذلك؟ فكل الواحات الآن تخاف من ملكنا ومن قوة وعدد جيشنا وتضع الخطط الحمقاء مثلها، ولكن الغلبة تكون لنا في نهاية الأمر، والمهم الآن أن حياتك أصبحت مرهونة عندي بالسيطرة على هذه الواحة، وقتل وزيرها وقائد حرسها، ولضمان ذلك الأمر عليك محاصرة الواحة حتى لا يهرب قائد حرسها أو وزيرها، وإن هربوا لحقنا بهم وقتلناهم، وعليك إذلالهم بالحصار، فاحتل الواحات القريبة منهم وقم بالتعاون مع وزراء الواحات التابعة لنا والقريبة من واحة الزراعة ولا مانع من الهجوم على أي واحة في طريقك، فأنا أريد الانتهاء في أسرع وقت من السيطرة على كل الواحات في أرض الواحات العظمى، فنحن لا ينقصنا شيء نحن قوة كبيرة ولن يقدر أحد علينا، اذهب واستعد بجيش عظيم ولا بديل عن الانتصار»، فذهب القائد وبدأ في الاستعداد والتحرك نحو واحة الزراعة.

ننتقل إلى قاسم ورشيد حيث استطاعوا دخول واحة الجبال على أنهم متسوقين يريدون شراء أشياء من السوق، ثم توجهوا نحو قصر الوزير بعدما سألوا أحد الأشخاص ووصف لهم مكان القصر وعندما وصلوا قصر الوزير أوقفهم جنود الحرس فقال قاسم: «أريد مقابلة الوزير فأنا رسول من أحد الواحات ومعى رسالة مهمة أحملها للوزير»، فأخبر أحد الجنود كبير حراس القصر فخرج لهم وقال: «من أنتم؟» فقال قاسم: «أنا رسول من واحة الزراعة، وهؤلاء معاونين لي، نريد مقابلة الوزير في أمر جلل»، فأدخلهم كبير حراس القصر داخل ساحة القصر ودخل للوزير وأخبره، فأمر بدخولهم له ولكن لم يدخل للوزير سوى قاسم الذي أعطى منشورا للوزير يثبت فيه أنه جاء بأمر من وزير واحة الزراعة، فقال الوزير: «علمت منذ أيام قليلة أنكم قد انتصرتم على جيش المجنزرين بفضل قائد الحرس وبعض الحيل التي فعلها، ولكن دخولي في اتحاد معكم الآن سيجلب لي الكثير من المشاكل ويدخلنا في حروب أنا لا أريدها»، فقال قاسم: «واحة الزراعة

تتطلع للتعاون معكم ومع ثلاثة واحات أخرى»، فقال الوزير: «ما هي الواحات الثلاثة؟» فقال قاسم: «واحة العطور والأشجار والأسماك، هذا غير أن جيش المجنزرين لن يترك أحدًا يعيش في سلام، إما الدخول في حرب وإما الاستسلام وفي كلا الأمرين هو احتلال وسيطرة على جميع ما في الواحة»، فقال الوزير: «اذهب إلى وزيرك وأبلغه رفضي وقل له جيش المجنزرين لن يهدأ حتى يهجم على واحتكم مرة أخرى وأنا لا أريد الدخول في حرب أنا لست طرفًا فيها»، فقال قاسم: «أنا لست رسول واحة الزراعة بل أنا قاسم أنا قائد الحرس»، فقال الوزير: «ماذا؟، أنت قاسم فلماذا لم تخبرني في أول الأمر ولماذا أتيت بهذا الزي؟ فأنا في أول الأمر كنت سأقول لك كيف لرسول واحة لا يرتدي زيه الرسمي»، فقال قاسم: «لأنني كنت أريد أن يكون تعاوننا سرا حتى نتفق على كل شيء ثم نعلن ذلك ونكون عوننا وحصننا لصد هجوم المجنزرين»، فقال الوزير: «اتحادي معكم الآن سيكون بمثابة خسارة لي ودخولي في حرب لست طرفا فيها، وجيش المجنزرين إن علم بذلك الاتحاد فسيرسل جيوشا ضخمة ولن يهدأ حتى يسطر علينا ويقتلنا جميعا»، فقال قاسم: «وأيضًا لن يهدأ جيش المجنزرين حتى ينهب ويسطير على كل الواحات»، فقال الوزير: أعطني بعض الأيام لأفكر، وسأرسل لكم رسول مني ولكن ليس وعد مني أن أتحد أو أدخل في حرب قد تعرضني للخطر فحتمنا سأقتل»، فخرج قاسم وأخبر رشيد برفض الوزير، وانطلقوا نحو واحة الأسماك التي ينتشر فيها السمك ويعتبر الوجبة الأساسية لهم ومعظم أهل الواحة صيادون أو بائعون للأسماك، فدخلوها بنفس الطريقة ودخل قاسم ورشيد إلى وزير الواحة فقال: «لا لن أدخل في تعاون حربي أو أي تعاون على الإطلاق، فهو إنهاك لقوتنا وقوة جيشنا، فما ذنبي أن تدخل أي واحة منكم في حرب وأقوم أنا بالدفاع عنها، وماذا إن قتل الكثير من جنودي؟ وماذا إن نجح المجنزرين في السيطرة على أحد الواحات المتعاونة معي؟ وكيف سيكون مصيري ومصير جيشي؟»، فصمت قاسم وأخفض رأسه للأسفل، فقال رشيد: «جيش المجنزرين لن يترك أحدًا فهو يتبع خطة للسيطرة على جميع الواحات، والتعاون يحمينا ويحميكم ويضاعف قوتنا»، فقال الوزير: «أعلم كل هذا ولكن تعاوني معكم سيعجل احتلالي وقد ينهي حياتي قريبًا»، وحين جنّ الليل عليهم أمرهم هذا الوزير بعدم الذهاب ليلا وأخبرهم أنهم في ضيافته حتى يأتي الصباح، وعندما أتى الصباح اتجهوا نحو واحة العطور التى تعتبر أشهر الواحات في صناعة الروائح الجميلة والنفيسة، وتفوح منها رائحة الياسمين والورود والروائح الجميلة، ولما علم وزير واحة العطور أنه قائد الحرس فنزل من على الكرسي وجلس بجوار قاسم وقال له: «أنت قائد عظيم نجحت في مهمتك الأولى أمام جيش المجنزرين، ولكن اعلم أن المجنزرين سيعودون لمهاجمتكم مرة أخرى، فعليك الحفاظ على قوة جيشك ولقنهم درسا آخر، ولكن لن أستطيع أن أوافق على تعاوني معكم الآن وفي ظل توقع حرب شرسة بينكم وبين جيش المجنزرين ولذلك أنا أعتذر الآن، ولكن ربما يأتي الوقت المناسب لنتحد مع قائد عظيم مثلك»، فخرج قاسم غاضبا هو ورشيد وقال قاسم: «كل الواحات رفضت التعاون الذي سيمنحها القوة لمجرد علمهم بأن جيش المجنزرين سيحاربنا، عجبًا لهم ألم ينظروا إلى الواحات التي تنهب يوما بعد يوم!» فقال رشيد: «لا تحزن يا قاسم عندنا أمل

بسيط في واحة الأشجار»، فقال قاسم: «لا أعتقد بأن وزيرها هو الآخر سيوافق على التعاون معنا وأيضًا التعاون مع واحة واحدة لا يكفي على الإطلاق ولا يجعلنا قوة هائلة»، فقال رشيد: «التعاون مع واحة خير من عدم التعاون على الإطلاق، فلا تيأس فربما يحدث عكس ما نتوقع».

ذهب قاسم ورشيد إلى واحة الأشجار التي تكثر فيها أشجار الزيتون والرمان والليمون ولذلك سميت بهذا الاسم، فقال وزيرها: «التعاون أمر جيد لا شك ولكن في هذا التوقيت هو صعب جدا لوجود حرب دامية بينكم وبين جيش المجنزرين، ولكن لا بُد من أن أستشير كبير حراس القصر أولا «، فأرسل الوزير في طلب كبير حراس القصر وحين دخل قال له الوزير: «هذا قائد حرس واحة الزراعة وهذا أخيه جائوني لطلب التعاون الحربي فقط مع واحتهم وأن نصبح قوة واحدة، فما رأيك بصفتك مستشارى الحربي»، فقال كبير حراس القصر: «أعتقد أن تعاوننا معهم له عيوب ومخاطر أكثر من مميزاته، فهم الآن أصبحوا هدفًا لجيش المجنزرين فلا بديل عند المجنزرين سوى الانتصار، فحتما سيعودون للانتقام»، فقال قاسم: «بالطبع فالجميع متفق أن جيش المجنزرين سيعود ولكن الجميع أيضًا نسى أن المجنزرين سيقومون باحتلالهم يوما ما وقد يكون هذا اليوم قريبا أو بعيدا»، رد كبير حراس القصر: «أنا متفق معك ولكن دعني أكمل حديثي لتوضيح رأيي»، فأكمل حديثه قائلا: «أظن أن تعاوننا الحربي فقط قد يأتي علينا بالسلب أو بالتأكيد سيأتي علينا بالسلب، فأنا أعتقد إن كان يجب علينا التعاون فيجب أن يكون تعاوننا متكاملًا في كل المجالات فسيساعدنا هذا كثيرًا»، فقال الوزير: «فسر لي مغزى كلامك»، فقال كبير حراس القصر: «وزيري العزيز إن احتجنا مزيدًا من المال لتطوير الجيش يرسل لنا وزير واحة الزراعة المال الذي نحتاجه، وإن احتجنا بعض الموارد الأخرى كالأخشاب والحديد وبعض المحاصيل الزراعية يرسلها لنا وغيرها من الأشياء التي تساعدنا في تطوير الجيش وسد العجز للجميع في واحتنا فمواردنا قليلة وجيشنا أيضًا قليل العدد رغم قيامنا بتجنيد مزيد من الجنود الفترة الأخيرة، ولكن الأمر مكلف»، فقال الوزير: «أمر جيد يا كبير حراس حراس القصر فهكذا يكون التعاون، ولكن الأمر لك يا قائد الحرس هل توافق على هذه الشروط؟» فقال قاسم: «لا أستطيع أن اقول رأيي الآن ولكن سأرفع الأمر لوزير الواحة والموافقة له في النهاية».

خرج قاسم ورشيد ومعهم بعض الجنود مرتدين زي أشخاص عادية راكبين خيولهم وسادت فترة من الصمت الطويل ثم قال رشيد: «ما رأيك يا قاسم فيما قاله كبير حراس واحة الأشجار؟»، فقال قاسم: «قلت لك قبل أن نذهب لهم إنهم إن وافقوا فسيكون تعاوننا ليس له قيمة تُذكر، أما مطلبهم بالتعاون في شتى المجالات، لا أعلم إذا كان وزير واحتنا سيوافق أم لا وأعتقد أنه سيرفض»، فقال رشيد: وإن رفض فماذا ستفعل؟ فقال قاسم: «لن أضغط عليه كي يوافق»، فقال رشيد: «لماذا يا قاسم ونحن نحتاج إلى أي جندي يقف معنا في أزمتنا هذه»، فقال قاسم: «كلامك صحيح ولكن نحن وجيشنا أحق بأي مال يصرف على واحة أخرى، فالمال الذي يصرف على واحة الأشجار جيشنا أحق به نطور من الجيش ونحكم غلق الواحة أكثر

بالجنود»، فقال رشيد: «عن أي جنود تتحدث؟ فمهما قمنا بتجنيد جنود فالعدد محدود»، فقال قاسم: «لدي المزيد من الخطط كنت أدرسها وأفكر فيها سواء رفضت أي واحة التعاون معنا أو وافقت، ولكن وجب علي أن أعرض الأمر على وزيرنا وله الحكم ومن بعدها سأرتب اموري وأضع خططي التى سننفذها بإذن الله»، ثم وصلوا الواحة ودخلوا بيوتهم وأتى الصباح فذهب قاسم لقصر الوزير وجلس مع الوزير وكبير حراس القصر، فقال الوزير: «قبل أن أسألك ماذا فعلت أود أن أخبرك بأنه قد بدأنا في إنشاء قصرك وقصر أخيك رشيد وسيكونان في صورة جيدة يليقان بكما، ولكن أخبرني ماذا فعلت في رحلتك؟»، فقال قاسم: «أشكرك وأشكر اهتمامك بي وتقديري دائما، أما بالنسبة لرحلتي فأنا أردت أن نصبح قوة عظمى ولكنني فشلت في ذلك فالجميع رفض التعاون معنا لتأكدهم من وجود حرب مؤكدة بيننا وبين جيوش المجنزرين بعدما استطعنا وقف زحفهم وقتلنا المزيد منهم، ولكن واحة الأشجار لديهم شرط بأن يكون التعاون فى شتى المجالات»، فقال الوزير: «كنت أعلم أن هناك من سيستغلنا بحجة هذا الأمر ويزيد أطماعهم في طلب المال وأشياء أخرى»، فقال كبير حراس القصر: «أعتقد أن الأمر كما تقول فدخولنا في تعاون آخر غير التعاون الحربي سيكلفنا مزيدًا من المال والأعباء»، فقال الوزير: «وما رأيك أنت يا قاسم»، فقال قاسم: «الأمر لك وليس لي»، فقال الوزير: «أنا لا أوافق على هذا التعاون خوفا من مطامعهم ولكني لا أريد ألا أقف عائقًا لك أو أعرقل ما تود أن تقوم به»، فقال قاسم: «لا عليك أيها الوزير فأنا أيضًا لست فرحا بمثل هذا التعاون وقريبا سأقوم ببعض التغييرات في الجيش، ونريد مزيدًا من المال فنحن أحق بهذا المال بدلا من أن يذهب لغيرنا»، فقال الوزير: «إذًا فقم في أسرع وقت بمثل هذه التغييرات وما تحتاجه ستجده أنت ومصعب أيضًا».

خرج قاسم وذهب لتفقد الجنود في ساحة الحرب وساحة التدريب وأخبر رشيد بالبدء بفتح باب التجنيد أمام أهل الواحة ثم أرسل قاسم طلبًا للوزير يريد فيه الاستعانة بأشخاص موثوق فيهم ليسوا بجنود لجعلهم عين من عيون الواحة وجيشها في واحة الغربان، وسيكونون على علم بما يحدث ويقومون بسرعة إبلاغ واحة الزراعة به، فوافق الوزير وأرسل له بعض الأشخاص الموثوق فيهم فأرسلهم قاسم إلى واحة الغربان التي أصبحت مركز حكم المجنزرين وشدد عليهم بالاحتكاك الدائم بالناس وقال لهم: «عليكم معرفة ما يجري هناك وأي جيش يخرج في حرب تستخبروا في أمره وتعلموا إلى أين هو ذاهب دون أن يشك أحدًا فيكم وتسارعوا في إبلاغي عن طريق واحد منكم يخرج مسرعا على فرسه، لنتجهز ونأخذ الحذر أكثر مما نحن عليه ونرتب أحوالنا».

ذهب أهل الثقة هؤلاء إلى واحة الغربان ودخلوها على أن بعضهم متسوقين والبعض الآخر تجار، وبعضهم اشترى بيتا من المجنزرين ليقيم في واحة الغربان، ودفعوا مبلغًا من المال للمرور من البوابة، في حين ظل قاسم يرسم على الورق ويخطط وانتهي الأمر بأنه طلب تغييرا كاملًا في لباس الجيش حيث بدأ من الخوذة فجعلها أشد سمكا وتغطي الجبهة بأكملها ولها جانبين من الحديد يغطيان جانبي

الوجه وعمل غطاءً جديدًا من الحديد على الرقبة سميكًا حتى لا يسهل فصل الرقبة عن الجسم أثناء الحرب، وصنع غطاء للأيدي من الحديد أيضا يبدأ من الرسغ وينتهي عند الكتف لتلقي الضربات عليه، وحتى لا يسهل قطع يد الجنود أثناء الحرب، وصنع درعًا مثل درع المجنزرين في الشكل وفي البروز وأمر خانة عمل السلاح بسرعة تنفيذ اللبس الجديد وعمل عربات كبيرة من الحديد تجرها الخيول بحيث أن لجام الخيول يتحكم به أحد الجنود من الداخل وهي عربة من الحديد الثقيل مغلقة من جميع الاتجاهات وبها باب حديدي واحد فقط لدخول وخروج الجنود وبها العديد من الفتحات تسمح برؤية ما يحدث بخارجها وتسمح بخروج السهام منها و تتسع لعشرين جنديًا ولها إطارات دائرية تجرها الخيول ويتم تنفيذها في خانة عمل السلاح وطلب قاسم تنفيذ واحدة فقط في أسرع وقت ليجربها أولا ومن ثم يعطي الأمر بصنع أكثر من واحدة بعد ذلك، وقام بتزويد عدد من المجانيق الكبيرة التي ترمي كرات اللهب والحجارة على مداخل الواحة.

بعد أيام قليلة انتهت خانة عمل السلاح من صنع اللبس الجديد، فبدأ قاسم ورشيد يدربان الجنود عليه وأمرهم قاسم بالتدرب أكثر بينهم حتى يتمكن منه الجنود وبعدها تم تصنيع العربة وقبل أن يجربها قاسم ويشرح للجنود كيفية الاستفادة منها، أتى له أحد من عيونه في واحة الغربان وأخبره بأن جيش كبير جدا من المجنزرين قادمين إلى واحة الزراعة للسيطرة عليها مرة أخرى؛ فأسرع قاسم بإرسال جنوده إلى ساحة التدريب وإلى قصر الوزير ليخبروا الجميع بأن جيش المجنزرين قادم لمحاربتهم.

بدأ قاسم في توزيع الجيش بحيث يتولى كل مساعد عددًا من الفرق وأعطاهم الأوامر وظلوا في انتظار قدوم جيش المجنزرين، ولكن لم يأتِ المجنزرين لمحاربتهم ولكن ذهبوا بأمر من قائدهم إلى احتلال واحة الأسماك وقتلوا عددًا كبيرًا منها وقتلوا وزيرها وجميع القادة بها، فقال قاسم لرشيد: «احتلال جيش المجنزرين لواحة الأسماك يدل على أن قائدهم يريد محاصرتنا حتى يتمكن له أن يقتلني ويقتل وزير الواحة، وهذا ما توقعته فاذهب يا رشيد الآن بلباس العامة إلى واحة الجبال والعطور والأشجار وقل لهم لقد علمت واحة الزراعة من أحد عيونها في واحة الغربان بأن جيش المجنزرين يريد محاصرة واحة الزراعة واحتلال كل الواحات التي بجوارها ليتمكنوا من قتل جميع القادة والسيطرة عليها فمن يريد منكم التعاون فنحن نمد يدينا بالتعاون ومن لا يريد ذلك فليتحمل عاقبة ما يحدث، وواحة الزراعة لن تقوم باستقبال الهاربين منكم ولن تفتح أبوابها لكم»، وبالفعل ذهب رشيد ومعه بعض الجنود بلبس العامة إلى هذه الواحات وأخبرهم بهذه الرسالة ورجع، فقال لقاسم: «لقد أبلغتهم الرسالة وجميعهم قالوا أمهلونا بعض الوقت، وسنرسل لكم الرد مع أحد الرسل».

بدأ قاسم بتدريب عشرين جنديًا على استخدام العربة الحديدية وقام الجنود بالتصويب على عدة أهداف وحققوا ما يريده قاسم بأن تكون العربة حصن متحرك يصطاد العديد من جنود الأعداء وأمر قاسم خانة عمل السلاح بتصنيع عشر عربات مبدأيًا لتدريب عدد أكبر عليها، ولتنفيذ خطة قاسم.

بعد عدة أيام قليلة أتى جميع رسل الواحات الواحد تلو الآخر وأعلنوا موافقتهم على التعاون الحربي مع واحة الزراعة، فأسرع قاسم وأخبر الوزير بذلك، فرفض الوزير وقال له: «لا أريد التعاون مع هؤلاء الحمقى فهم لايعرفون قيمتنا إلا عند وقوع الأزمات»، فقال قاسم: «أنا الذي أرسلت لهم وطلبت منهم التعاون مرة أخرى وأرسلت لهم رشيد ليحذرهم لأن الخطر قادم علينا جميعا»، فقال الوزير: «أهكذا دون علمي يا قاسم؟»، فاعتذر قاسم عن تلك الفعلة وقال «لكني أسرعت في ذلك الأمر لعلمي بأنك لن ترفض ذلك الأمر أبدا وأن في اتحادنا قوة قد لا يستطيع جيش المجنزرين مقاومتها وقد ينتشر هذا الأمر فتتحد جميع الواحات المتبقية ضدهم وننجح في هزيمتهم وعودتهم إلى حيث ما كانوا أو نقتلهم ونقضى عليهم ونطهر أرض الواحات العظمى منهم ومن شرورهم»، فقال الوزير: «أوافق طالما هذا الأمر أنت تريده وأيضًا هو في الصالح العام فأرسل لهم الترحيب بالتعاون معهم ونفذ ما تريده من أجل الخروج من هذه الأزمة».

وبالفعل بدأ قاسم بالتعاون مع الواحات الثلاث المتعاونه واجتمع مع قادة حرسهم واتفق معهم على نشر جنود في أرجاء كثيرة من الواحات المتعاونة وجعلهم شبكة واحدة وتنظيمهم كخطوط للدفاع وصد الهجمات، وبدأ قاسم بمراسلتهم لإرسال بعض جنودهم في ساحة الحرب التابعة لواحة الزراعة وأيضًا إرسال بعض جنود واحة الزراعة إلى الثلاث واحات الأخرى، ثم ذهب قاسم إلى واحة الجبال وقال لقائد حرسها: «إن واحة الجبال إذا استغلت كما يجب فستكون الحصن المنيع لصد هجمات المجنزرين نظرًا لوجود جبال خارج الواحة وداخلها»، وبدأ قاسم مسرعا بوضع خطة لصد هجمات المجنزرين بالاتفاق مع قائد حرس واحة الجبال والخطة هي وضع عربة حديدية أعلى كل جبل خارج الواحة ووضع عدد من جنود الرماة بداخلها فقام الجنود بشد تلك العربة للصعود بها أعلى الجبل ولكنهم لم يستطيعوا في أول مرة، وأتى لهم الخبر بأن جيش المجنزرين قادم إلى واحة الجبال للسيطرة عليها فأمر قاسم خانة عمل السلاح بتفكيك العربة وحمل كل جزء منها أعلى الجبل وتركيبها أعلى الجبل وبالفعل سهر الجنود ليلا حتى تمكنوا من تركيب العربة أعلى كل جبل بدون إطارات وخيول.

أوصى قاسم عند الاحتلال بالتركيز على المجانيق وجنود الرماة الراكبين على الخيول ودعم صفوف واحة الجبال بجنود كثيرة وأرسل لرشيد الاستعداد فربما يذهب جيش المجنزرين إلى واحة الزراعة ويغيرون اتجاهم وأكد على رشيد بأن يرسل له أحد الجنود ليبلغه إذا ما قام جيش المجنزرين بالهجوم على واحة الزراعة، كما أرسل قاسم عددًا من الجنود لتفقد الأحوال ومعرفة اتجاه سير المجنزرين، فأتى أحد الجنود ليلا إلى قاسم وقائد حرس واحة الجبال وأخبرهم بأن جيش المجنزرين خلفه قادمون إلى هنا فبدأ الجميع الاستعداد وإعطاء الأمر للعربات الحديدية بالتصويب مباشرة على المجانيق وعلى الرماة وتم غلق جميع مداخل الواحة واستعد جميع الجنود خلف الأسوار والرماة اعتلوا بعض الجبال داخل الواحة وأعلى الأسوار والحصون والأبراج وأضيئت النيران وأتى جيش المجنزرين فبدأت العربات الحديدية تفاجئهم بإلقاء السهام عليهم وقتلت عددا منهم فنظر قائدهم إلى

أعلى وشاهد هذه العربات التى تحصدهم وفأعطى أمرًا لجيشه بالتراجع إلى الخلف وأمر عددًا من الجنود بصعود الجبال دون أن يشعر بهم أحد وإلقاء تلك العربات من أعلى الجبل، وبالفعل تمكن جنود المجنزرين من إلقاء تلك العربات إلى أسفل وقتل جميع من فيها، فصاح جيش المجنزرين وبدأ في التقدم فقام قاسم بفتح بوابة المدخل وأطلق عربة حديدية أخرى وأغلق البوابة خلفها فبدأت في اصطياد المجنزرين فأمر قائدهم بالاقتراب منها وشقها بالسيوف والرماح فتكاثروا على العربة وبدأوا في تحطيمها لكن ظلت العربة تصوب عليهم وتقتل منهم عددا فقام جنود رماه الواحة باصطيادهم فقتلت منهم عددا كبيرا أيضًا وقام بعض الجنود داخل العربة بطعن المتكاثرين على العربة بالرماح ولكن تمكن جيش المجنزرين في بتحطيم أجزاء منها وقتل عدد بداخلها فقام قاسم بإخراج عربة حديدية أخرى ووضعها بالقرب من البوابة، وبدأت في اصطياد المجنزرين فأمر القائد عدد كبير من الجنود بالذهاب لتحطيمها وأرسل معهم عدد كبير من جنود الرماة على الخيول وأمر المجانيق برمي المزيد من الطوب وكرات اللهب تجاه الواحة، ولكن قاسم أمر العربة بأن تشق جيش المجنزرين لينشغلوا بها فقامت العربة بالتحرك ووقفت قرب جيش المجنزرين قبل قدوم جنود الرماة بالخيول فقام قاسم بإخراج عدد كبير من جنود الرماة على خيول فصارت الخيول تتحرك في اتجاهات مختلفة وتصوب على المجنزرين، فأعطى قاسم الأمر لعدد كبير من الرماة بسرعة الخروج من الواحة والصعود أعلى الجبال والتركيز على المجانيق التي قامت بهدم أجزاء من السور.

أسرع الرماة بصعود الجبال وقامت مجانيق واحة الجبال بإلقاء كرات اللهب على جيش المجنزرين وفوجئ قائدهم بصعود الرماة أعلى الجبال وقاموا باصطياد عدد منهم ودخل جيش المجنزرين في معركة كبرى مع الجنود خارج الواحة واستطاعوا تحطيم العربة الحديدية وقتل عدد كبير من جنود الرماة على الخيول، فأرسل قاسم عددًا آخر من جنود الرماة على الخيول بالقرب من سور الواحة فتقدم عدد من جيش المجنزرين وقاموا بقتلهم وتقدم عدد آخر فقاموا أيضًا بقتلهم جميعًا، فأمر قائد المجنزرين بصعود عدد كبير من الجنود للجبال لقتل الرماة وبالفعل تمكنوا من قتل جميع الرماة أعلى الجبال وأمر قائدهم بأن يبقي بعضهم أعلى الجبال ليمنع أي شخص من صعودهم مرة أخرى، وظل جنود واحة الجبال يصوبون على كل الرماة حتى قتل عدد كبير منهم وأحرقوا عددا آخر، فقال مساعد قائد المجنزرين: «علينا بالانسحاب، فالأمر لا يبدو سهلًا»، فأصر القائد على الاقتحام ولكن المساعد قال له: «أنت تقحم الجيش الآن ليُقتل وتنتهي حياتنا وتفر أنت»، فقام القائد بقطع رقبته بسيفه وأمر الجنود بالتقدم، ولكن أُلقيت عليهم كرات اللهب ففر بعضهم وتمكن العدد الآخر من التقدم ولكن تم اصطيادهم وبعد وقت طويل وفشل المجنزرين في اقتحام الواحة لكثرة عدد جنودها، أمر قائد المجنزرين بانسحاب الجيش وفروا هاربين، فصاح الجيش قائلا: «انتصرنا وهزمناهم»، فقام وزير واحة الجبال بعمل احتفال ضخم حضره رشيد وزراء وقادة حرس الواحات المتعاونة وتقدم وزير واحة الجبال بالشكر لقاسم وقال له: «الفضل لك في هذا الانتصار، فأنت من دبرت ووضعت الخطط التي هزمت بها جيشًا كبيرًا وعدوًا عنيدًا كاد أن يقتلنا»، فقال

قاسم: «إن الفضل أيضًا يرجع للجميع وليس لي فقط، فسماع وتنفيذ الأوامر هما أهم أسباب الانتصار على جيش المجنزرين».

وأقيم الحفل وسط رقصات سكان الواحة وبعض الجنود على ألحان بعض الآلات الموسيقية وبعض الأشعار والجميع أعطى الاهتمام لقاسم وأشادوا به، وأمر وزير واحة الجبال بإعطاء قاسم زوجة هديه له على النصر ولكنه رفض، وقال: «لا أريد أحدًا سوى زوجتي»، فأعطاه عددا من الهدايا أرسلها له على بيته، ونال قاسم إعجاب وشكر جميع الوزراء الآخرين، وذلك الاهتمام أغضب قائد حرس واحة الجبال فقد أثنى الوزراء كثيرًا على قاسم ولم يهتم به أحد مثلما اهتموا بقاسم.

بعد عدة أيام من الاحتفال أخبر قاسم الواحات المتعاونة بأن جيش المجنزرين سيعود مرة أخرى وستكون الحرب أشرس بكثير من قبلها وأنهم لن يتركوهم كثيرًا حتى يأتوا بجيش أقوى وأسلحة أشد فتكًا، فعلى الجميع مفاجأتهم بكل الوسائل الممكنة وإرباك حساباتهم والبدء في محاربتهم في الواحات الصغيرة المسيطرين عليها، وألا تتم محاربتهم في المركز الأم ألا وهو واحة الغربان، والسيطرة على كل واحة وضمها للواحات المتعاونة في الاتحاد، فهذا سيجعل الاتحاد أقوى في كل مرة، وسيتم إرباك حسابات المجنزرين ويصبح لدى المتعاونين المزيد من الأموال والجنود أيضًا.

وعندما علم قائد حرس واحة الجبال ذلك أعلن رفضه، واجتمع مع قادة حرس الواحات المتحدة الأخرى وقال لهم: «ارفضوا ما عرضه قاسم فهو شخص لديه مطامع كثيرة ولديه نية بالتضحية بنا، ومن ثم سينقلب علينا ويصبح هو الرمز الأوحد كما أن الجميع أشاد به ونسوني ولم يعطوني حقي كاملًا مثلما أعطوه لقاسم فهو شخص يحب أن يلمع اسمه على حساب غيره»، فأعلنوا رفضهم ما عدا قائد حرس واحة الأشجار ويدعى حذيفة الذي قال لقاسم: «أنا معك فيما تريده وأنت على حق»، ولكن ظل قاسم يقنع في قادة حرس واحة الجبال والعطور ولكنهم أصروا على الرفض ووقفوا ضده وقالوا له: «لن ندخل معك في أي حرب»، فأرسل قاسم طلب لوزرائهم بأن يخوضوا معه حربًا ضد المجنزرين في الواحات المسيطرين عليها، ولكن قادة حرس واحة الجبال والعطور اتفقوا على أن يخبروا الوزراء التابعين لهم بعدم الانسياق وراء قاسم، حيث قالوا أيضًا: «إن قاسم يريد استغلالنا في الحروب ليسيطر هو ووزيره على الواحات الأخرى ويأخذ خيرها، ثم يتخلص منا وينسب الانتصار له ومن الممكن أن يحدث غدر من قاسم عند الهجوم على الواحات المسيطر عليها المجنزرين»، هذا الكلام جعل الوزراء يترددون، قال كبير حراس القصر التابع لواحة الجبال: «إذا قمنا بالحرب على المجنزرين وانتصرنا في أحد الحروب من سيأخذ الغنائم وكيف ستوزع؟ والقتلى الكثر من أحد الواحات هل سيكون لها نصيب أكبر في تلك الغنائم؟ ومن سيكون وزير الواحات التي سنسيطر عليها إذا نجحنا في ضمها لنا؟». ذلك الأمر أحدث فتنة كبيرة وأثار عددا كبيرًا من التساؤلات حول ذلك ومنها أيضًا: «لماذا ينسب لقاسم النجاح فقط؟ ولماذا الجميع يشيد به؟»، وبدأوا في التعالي على قاسم وعلى ذلك اتفق قائد حرس واحة الجبال والعطورعلى الانسحاب من ذلك الاتحاد ليكونوا هم فقط متحدان معًا

وأخبروا قاسم بأنهم لن يتعاونوا معه، وعدم خوض أي حرب معه مرة أخرى وعلى ذلك حدث تفكك بأمر من وزير واحة الزراعة الذي أمر بانسحاب جنوده من تلك الواحات وأعلن الانفصال عنهم.

ظل قاسم يقنع الوزير بعرض الأمر مرة أخرى على وزرائه تلك الواحات أو نظل معهم في الاتحاد وليس شرط الدخول في أي الحرب، فوافق الوزير طوعًا لرغبة قاسم، فأرسلوا لهم في هذا الأمر، فقال قائد حرس واحة الجبال لوزير واحته ووزير واحة العطور: «إنهم عائدون لإكمال خطتهم وسيحاربون باسم الاتحاد كما أنه لو حدثت حرب على واحة الزراعة ستتكلف منا التضحية بعدد هائل من الجنود فإن قتلوا فسيضعف من ملكنا ويجعلنا نهلك وهذا سيمكن المجنزرين من احتلالنا أما إذا حافظنا على جنودنا فسنكون قادرين على تصدي هجمات المجنزرين»، وأعلن هو وقائد حرس واحة العطور بأنهم لن يتحدوا مع قاسم، كما قالوا أنه إذا حدث اتحاد مع واحة الزراعة سيعلنون عدم مشاركتهم وتنازلهم عن مهمتهم فتلك الأمور جعلت الوزيرين يرفضوا التعاون مرة أخرى فأعلنت واحة الجبال والعطوراتحادهم، بعدها أتى قائد حرس واحة الأشجار حذيفة بنفسه إلى قاسم وقال له: «أنا معك وسنكون عوننا لبعضنا البعض فهدفنا واحد وعدونا واحد ونصرنا هو نصركم وجيشنا هو جيشكم، فتعاون قاسم معه، وبدأ قاسم في وضع العديد من الخطط مع حذيفة ومع رشيد لزيادة تأمين الواحتين وجعل واحة الأشجار محصنة مثل واحة الزراعة من حيث ارتفاع السور وتغير البوابات وبناء الأبراج ووضع المزيد من المجانيق الضخمة وعدد من خزانات الماء لسرعة إطفاء الحريق. وأمر قاسم خانة عمل السلاح بأن يقوموا بصنع عشرين عربة حديدية لاستخدامها في الحرب ودفع حذيفة مبلغًا من المال لواحة الزراعة للمشاركة في عمل لباس لجنود واحة الأشجار كما أعطاهم عددًا من المواد الخام لعمل السلاح والملبس والعربة الحديدية.

ننتقل إلى جيش المجنزرين حيث وصل قائد الجيش إلى زعيم المجنزرين في واحة الغربان وأخبره بنجاحه في السيطرة على واحة الأسماك فقط وعين أحد الأشخاص كوزيرٍ لها وفشل في اقتحام واحة الجبال لكثرة جنودها ومفاجأتهم له بالعربات الحديديّة وبخطط أجبرته على الانسحاب، فأخرج الزعيم سيفه وطعنه عدة طعنات حتى قتله، وأرسل إلى قائد حرس آخر قد استطاع الانتصار في عدة حروب خاضها على واحات أخرى في أرض الواحات العظمى لتولى مهمة الجيش في السيطرة على تلك الواحات التي استطاعت هزيمة جيش المجنزرين، وأخبر هذا القائد بأخذ عدد هائل من الجنود التى لا يستطيع أحد التغلب عليها مهما بلغت قوتهم، ولكن عليه أخذ الوقت الكافي للاستعداد للدخول في حرب عنيفة.

وعلى الجانب الآخر واحة العطور والجبال قاموا بإصلاح العربات الحديدية التي كانت في الحرب وتركها قاسم لهم ووضعوها أعلى الجبال ووضعوا نفس الخطة في الواحتين واستعدوا لصد أي هجمات تأتي لهم، وعلى الجانب الآخر أيضًا واحة الزراعة والأشجار بدأوا في الاستعدادات ولبسوا نفس اللباس وأرسل حذيفة عددا من جنوده إلى رشيد في ساحة التدريب لزيادة مهارتهم في فنون الرماة، وظلوا يستعدون، وصنعوا عشرين عربة حديدية، ووضع قاسم خمس عربات في واحة

الأشجار وخمس عشرة في واحة الزراعة وذلك لكبر مساحة واحة الزراعة، وأثناء الاستعدادات علم قاسم من رشيد أن مصعب مريض في الفراش فأسرع قاسم بالذهاب إليه هو ورشيد، واعتذر له قاسم وقال له: «عذرا على التأخير فأنا لم أكن أعلم بمرضك هذا وأنت تعلم بانشغالي بخوض الحروب أو الاستعداد للدخول في حروب»، فقال مصعب: «لا عليك يا قاسم فأنا أعلم جيدًا انشغالك بما يحدث»، فقال له قاسم: «شفاك الله في أسرع وقت يا قائدي، ولكنني سأستغل وجودي معك وأخبرك بأنني أريد أن أحارب المجنزرين في الواحات الصغيرة المسيطرين عليها وضمها لنا»، فقال مصعب: «فكرة عظيمة إن استطعت تنفيذها والانتصار عليهم فافعل هذا ولا تتردد فهم لن ينتظروا كثيرًا»، وقام قاسم بإخبار الوزير بذلك الأمر، ولكن الوزير اعتذر وقال لقاسم: «كنت أوافق في بداية الأمر نظرًا لتعاون الواحات معنا، أما الآن فأنا لا أريد المجازفة ولن أعرض جيشي ونفسي وملكي للخطر؛ فهم أكثر مالا وجنودا وكل شيء، فأنا لن أدخل معهم في حرب ولكن إن حاربونا نتصدى لهم، ونحن الآن متحدين مع واحة الأشجار، ونستطيع الحفاظ على واحتنا من الهجوم عليها»، فانصاع قاسم لذلك الأمر وظل يستعد هو وحذيفة حتى مرت عدة أيام وأتى لقاسم أحد من عيونه وأخبره بأن جيش المجنزرين أصبح له قائد آخر والذي كان يخوض حروبًا كثيرةً في جهة الغرب واستطاع الانتصار في كل المعارك التي قام بها وهو يجهز جيشًا كبيرًا، وقد أمره زعيم المجنزرين بمحاصرة واحة الزراعة وأسر قائد حرسها إن أمكن أو قتله هو ووزيره وتعليق رؤوسهم على مداخل الواحة.

اجتمع قاسم بحذيفة ورشيد والمساعدين وقال لهم: «نحن على وشك الدخول في حرب أشد شراسة وأشد عنفًا، وجيش المجنزرين سيكون عددهم أكثر مما كانوا عليه فخطتهم هي قتلي أولًا قبل كل شيء ومن ثم الاستيلاء على جميع الواحات فلا بُد من تغيير أسلوبنا في الحرب حتى نصمد أمامهم إذا حدث احتكاك بينا وبينهم، ولا يجوز الاعتماد فقط على الرماة مع أن دورهم له النصيب الأكبر والسبب الأكبر في الانتصار في الحربين اللذين خضناهما مع المجنزرين، وهناك طريقة أخرى نتبعها بأن يكون لكل قائد فرقة مساعد هو من يختار هذا المساعد، وعند الدخول في حرب تنقسم الفرقة إلى جزأين إذا لزم الأمر بحيث يكون خمسة جنود معهم قائد فرقة وخمسة آخرين معهم مساعد قائد الفرقة يحاربون بجوار بعض ثم يتحدون إذا لزم الأمر، بحيث يكون القائد بفرقته لا يحاربون إلا واحدًا فقط يتكاثرون عليه من كل الجهات ويقتلوه في أسرع وقت ويحددون شخصًا آخر ويتكاثرون عليه من جميع الجهات أيضًا فسيساعد ذلك في تقوية الحرب ضدهم وسيعطي هذا الأمر مزيدًا من الراحة وعدم الرهبة للجنود فستكون كل فرقة كتلة واحدة لن يتفرقوا عن بعضهم البعض ويكونوا عوننا لبعضهم البعض».

مرت الأيام حتى أتى عدد هائل من جيوش المجنزرين وذهبوا لاحتلال واحة الجبال التى انتصرت مؤخرا عليهم فظل قائد المجنزرين يضع الخطط ويفرق في جيشه ويشدد عليهم بالحفاظ على طريقة الاقتحام واصطياد الجنود ومفاجأة الجميع بمحاربة الواحة في أكثر من اتجاه وبالفعل حدثت معركة ضخمة مع واحة الجبال

أنهك فيها جيش المجنزرين وقتل منهم عددا كبيرا، لكن استطاع المجنزرين دخول الواحة ومحاوطتها واعتلوا جبالها وحاصروا قصر الوزير وقتلوه وقتلوا قائد حرسه وقائد حرس واحة العطور الذي أتى ليحارب مع قائد واحة الجبال، وعندما علم قائد المجنزرين بأن من قُتل هو قائد حرس واحة العطور والذي أخبره هم بعض الجنود الذين أسروهم في المعركة؛ فأخبر مساعده بالاستعداد لمحاربة واحة العطور والسيطرة عليها.

وصلت الأخبار لقاسم بأن جيش المجنزرين احتل واحة الجبال وقتل جميع قادتها ووزيرها وهم يستعدون لمحاربة واحة العطور بعد قتل قائدها، فأصبح قاسم وحذيفة في حيرة هل يستعدون إن هجم عليهم المجنزرين أم يذهبوا لمساعدة واحة العطور من ذلك الهجوم. ففكر قاسم قليلا وقال لحذيفة: «الأنسب أن نساعدهم ونكون ثلاثة واحات بجيشهم يخوضون المعركة أفضل من أن نكون اثنين فقط»، فقال له حذيفة: «هذا هو الأمر المناسب فعلينا الذهاب لواحة العطور قبل أن يسيطر عليها المجنزرين ونصبح نحن أيضًا عرضه للاحتلال، فهدفنا هو قتل هؤلاء الأعداء الطامعين في خيراتنا».

ذهب قاسم لوزير واحة الزراعة وأخبره بمقتل وزير واحة الجبال وجميع قادتها وانتصار المجنزرين عليهم، فسأله الوزير: وبما تفكر الآن يا قاسم؟»، أجاب قاسم: «أفكر في مساعدة واحة العطور ونصبح ثلاثة ضد واحد فهم الآن يحتاجون لنا ونحن نحتاج أيضًا لهم، فجيش المجنزرين هذه المرة قوي العدد ولا نستطيع وحدنا محاربتهم، ولكن سنجاهد بأن نستطيع على الأقل صد هجومهم وإرباك حساباتهم»، فقال له الوزير: «أثق فيك وفي جيشك فافعل ما تود فعله، فالخطر قادم لا محالة ولا مفر من ذلك الأمر، فاذهب واتحد معهم فربما أوقفتم زحفهم وعطلتم مسيرتهم إلى هنا والسيطرة على واحتنا».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الجزء الثالث
حروب قاسم

قام قاسم مسرعا إلى جيشه واصطحب عددًا كبيرًا من الجنود وأخذ خمس عربات حديدية، وأبقى على رشيد لتولى تأمين واحة الزراعة، وخرج معه حذيفة بجيشه من واحة الأشجار، وأخذ حذيفة عربة حديدية واحدة معه واتجهوا نحو واحة العطور وعندما وصلوا رحب بهم وزير الواحة وظل يبكى ويقول: «أضاعتنا وفرقتنا الفتنة، وها قد مات قائد الحرس وعينت مساعده بدلا منه، وأنا اشكركم لوقوفكم معي فعدونا واحد وعلينا مقاومته بشتى الطرق المتاحة لنا»، وأثناء جلوسهم أتى لهم خبرٌ بأن المجنزرين على وشك الاقتراب من واحة العطور ومعهم جيش كبير، فأسرع قاسم وحذيفة بركوب خيولهم وأعطوا التعليمات لجميع الجنود، ثم قال قاسم لجنود واحة العطور: «إن دخلنا في معركة بالاحتكاك معهم فكل خمسة جنود يتحدون ويتواجهون مع شخص واحد لقتله بسرعة والحفاظ على أرواحكم بشكل أكبر»، وأخبرهم أن جيش واحتى الزراعة والأشجار يعلمون هذه الطريقة حيث كل فرقة لها قائد، فعليهم أن ينفذوا ذلك الأمر الجديد عليهم حتى يكونوا كتلة واحدة وتنظيمهم واحد، ثم أمرهم أن ينتظروا منه الأوامر، ثم جعل الرماة يصعدون الأبراج والمداخل وعندما أصبح المجنزرين على مسافة قريبة من الواحة أمر قاسم المجانيق بقذف كرات اللهب فقال أحد جنود المجانيق: «أيها القائد لن تصل اليهم كرات اللهب إلا إذا أصبحوا على مسافة أقرب منا»، فصاح حذيفة فيه قائلا: «نفذ الأوامر في صمت ولا تتحدث مرة أخرى وإلا قطعت رقبتك نفذ دون كلام»، فقال قاسم: «لا أريد المجادلة أثناء الحرب ومع ذلك أخبركم بأن قذف كرات اللهب أمامهم سيبطئ من زحفهم»، وقال لحذيفة: «اذهب وتولى الناحية الخلفية، فقد يغيرون اتجاههم أو يتفرقوا فيستطيعون الدخول»، فأخذ حذيفة عددًا كبيرًا من الجنود وذهب بهم إلى الخلف لمراقبة ما يحدث، وأمر قاسم بتجهيز العربات الحديدية وعددهم ستة، وقال: «افتحوا البوابات فأخرج ثلاثة عربات حديدية دخلت في جيش المجنزرين وقتلت عددًا منهم، وبدأ عدد من المجنزرين في تحطيمها وجنود قاسم يرمونهم بالأسهم.

أخذ قاسم قوسًا وبدأ يرمي بالسهام على المجنزرين وعلى المجانيق، ثم أخرج عربة حديدية ظلت تصطاد الجنود المتكاثرين على الثلاث عربات الأخرى، وأربكت هذه العربات صفوف المجنزرين فانقض عدد آخر من جنود المجنزرين عليها وقاموا بتحطيمها بالسيوف وبصعوبة بالغة استطاع قاسم فتح البوابة وأخرج عربة أخرى بعدما أمر المزيد من الرماة بالتكتل على البوابة ليستطيع فتح البوابة بأمان فخرجت عن قرب وأصبحت تصطادهم ولكن جيش المجنزرينجح في تحطيم ثلاث عربات من الخمسة بعدما اشغلتهم، فاستطاع قاسم وجنوده قتل عدد كبير منهم ثم أخرج قاسم آخر عربة حديدية ومعها عدد من الرماة على الخيول استطاعوا قتل عدد كبير

من جنود المجنزرين، ثم أعطاهم قاسم إشارة بأن يقترب عدد منهم من جيش المجنزرين ثم يبتعد في أي جهه قريبة من سور الواحة وبالفعل، نفذوا وقاموا بالفرار على مقربة من أسوار الواحة، فلحق بهم عدد من المجنزرين قتلوا منهم عددا، ولكن نجح جنود الرماة على الأبراج من قتلهم جميعًا.

أمر قاسم بفتح باب الواحة وأخرج أمامه عددًا من جنود الرماة على الخيول وحين اقترب جيش المجنزرين أمر قاسم بالرمى وقذف اللهب عليهم فأحرق منهم عددا، ثم أمر قاسم بسرعة غلق البوابة. شعر قاسم أنه لا بُد من الاحتكاك معهم فأمر الرماة الحاملين لدرع الرماة بتقدم الصف وخلفهم جنود رمي الرماح ثم أمر قاسم بفتح البوابة فدخل عدد من جيش المجنزرين اصطادتهم السهام والرماح ثم دخل مساعد قائدهم ومعه جيشه واصطدم الجيشان ببعضهم البعض وكانت الغلبة لقاسم حيث نفذ جنوده الخطة على أكمل وجه، بحيث كان كل أربعة جنود يضربون جندي من المجنزرين وقتل المساعد وفر منهم عدد قليل جدا.

صاح قاسم وجنوده مهللين فرحين بالانتصار، ثم أرسل قاسم أحد الجنود لإخبار حذيفة بهذا الانتصار، وأمر بأن يبقى كل جندي كما كان في مكانه، وحين أتى حذيفة احتضن قاسم فرحا قائلا له: «فعلتها وحدك والنصر حالفك».

شكرهم وزير واحة العطور قاسم وحذيفة على ما فعلوا من أجله وأقام لهم احتفالًا وأعطاهم هدايا وعطور كثيرة، وطلب قاسم منه أن يُصدر قرارًا بتعيين رشيد قائد حرس لواحة العطور، فقال الوزير: «رغم أن هذا الأمر مخالف لعاداتنا إلا أنني مدين لك طوال حياتي، وطلبك يجاب على الفور فأنا اثق فيكم جميعًا ومعكم فيما تتفقون عليه»، وأمر الوزير بتعيين رشيد قائدًا للحرس وحدث ذلك في مراسم شهدتها واحة العطور وعين قاسم أحد المساعدين المخلصين له والي الفرق في واحة الزراعة بديلا عن رشيد.

اجتمع قاسم مع حذيفة ورشيد وقال لهم: «أنا ما زلت أفكر في محاربة المجنزرين في الواحات الصغيرة التي احتلوها ونربك حسابتهم أما وإن اكتفينا بصد الهجمات فقط فحتما مصيرنا هو الموت، فجنود المجنزرين لن ينتهوا ونحن من سننتهى»، فقال رشيد وحذيفة: «نحن معك»، فقال لهم قاسم: «إذًا من اليوم سنستعد للهجوم عليهم في أقرب واحة محتلة صغيرة وهي واحة الماء التي ستكون هدفنا الأول»، وقام قاسم بتدريب جيوش الثلاثة واحات بالتعاون مع رشيد وحذيفة، وهذه المرة قرر قاسم تغيير حذاء الجيش الحربي، حيث أمر خانة عمل السلاح بعمل حذاء حربي يوجد به قطعة حديدية صغيرة مدببة بعض الشيء فإذا تم دفعها بقوة جرحت المكان بعمق وتؤدي إلى الإصابة الشديدة أو الموت، وقال قاسم أن الهدف منها الحماية في حالة الأسر ولحماية الجندي عند فقد سيفه ودرعه أو عند إصابته فيقوم بدفع حذائه الحربي فيقتل أو يصيب وأمر جميع الجنود بوضع أسلحة مدببة صغيرة ذات غطاء في أحزمتهم وقامت الثلاثة واحات بفتح التجنيد أمام الجميع للتدريب في ساحة واحدة فقط، وهي ساحة التدريب في واحة الزراعة.

وأثناء هذه الاستعدادات هجم جنود المجنزرين فى وقت الذروة على واحة العطور بقيادة قائدهم الذي نجح في الانتصار على واحة الجبال وحدثت معركة كبيرة واستطاع جيش المجنزرين من الاقتحام بعد استبسال لرشيد وجنوده الذين قتلوا منهم عددا كبيرا، ولكن جيش المجنزرين كان عددهم أكبر وقام قائدهم بقتل رشيد، وقتل وزير واحة العطور، وعلق رأسهم على إحدى مداخل الواحة، وصاح قائدهم قائلا: «لن أرحم جميع الواحات ولن يفلت مني أحد وقام بإرسال عدد من جنوده إلى الزعيم في واحة الغربان وإخباره بالانتصار وأن يرسل له عددا كبيرا من الجنود بالتنسيق مع الواحات التي احتلوها من قبل».

لما علم قاسم بموت رشيد ظل يبكي ويصرخ هو وزوجته صابرة وقال: «جيش المجنزرين قتل أبي وقتل أخي»، وكررها عدة مرات وزوجته تحاول إسكاته وهي تبكي وأولادها يبكون، وأخذ حصانه وذهب إلى القصر الذي كان سيسكن فيه رشيد وجلس على ركبتيه وهو يبكي ويقول: «كنت ستسكن هنا بعد الانتهاء من بناء القصر يا حبيبي يا رشيد، سآخذ بحقك وبحق أبي»، فأتت له زوجته تهرول وجلست بجواره وظلت تهدأ فيه وهو يقول: «لن أرحمهم وسأذيقهم العذاب كما فعلوا بي»، وحاولت إيقافه عدة مرات وهو يصرخ، حتى بعد فترة من الوقت استجاب لها وذهبوا إلى بيتهم وقالت له: «أريد الاطمئنان على أختي ماهرة وأولادها»، فقال قاسم: سأرسل أحد الجنود متخفيًا غدًا ليعلم أمرها ويحاول أن يخرجها من الواحة في أسرع وقت حتى لا يتعرض لها جنود المجنزرين بأي أذى، وعاود قاسم البكاء وظلت زوجته تبكي لبكائه حتى سمعوا صوت طرق على الباب، ففتح قاسم الباب فأخبره أحد الحراس بأن القائد حذيفة يريد مقابلته، فخرج له قاسم فوجد حذيفة ومعه زوجة رشيد وأولاده وهم يبكون.

فقال قاسم باكيًا: «ماذا حدث لك يا حذيفة؟ هل استطاعوا احتلال واحة الأشجار؟» فاقترب منه حذيفة باكيًا واحتضنه قائلا: «لا لم يفعلوها ولن نسمح لهم من اليوم سنكون القوى الضاربة يا قاسم».

أدخلهم قاسم إلى البيت فسقطت زوجة رشيد على الأرض مغشيًا عليها في حين ظلت أختها صابرة تبكي، أحضر قاسم الماء لماهرة وطلب منها أن تهدأ حتى يأخذ بحق رشيد في أسرع وقت. وسأل قاسم حذيفه: «كيف عثرت يا حذيفة على ماهرة؟ فقال أتت هى وأولادها إلى واحة الأشجار هاربةً من بطش المجنزرين، وقالت للحراس على البوابة أنها زوجة رشيد فأسرعت إليها وعلمت منها بمقتل رشيد وجئت بها إلى هنا»، فقال قاسم لماهرة: «وكيف يا ماهرة استطعتي الهرب؟» فظلت تبكي حتى قالت له: «أرسل رشيد أحد جنوده لي وأخبرني هذا الجندي بأن رشيد يطلب مني الهرب في أسرع وقت إلى واحة الأشجار لأنها قريبة من واحة العطور، وعندما استعددت للهرب مع هذا الجندي علمت بمقتل رشيد»، وظلت تبكي وأبكت قاسم والجميع، فقال حذيفة لقاسم: «أنا معك يا قاسم، وما زلت على العهد، سنحارب المجنزرين معا»، فقال قاسم: «لي معهم معارك قادمة لن أرحمهم فيها»، وبكى قاسم وقال: «سألعب معهم الألغاز مثلما أوصاني رشيد».

خرج حذيفة وهدأ المكان وهدأت أصوات البكاء، حتى أتى الصباح وقاسم وزوجته صابرة على فراش النوم قالت له: «كنت تقول أمس أن المجنزرين قتلوا أباك يا قاسم، فكيف وهو مات على فراشه؟» فأخبرها قاسم بقصته وقال لها: «لا تخبري أحدًا وخاصةً أختك ماهرة، فقالت له والدموع تسيل من عينيها وعلامات الحزن تظهر على محياها: «لو الظروف التى تمر بها لعاتبتك أشد العتاب على عدم إخبارك لي بهذا الأمر»، فقبلها قاسم على جبينها وقال لها: «لا تحزني فقد كنت أفكر كثيرًا في إخبارك، ولكن الحروب أشغلتني عن هذا الأمر، فقامت هي الأخرى بتقبيله على جبينه وقالت له: «أعلم ذلك يا زوجي العزيز وأعانك الله على الأخذ بثار أبيك وثأر صديقك الذي هو بمثابة أخ لك وزوج أختي، استعد واصمد والغلبة بإذن الله هي لك».

أرسل وزيري واحة الزراعة والأشجار التعازي لقاسم على مقتل رشيد وعندما علم مصعب بمقتل رشيد ظل يبكي وهو على الفراش، وأرسل بإخبار قاسم بأنه يريده، فذهب قاسم إليه فقال له مصعب بصوت ضعيف متعب وعيون ذابلة: «اعذرني على عدم قدرتي في المجئ إليك بنفسي، فأنا أصبحت غير قادر على الحركة والمرض يتوغل في جسدي يوما بعد يوم، أريدك أن تصبر على فراق أخيك وأن تأخذ بحقه مِن مَن قتلوه وتأخذ بحقنا جميعا، فأسرع إلى محاربتهم في الواحات المحتلة كما كنت تود حتى تربكهم وتفاجئهم فأنت يا قاسم قائد شجاع ذكي وقوي ولديك مهارات عالية في القتال فاستغل كل قوتك ضد هؤلاء الأعداء الذين يصرون على قتل الأبرياء ونهب خيرات كل ما في أرض الواحات العظمى، فإن كان إصرارهم على القتال فماذا يخيفنا حتى وإن متنا سنموت شجعان نرفض الهزيمة والاستغلال ونحفظ كرامتنا أكرم لنا من أن نفر هربا من هؤلاء ويصبح مصيرنا الذل والخضوع والإهانة»، فقال قاسم: «أدعو الله كل يوم أن يشفيك، فأنت صاحب الفضل علي، والذي يعطلني عن رعايتك هو انشغالي كما تعلم بحرب هؤلاء الفجرة عديمى الرحمة ولكنني أعدك يا قائدي أن آخذ خطوات جادة وخطط حربية بشجاعة دون الخوف من أي شيء»، ثم قبل قاسم يد مصعب وقال له: «سوف تتحسن وتصبح كما كنت»، فقال مصعب مبتسما وبصوت متعب: «الزرع عندما يذبل لا يجدي معه الماء، والورق المتساقط من الشجر مصيره الفناء»، فبكى قاسم، فقال مصعب: «لا تبكِ يا قاسم فكلنا للموت ذاهبون، هذه هي الحياة»، فقبّل قاسم يده مرة أخرى ثم خرج متجهًا نحو ساحة الحرب، واجتمع بحذيفة وبكل مساعديه، وقال لهم: «سنبدأ في خوض الحروب من الآن، ولن نقف لصد هجمات جيش طاغي وننتظر الموت في أي لحظة لا بُد من وضع حد لهؤلاء الخونه وعليه فلا بُد من هذه اللحظة الاستعداد في أسرع وقت للهجوم على أقرب واحة صغيرة لنا وهي واحة الماء وسنخوض الحرب بجيش واحة الزراعة والأشجار».

بدأ قاسم خططته في الهجوم بتصنيع عربات حديدية مغلقة من جميع الاتجاهات ما عدا السقف مفتوح وهذه العربات لحمل اثنين من المجانيق عليها ووضع كل احتياجات هذه المجانيق في العربة، وأمر بتصنيع أداة رمي تمسك يدويا ويوضع بها الطوب أو كرات لهب صغيرة مشتعلة ليرمي بها الجندي، وأعطى هذه الأداة

إلى الرماة ومعظم الجنود، وظل هو وحذيفة ومساعديه يدربون الجيش على كيفية الاقتحام والانسحاب وكيف يحمي الرماة الجيش، وقال لهم قاسم السرعة والمفاجأة هما أهم عوامل الانتصار، وبدأ قاسم وحذيفة يفتعلون معارك وهمية لتدريب الجنود وكيف تكون الفرقة متعاونة وأن يكونوا أعينًا لبعضهم البعض، وأكد عليهم قاسم بأن يكلف كل واحد منهم بالنظر في اتجاه لتأمين الآخر ولا ينفك واحد منهم عن الآخر فيصبح الجيش كأنه كتلة كبيرة منظمة ترهب من يبارزها.

حضر وزير واحة الزراعة أحد التدريبات وشاهد الحماس في أعين الجنود وحفزهم قائلًا: «انتفضوا لأجل أهلكم ولا يهاب أحد منكم الموت أو القتل، فخوفكم هذا لا يؤدي إلا لموتكم أو إذلالكم أو موت وتشرد أهلكم وجيرانكم وأحبابكم، فاقتلوهم بقوة وتدربوا بعنف حتى نتخلص من الجيش اللعين الذي خرب وحرق ودمر وقتل فكونوا كالأسود».

بعد أيام قليلة من تدريب الجنود وابتكارهم للحيل والطرق الجديدة، جهز قاسم جيشا وجهز حذيفة جيشا وانطلقوا قبل شروق الشمس نحو واحة الماء، وقبل الاقتراب منها بمسافة بعيدة أخذ حذيفة جيشه في اتجاه وأخذ قاسم جيشه في اتجاه آخر، وبدأوا الهجوم على هذه الواحة حيث كان جنودها في عدم استعداد كامل للحرب، فلا أحد يتوقع منهم أن يفكر أحد في الهجوم على أرض محتلة من قبل المجنزرين.

بدأت المعركة، فبدأ جنود الرماة بالخيول يصطادون جنود المجنزرين على الأبراج والمداخل وأطلق قاسم عربات المجانيق الحديدية التي ظلت تقذف كرات اللهب عليهم، ووجه المجانيق التي ترمي الطوب على المدخل الذي هجم عليه فتحطمت البوابة واستطاعوا الدخول وصعدت مجموعة من جيش المجنزرين أعلى الأبراج وظلوا يصطادون جنود قاسم بسهامهم فأمر قاسم بتصويب الرماة نحوهم، ودخل جيش قاسم مسرعا إلى داخل الواحة، ثم وجه قاسم مجموعة لاعتلاء أبراجهم وأسوارهم، وحدثت معركة كبيرة استطاع فيها حذيفة الدخول بجيشه أيضًا وبدأوا في محاصرة المجنزرين داخل الواحة واعتلوا جميع أبراجها وسيطروا على مداخلها، واتجهوا نحو قصر الوزير الذي حاصروه بالداخل، وبدأت معركة قصيرة لم تستغرق وقتا مع كبير حراس القصر الذي جرح بالسيف أثناء المعركة وقتله حذيفة بسيفه.

تمكن جيش قاسم وحذيفة من الدخول إلى داخل القصر، وقتل قاسم وزير هذه الواحة وقطع رأسه وعلقها على مدخل الواحة، ولم يأسر قاسم أي من جنود المجنزرين فجميع من وقع في يد الجنود قتلوه، ثم أرسل قاسم وحذيفة أحد الجنود لإخبار وزيريهما بالانتصار على واحة الماء، وحين علم قائد المجنزرين في واحة العطور بما حدث، أرسل أحد جنوده لتلقي أوامر من الزعيم، هل يحرر واحة الماء أولا أم يهاجم واحة الزراعة.

بعد الانتصار استعد قاسم وحذيفة للهجوم على واحة الرمال المجاورة لواحة الماء وضموا عددا من الجنود معهم وقاموا بتنفيذ الخطة ونجحوا في السيطرة على واحة الرمال، فارتبك جيش المجنزرين وقال قائدهم: «لن أنتظر تلقي الأوامر فسأحارب

واحة الزراعة وسأقتل قائدها اللعين الذي تجرأ على محاربتنا وسألقنه درسًا في القتال لن ينساه التاريخ أبدا»، وبالفعل بدأ في الاستعداد لمحاربة واحة الزراعة وأثناء استعدادهم للهجوم على واحة الزراعة أصر قاسم على الهجوم على واحة الجبال قائلًا أنها ستكون الحرب الأهم والمفاجأة الكبرى لجيش المجنزرين، فقال حذيفة: «رغم شعوري بأنها مجازفة كبرى ولكن هي حقا ستكون الانتصار الأكبر لنا، وستكون ضربة قوية لجيش المجنزرين»، فقال قاسم: «نحن نعلم مداخل واحة الجبال ونقاط قوتها وأماكن جبالها التي تعتبر القوة الرئيسية في صد أي هجوم، فإذا نجحنا باعتلاء تلك الجبال فستتحول الحرب لصالحنا، وسنبيد ونسحق جيش المجنزرين المشغولين بمحاصرة واحة الزراعة أو قد يهجمون على واحة الماء أو واحة الرمال لاستعادتها مرة أخرى، فهم يكرهون الهزيمة في حين نسيطر نحن على واحة الجبال»، وبدأ قاسم برسم مداخل وجبال الواحة وعرضها على الجنود واستعد هو وحذيفة وبعض المساعدين وبدأوا في الهجوم على الواحة حيث هاجم قاسم من اتجاه وهاجم حذيفة من اتجاه آخر وحدثت معركة كبيرة ركز فيها قاسم على أن يصعد الرماة أعلى الجبال والسيطرة عليها، وقُتل عدد كبير من جيش قاسم وحذيفة ولكنهم استطاعوا الدخول بعد هدم أجزاء كبيرة من أسوار ومداخل الواحة، وظل قاسم يضرب بسيفه مع جنوده وقادة الفرق مع جنودهم وبكل سرعة وبساله قتلوا عددا كبيرًا وتمكنوا من محاصرة قصر الوزير وتمكن حذيفة من التقدم بجيشه وحاصر هو الآخر قصر الوزير ودخل حذيفة في معركة مع الحراس وقتل هو وقاسم عددًا كبيرًا من الجنود واقتحموا القصر، لكن كبير حراس القصر استطاع أن يقتل حذيفة بعد مبارزة طويلة بينهم.

حين رأى قاسم حذيفة وهو يهوي على الأرض وكبير حراس القصر ما زال يطيح بعدد من جنوده فأمسك قاسم سيف حذيفة من الأرض ودخل يبارزه بسيفين، ظل قاسم يصرخ في وجهه ويضربه حتى تمكن منه وجرحه في يده؛ فسقط السيف منه، فقام قاسم برمي سيفه وقتل كبير حراس القصر بسيف حذيفة بضربة قوية أخرجت دما كثيرًا فى وجه قاسم، حينها هرب جنود المجنزرين وقتل من قتل.

جثا قاسم على ركبتيه يبكي والجنود من حوله، ثم قال: «أرسلو إلى وزير واحة الأشجار وأخبروه بأن صديقي الوفي قد مات، ووزير الواحة قد فر هاربا هو وبعض جنوده»، ثم عين قاسم أحد مساعديه قائدا مؤقتا للحرس في واحة الجبال وأمره بسد جميع المداخل والاستعداد في أي لحظة لأي هجوم من جنود المجنزرين لمحاولة استرجاع الواحة مرة أخرى، ودفن قاسم كل جنوده في واحة الجبال وأخذ جسد حذيفة وسط عدد من الجنود وقاموا بدفنه في واحة الأشجار.

حين علم قائد المجنزرين المقيم في واحة العطور بسيطرة قاسم على واحة الجبال صار يصرخ ويلعن: «كيف يحدث هذا، كيف يتجرأ هذا القائد اللعين على محاربتنا والانتصار علينا مرة أخرى، فلقد كنت سأحاربه في واحته فقام هو وأسرع بمحاربتنا، الويل له مني سأمزق كل قطعة في جسده»، ثم أرسل هذا القائد أحد الجنود إلى الزعيم ليخبره بما حدث فلما علم زعيم المجنزرين بما حدث أطلقوا في المركز الأم واحة الغربان أصوات أجراس تدل على السخط مما يحدث لهم، فقد

أصبح جيش قائد حرس واحة الزراعة كبيرًا وسيطر على عدد من الواحات التابعة لهم وأخذ الأموال وقتل الكثير من جيشهم، فبدأ الزعيم بتحضير الجنود وأصرّ على محاربة قاسم وقتله وقطع رأسه والنيل منه بأية طريقة، ولكن الزعيم وبعض مستشاريه ظلوا في حيرة شديدة، وقالوا: «من أي واحة سنحارب قاسم وجيشه؟ وفي أي واحة سنجده موجود فعليا فيها لقتله؟ فهو قائد يبدو ماكرا قد يفعل أي خدعة أخرى ولا نستطيع الإمساك والنيل منه وربما سيظل يحتل عددا آخر من الواحات ويضعف ملكنا»، وظل المستشارون حائرين وعرضوا الكثير من التساؤلات على الزعيم، فقال الزعيم: «استطاع قائد صعلوك لعين أحمق أن يجعلنا في حيرة من أمرنا ويربكنا هكذا»، فقال أحد كبراء الحرس التابع للمجنزرين: «نحن نملك جيشا كبيرا ومالا كثيرًا، فيجب أن نربك حسابات هذا القائد الماكر بأن نشن عليه هجومًا في الواحات التي احتلها منا أولا، ونهزمهم ونفتك بهم»، فقال الزعيم: «هذا هو الحل المناسب»، فقام بتجهيز جيش كبير وأرسل لجميع قادة الحرس الذي أرسلهم لمحاربة واحات أخرى على أرض الواحات العظمى لوقف جميع الحروب والرجوع إلى واحة الغربان، كما أرسل لقائد الحرس الموجود في واحة العطور بانتظار الأوامر ولا يتحرك دون أمر من الزعيم. ولكن قبل أن يصل رسول الزعيم إلى هذا القائد قرر هذا القائد خوض حرب على واحة الأشجار ومن ثم ينتظر ماذا سيأمره الزعيم، فاستعد وهجم على واحة الأشجار وحرق فيها كل الأشجار وقتل عددا كبيرًا من جنودها، حتى تمكن من الوزير فقتله وسيطر على الواحة وكان معظم جيش الواحة مع قاسم.

عندما علم قاسم بذلك الأمر استعد فجأة وأمر بالهجوم على واحة الأسماك وانطلق جيشه مسرعا نحو واحة الأسماك التي قضى هو وجيشه على المجنزرين فيها وتمكن منها وأعلن ضمها لواحة الزراعة تحت ملك وزير واحة الزراعة هي وكل الواحات التي نجح في السيطرة عليها، وبدأ قاسم في نفس اليوم بتجنيد عدد كبير من الجنود وإرسال جميع الأموال والغنائم التي حصل عليها من كل الواحات إلى واحة الزراعة، وأرسل وزير واحة الزراعة رسوله إلى قاسم ليخبره بموت مصعب فرمى قاسم سيفه وظل يبكي ويقول: «أصعب فراق فراق الأحبة، ويقول أصبحت وحيدا، فقد مات جميع من أحبوني وأحببتهم، رحم الله القائد العظيم مصعب، لقد كان عزيزًا على قلبي»، وظل يبكي ويقول: «رشيد أين أنت، أريد أن ألعب معك التلتاويه، فأنا الآن ألعبها مع جيش المجنزرين فقد خدعتهم من عدة اتجاهات وأربكت حساباتهم، أنت وحذيفة صديقي المخلص المتعاون فارقتموني وتركتموني وحيدا، ولكنني ما زلت على العهد يا أصدقائي، فسأكمل مسيرتنا كما وعدتكم».

عين قاسم أحد مساعديه قائدا للحرس في واحة الأسماك وأمره بالاستعداد وانتظار الأوامر، ثم ركب حصانه وتوجه وهو حزين الوجه إلى واحة الزراعة وذهب إلى قصر الوزير وانفرد قليلا بمصعب في غرفته، وظل يمسك يده ويقبلها ويقول: «أخفيت عنك يا قائدي العزيز أمرًا مهما كان لا بُد أن تعلمه وهو أنني ابن وزير واحة الغربان الذي قتلوه المجنزين، أودعك وأنت آخر شخص عزيز وقريب من

قلبي، وأعدك بمواصلة حربي والانتفاضة على جيوش المجنزرين وطردهم من أرض الواحات العظمى».

حضر قاسم ووزيره مراسم دفن مصعب وقبل دفنه لا بُد على الوزير من تعيين أحد بدلا منه، ففاجأ الوزير الجميع بما فيهم قاسم وأعلن الوزير تعيين قاسم كبيرًا لحراس القصر بجانب كونه قائدا للحرس ليكمل مسيرته، فأصبح قاسم أول شخص يجمع بين منصبين وصفق له الجميع، وقام الوزير بخلع تاج قاسم وألبسه التاج الجديد وقال مبتسما لقاسم: «تفاجئني كل يوم بأفكارك الجديدة ومكرك وذكائك، وأنا اليوم قررت أن أفاجئك مثلما تفاجئني وتبهرني»، ظل قاسم محتفظا بحزنه على قسمات وجهه وحين توجهوا لدفن مصعب ظل قاسم يشير له مودعًا ويقول: «اليوم ألبست تاجك يا قائدي، ألا إن هذا لشرف عظيم وتاجك هذا سيذكرني دوما بك»، ثم اقترب الوزير من قاسم وقال له: «استعد ففي غضون أيام قليلة سيكون قصرك الجديد جاهزا»، فهز قاسم رأسه، فقال الوزير: «إذا كان لمصعب الفضل عليك في ترشيحك لقائد الحرس وظهورك بهذا الشكل، فأنا أيضًا مدين لهذا الرجل المخلص بهذا الفضل فكان دوما يشيد بك وبمهاراتك يا قاسم»، فقال قاسم: «كنت أحبه وأعتبره صديقي لا قائدي فليرحم الله جميع أعزائي الذين فقدتهم فهم بمثابة دفعة لي للاستمرار في حربي على الجيش اللعين».

وعلى الجانب الآخر عندما علم قائد المجنزرين بنجاح قاسم في السيطرة على واحة الأسماك اشطاط غضبًا و قال: «كنت أود أن يترك لي الزعيم الأمر في المحاربة لا أنتظر الأوامر فقط ولكني لن أهدأ مهما حدث إلا باستعادة واحة الأسماك مرة أخرى، فقد يكون بها القائد اللعين وأقوم بقتله بنفسي ثم أرسل أحد جنوده إلى الزعيم ليخبره بأن قاسم سيطر على واحة الأسماك ردًا على سيطرتنا على واحة الأشجار وقام هذا القائد بالاستعداد لاسترداد واحة الأسماك مرة أخرى، فقام بالتوجه نحوها وحدثت معركة قوية نجح المجنزرين في استعادتها مرة أخرى وقتل مساعد قاسم وعندما قرب الزعيم من إخراج جيوش كل جيش له قائد حرس، علم من الرسول الذي أرسل له بسيطرة قاسم على واحة الأسماك واتسع ملكه بضم كل الواحات تحت حكم وزير واحة الزراعة، فصاح الزعيم غاضبا: «اجمع كل القادة ومُرهم بالخروج في حرب قاتلة على واحة الزراعة أولا وقتل قائد حرسها ووزيرها الذي يريد أن يصبح مثلنا وينزع هذا الأحمق ملكنا».

وعين الزعيم أحد مساعدي كبير حراس قصره كقائد أعلى لهؤلاء القادة وأعطاه الصلاحية في تنفيذ الأوامر وعلى جميع القادة الالتزام بما يقوله، وأرسل للقائد الذي سيطرعلى واحة الأسماك مؤخرا بأن ينتظر جيشًا هائلًا قادم لمحاربة واحة الزراعة، فعلمت عيون قاسم بما حدث وبما يرتب له زعيم المجنزرين فأخبروا قاسم به، فعلى الفور ذهب قاسم إلى الوزير وقال له: «علمت من أحد عيوني في واحة الغربان أن هناك جيش من المجنزرين هائل العدد متجه نحو واحة الزراعة وهناك خطر كبير يحيط بنا فعليك الذهاب سرا دون علم أحد إلى واحة الجبال فهي الأكثر أمنًا حتى الآن ونترك لهم الواحة خالية، فقال الوزير: «ماذا تقول يا قاسم نترك لهم الواحة خالية ليسيطروا عليها ونذهب إلى واحة أخرى سيقومون أيضًا

بالهجوم عليها ونتيح لهم فرصة السيطرة على واحتنا بعد أن أصبحت حصنًا منيعًا ولها جنود قادرين على صد هجوم جيش هائل»، فقال قاسم: «أعلم أن الواحة أصبحت كما تقول ولكن لن يستطيع الجنود الاستمرار في صد الهجوم فقط وأخشى أن الجيوش القادمة تحاربنا من أكثر من اتجاه بأعداد كثيرة فتهزل قوتنا وتربك حساباتنا كما أنني أريد أن يعلموا بأننا هربنا من بطشهم فيقومون بالسيطرة على كل الواحات التي استطعنا أخذها منهم بما فيهم واحة الجبال»، فقال الوزير: ماذا تريد يا قاسم صراحة؟ فبالتأكيد أنت لست بالسذاجة إلى هذا الحد حتى أقول لك أن مصيرنا سيكون الموت، فحتما أنت تفكر في شيء كبير جدا»، قاسم: «نعم، أفكر في خداعهم حتى يظنوا أننا هربنا خوفًا منهم ولكن ستكون المفاجأة الكبرى هى محاربتهم في عقر دارهم»، الوزير: «ماذا تقول!! نحاربهم في واحة الغربان أتقصد هذا؟» أجابه قاسم: «نعم أقصد هذا بالتأكيد».

كان الوزير مندهشًا من حديث قاسم، لكنه أردف قائلًا: «لا، إنها فكرة مجنونة بالطبع ومجازفة كبرى فوق ما تتخيل، لا أوافق على الإطلاق على هذا الأمر».

قاسم: وماذا إن بقينا واستطاع جيش المجنزرين قتلنا والسيطرة علينا.

الوزير بعد أن صمت لفترة قال: «وضعتني في حيرة من أمري، ولكن أتحارب المجنزرين في مقرهم هذا أمر ليس بالسهل على الإطلاق، وكيف من الأساس ستحاربهم؟ فبالتأكيد النهاية محسومة لهم أما هنا فيوجد شعاع من الأمل بأن نصد زحفهم ونقتل منهم عددا كبيرًا إلى أن ينصرفوا عنا لأنهم سيعلمون ماذا سنفعل بهم».

قاسم: الأمر الآن مختلف ياسيدي فهم قد أوقفوا كل حروبهم وتفرغوا لنا ولن يتركونا حتى يتمكنوا منا وهم لن يرجعوا عن هذا الأمر على الإطلاق.

الوزير: إذًا قل لي كيف ستنفذ ما تقوله وتحارب الجيش الأعظم والأقوى في عقر دارهم ووسط جيوشهم؟!

قاسم: الخطة التي أفكر بها هي أن تذهب يا سيدي متخفيًا إلى واحة الجبال وأنا وعدد كبير من الجنود ولكن ليس كل الجنود حتى لا ينكشف الأمر، وسنبقي على عدد من جنود حراسه القصر وسنبقي على قليل من الأموال في الغرفة التى صممها قائدي مصعب بحيث يكون هذا المال ظاهرًا لهم ويبقى المال الأكثر تحت السرداب حتى لا يبحثون هم ويجدوا الأموال والكنوز وينهبوها كما أننا لا نستطيع حملها معنا وأيضًا حتى لا يشعر المجنزرين بأي خدعة تدبر لهم عند اقتحامهم القصر بل فقط نمكنهم من هدفهم ومن ثم في نفس اللحظة التي يهاجمون فيها واحة الزراعة نتحرك بكل جيوشنا إلى واحة الغربان وستكون المفاجأة هي محاربتهم أثناء انشغال جيوشهم بمحاربتنا وننتصر أو نموت منتصرين متحدين، قوتهم وطغيانهم وأيضًا جنودنا في الواحة سيهربون جميعهم للحاق بنا في المكان الذي سنتفق عليه ونهجم بكل قوتنا ونسيطر عليهم ونقتل زعيمهم ونطهر أرض الواحات العظمى من شرورهم.

الوزير: رغم رفضي في بداية الأمر إلا أنني أشعر أن هذه الخطة ستنجح معك وستكون الغلبة لنا إذا الأمور صارت في الطريق الصحيح أو كما تقول.

وبدأ قاسم في حمل الآلات الحربية مثل المجانيق والعربات الحديدية المكشوفة والمغلقة وبعض الأموال التى سيحتاجها والعجلات الحربية، وقال للجميع أنه ذاهب للدخول في حرب على واحة الأشجار لاستعادتها مرة أخرى ولم يخبر أحدًا بما يريد أن يفعله، وذهب بالوزير ليلا متخفيا إلى واحة الجبال وأمر عددا كبيرا من الجنود بالذهاب ليلا إلى واحة الجبال والاستعداد لخوض حرب على واحة الأشجار، وبعدها بيومين اقترح قاسم على الوزير بوضع زوجته وأولاده وزوجة رشيد وأولادها وأسرة الوزير في واحة الماء، فوافق الوزير على هذا الأمر، ولم يكن أحد يعرف أسرهم في هذه الواحة، فقالوا للناس أنهم هاربون من بطش المجنزرين وظل قاسم من حين إلى آخر يذهب إلى واحة الزراعة على أنه يجتمع مع الوزير وذلك للخداع ولضمان إتمام خطته بنجاح، وأيضًا ظل جنوده يتستعدون للدخول في حرب على واحة الأشجار كما قال لهم.

بعد عدة أيام قليلة أتى عين من عيون قاسم في واحة الغربان وقال له: «المجنزرون قادمون لمحاربتك ومعهم عدد من القادة رأيتهم بعيني، ولقد جمعوا جيوشهم العظمى وعددهم كبير جدا لم أرَ مثل عددهم قط فهم جيش بل جيوش قاتلة.

فأسرع قاسم إلى واحة الزراعة وأخذ عددا آخر من الجنود وأبقى على عدد جنود قليل جدا وأخبرهم بأن يلوذوا بالفرار وعدم الدخول في أي اشتباك مع جيش المجنزرين وأن يهربوا من أماكن الطوارئ إذا لم يتمكنوا من الهرب من أي مدخل أساسي ويلحقوا به في الطريق إلى واحة الغربان إذا تمكنوا من فعل هذا، ثم ذهب قاسم إلى صاحب الأمن وجميع جنوده، وسأله: «هل ستدخل معنا في حرب على المجنزرين؟»، فوافق صاحب الأمن، وذهب مع قاسم إلى واحة الجبال فعلم قاسم أن المجنزرين قد توجهوا بالفعل نحو واحة الزراعة فقام بأخذ كل جنوده وجنود صاحب الأمن ولم يُبقِ على أى جندي في واحة الجبال وذهب بهم إلى واحة الماء ومعهم وزير واحة الزراعة وانتظر حتى يهجم المجنزرين على واحة الزراعة.

بدأ قاسم في تقسيم جيشه إلى فرق أكثر وقال كل فرقة ستكون من خمسة جنود وكل خمس جنود لهم قائد فرقة وزود عدد مساعدينه إلى عشرين مساعد ثم قال لجميع الجنود: «إذا قتلت أنا في الحرب فلا تستسلموا فكل مساعد هو قائد سيكمل معكم ما نتمناه جميعا فلا خوف ولا انكسار»، وبدأ يبث فيهم روح القتال وأنهم شجعان استطاعوا الانتصار على المجنزرين وصد هجماتهم كثيرًا فلا جبن في هذه المعركة، وأيضًا قام الوزير بتحميسهم ووعدهم بمكافآت لاحصر لها وأهلهم سيكونوا في رعاية خاصة. ثم وصلت أخبار بهجوم المجنزرين على واحة الزراعة فقام قاسم بالتحرك بكامل جيشه إلى واحة الغربان وعندما دخل جيش المجنزرين إلى واحة الزراعة فوجئوا بهروب الجنود من مواجهتهم واقتحمو الأسوار والمداخل وانهالوا على الواحة من جميع مداخلها ولم يحتك بهم أحد ثم حاصروا القصر، فقال قائدهم الأعلى: «ماذا حدث أفروا هاربين منا بكل هذه السهولة ودون أن يحتكوا بنا؟ أظن أن القصر خالي لا أحد فيه»، فقال القائد الذي احتل واحة الأسماك مؤخرا:

«أظن أنهم في واحة الجبال وإن من المستحيل أن يكون داخل هذا القصر أي إنسان»، فقال قائدهم الأعلى: «إذا فلنقتحم القصر بكل حذر فربما يكون هناك أمر ما»، ثم قاموا بالهجوم على القصر ودخلوا كل غرفة فوجدوه خاليًا لا جند ولا خدم فيه، فقال قائدهم الأعلى: ابحثوا عن المال والكنوز الثمينة فقاموا بالبحث ولم يجدو شيئًا، ولكن قال أحد الجنود: هناك غرفة غريبة في أمرها لها أكثر من باب ومدخل، فقال القائد الأعلى: «أظن أن هذه الغرفة صممت هكذا لتخزين المال والكنوز فيها ليس إلا، وهم أخذوا معهم جميع أموالهم ولم يبقوا إلا على القليل منه، فعلينا ترك بعض جنودنا في هذه الواحة والتحرك إلى واحة الجبال فهم حتما فيها فلقد تجهزوا بالفرار منا ويعلمون أن جيشنا لايقهر، فحتما ستكون نهايتهم فيها».

اجتمع زعيم المجنزرين بكل القادة واختار منهم قائدًا وقال له: «ابقَ هنا ومعك بعض من الجنود لتأمين هذه الواحة، وسنقوم بالهجوم ليلا على واحة الجبال»، وعلى الجانب الآخر ظل قاسم يسلك كل الطرق البعيدة عن أعين الواحات المحتلة من قبل المجنزرين حتى أصبح قريبًا من واحة الغربان.

في مكان آخر، قام جيش المجنزرين ليلا بالهجوم على واحة الجبال ولم يجدو بداخلها جندي، فقال قائدهم الأعلى: «الأمر ليس معقولًا أشعر أن هناك أمر يدبر، فكيف لقائد عنيد أن يترك لنا السيطرة على واحة الزراعة ويترك لنا أيضًا السيطرة على واحة الجبال بكل هذه السهولة»، وقال صارخا إلى أين ذهب جيش قاسم، فقال أحد القادة له: «أظن أن قاسم في واحة الماء أو واحة الرمال، فأنا أعتقد أنه كان متأكدا من انتصارنا عليه وكل التركيز على واحة الجبال وواحة الزراعة لأهميتهم فأراد أن يختبئ في واحة ستكون هي آخر ما نفكر به وذلك لتقسيم جيوشنا في كل واحة ويصبح عددنا أقل وعندما نهجم عليه في واحة الماء أو الرمال يعتقد بأنه سينجح في صد هجومنا عليه كما اعتاد»، فقال القائد الأعلى: «هذا اللعين سيذوق منى أشد أنواع العذاب قبل أن أقتله بنفسي هو ووزيره الأحمق»، وعندما أصبح قاسم على مقربة من واحة الغربان بدأ يؤكد على الخطط التى وضعها وأن كل فرقة بقائدها تعتبر جيشًا صغيرًا يحدد هدفه وينتقل على الهدف الآخر دون خوف ودون استسلام فجيوشهم مسيطرة على أرضنا وعلى أهلنا والانتصار عليهم يعني أننا أنجدنا أنفسنا وأنجدنا أهلنا وحميناهم من المخاطر ومن الألم والذل والإهانة والضرائب الباهظة التى سيتحملونها ويفرضها عليهم جيش الشياطين هذا.

ثم هتف قاسم مشجعًا جيشه: «قاتلوا من أجل أسركم وأولادكم وأهلكم، ودافعوا عن عرضكم والتزموا بالتعليمات بكل إصرار وشجاعة»، وبدأ الوزير يحمس فيهم أيضًا ووعدهم برعاية كاملة لأسرهم ووعدهم بتملك عدد من أراضي واحة الزراعة توزع عليهم بالتساوي عند الانتصار، ثم اجتمع قاسم مع كل مساعديه وأخذ جانبا معهم وأجلسهم على الأرض وصار يرسم على الرمل مداخل وحدود الواحة وقال للمساعدين العشرين: «كل ثلاثة مساعدين منكم سيصبحون وكأنهم جيش منفصل وأنا سيكون معي اثنان منكم وهذا يعني أننا سنصبح من سبع مجموعات كل مجموعة ستهجم من اتجاه وسأعين واحدًا من الثلاثة كقائد للمجموعة وحين يقتل يصبح الآخر قائدًا وحين يقتل يصبح الأخير قائدا للمجموعة حتى لا

يهتز الجيش ويكون للمجموعة أمر واحد واتجاه ثابت وكل مجموعة ستهجم من اتجاه مختلف من أرجاء واحة الغربان حتى تكون المفاجأة ثقيلة عليهم ونرهبهم ونسيطر عليهم والأهم من ذلك هو ضمان عدم خروج أي فرد من واحة الغربان حتى لا يذهب ليخبر جيش المجنزرين ويأتي هذا الجيش إلى هنا ويحاربنا وعلى كل ثلاثة مساعدين إخبار ما تحتهم من قادة فرق بكيفية الهجوم، فالهجوم سيكون في توقيت واحد وكل مجموعة تأخذ عربة حديدية تكون هذه العربة هي أول بداية للهجوم ومن بعدهم الرماة على الخيول يصطادون الرماة على الأبراج والحصون والأسوار ثم يدخل مجموعة من الجنود على مداخل الواحة ويبدأوا في تحطيم البوابة حتى ينشغل جنود المجنزرين بهم وفي نفس الوقت تتدخل العربات الحديدية المكشوفة وعليها المجانيق فتقذفهم بكرات اللهب وترمي عليهم الحجارة لتهدم أسوارهم وتثير الفزع والرعب لديهم وحين التمكن من فتح أي مدخل يذهب أحد من الجنود لإخبار المجموعة الأخرى، والمجموعة الأخرى ترسل أحد الجنود لإخبار الثانية حتى في نهاية الأمر يعلم الجميع بما حدث، فذلك يزيد من الحماس أولا وثانيا ستنطلق باقي المجموعات لتدخل من المدخل المحطم وعند الدخول لا بُد من مجموعة كاملة لكي تحاول الوصول إلى قصر الزعيم وتتركنا للاشتباك مع أي من جنود المجنزرين هذا الأمر سيربكهم ويجعلنا نتمكن أكثر ونكون على مقربة من دخول قصر الزعيم».

اختار قاسم قائدا لمجموعة من كل ثلاثة قادة، وعلى كل قائد مجموعة أن يكون جيشا مستقلا وعليه إخبار قادة الفرق فيما اتفقوا عليه، ثم ذهب قاسم للوزير وقال له: «ستبقى يا مولاى هنا ومعك صاحب الأمن وبعض جنوده فإذا انتصرنا فسنرسل لك وإذا هزمنا فأنا لن أترك واحة الغربان حتى أقتل ويكون لك الحق في الهروب، فاذهب إلى أي واحة تريدها»، فقال الوزير متأثرا وسالت الدموع من عينه: «يا قاسم أثق بك، وأعلم أنك ستنتصر لأنك تحسب كل شيء وتخطط لكل شيء فمن يفعل مثلك مستحيل أن يهزم وإن قتلت يا قاسم فلن أعيش في أرض الواحات العظمى يوما دون أن أنتقم لك وسأسعى إلى أن تتحد جميع الواحات من أجل طرد هؤلاء المدمرين المخربين من أراضينا الطاهرة».

وبدأ الجيش يستعد ثم انطلقوا نحو واحة الغربان حتى ظهرت لهم معالم الواحة فأشار قاسم لكل العربات الحديدية بالانطلاق أولا نحو الواحة، فانطلقت مسرعةً نحو الواحة كل واحدة في اتجاه مختلف، ثم قال قاسم: «كل مجموعة تنطلق الآن خلف العربة الحديدية ولا تنسوا الرماة على الخيول تهجم عن قرب أولا ويبدأ عدد من الجنود بتحطيم المدخل، والرماة أمام كل مجموعة ومعهم درع الرماة فنرسل عليهم وابل من السهام، ثم صاح قاسم هيا بنا لننتصر لأنفسنا فبدأت كل مجموعة تتفرق عن الآخر حتى حاصروا الواحة ومداخلها واستطاعوا قتل حراس المداخل والجنود أعلى الأبراج وألقوا كرات من اللهب والحجارة وتمكنوا من تحطيم أحد المداخل، فدخلت مجموعة قاسم وبعدها دخلت باقي المجموعات فصاح قاسم لقائد أحد المجموعات: «اذهب بجيشك نحو قصر الزعيم وحاصره ولا يوقفك أحد»، وبدأت أصوات الأجراس تنطلق من واحة الغربان تطلق هذه الأصوات عند وقوع

الواحة في مخاطر، وبدأت مجموعة قاسم وباقي المجموعات تشتبك وحدثت معركة قوية وشديدة مع جيش المجنزرين في الواحة، وأمر قاسم الرماة باعتلاء الأبراج وصار يضرب بسيفه بقوة وانتقام وتذكر والده ووتذكرعقبة والصعوبات التى مر بها وتذكر رشيد وحذيفة ومصعب وصار يصيح في جنوده ويحمس فيهم وانطلق في الواحة وانطلقت المجموعات الأخرى في أماكن مختلفة من أرجاء الواحة ولم يتركوا جنديًا إلا وقتلوه واستحوذوا على أجزاء كبيرة من أماكن مهمة في الواحة، وحاصر قاسم الواحة من أماكن متفرقة وحين علم الزعيم بما يحدث خارج القصر انتابته حالة من الرعب والفزع وصار يضرب بسيفه أي شيء أمامه، وأرسل للوزير الذي كان معه في نفس القصر ولكن له مدخل وغرفة خاصة به وقال له بصوت عال: «أرسل بعض الجنود لجيوشنا في الواحات التابعة لنا وجيشنا الكبير الذي ذهب ليقاتل فتى ماكر وأحمق»، فقام الوزير بإرسال بعض الجنود قائلا لهم: «أسرعوا في الذهاب وتجميع جيوشنا من أقرب الواحات التابعة لنا وليذهب أحدكم إلى الجيش الأكبر فنحن سنهلك»، وأتى كبير حراس القصر قلقا وقال للزعيم: «جنود قاسم حاصروا القصر ولا جدوى من إرسال أي جندي خارج هذا القصر فإذا خرج أي جندي لن يعود أبدا»، فقال الزعيم مرتعبًا: «ذهبنا لقتاله فأتى ليقاتلنا، هل يعقل أنه هزم جيوشنا أم فر منهم وقام بخداعهم وخداعنا؟»، فقال كبير حراس القصر: «هذا القائد يمتلك الكثير من مهارات المكر والحيل ولكني أعتقد أنه هرب من جيوشنا وأتى هنا لنا»، فقال الوزير: «ماذا نفعل؟ نحن بالتأكيد سنهلك هنا، افعلوا شيئًا، هل انهزم جيش الواحة واستطاع هذا الأحمق تدمير ملكنا بكل هذه السهولة؟»، فأتى الجنود من الخارج وقالوا لم نستطع الخروج فالقصر محاصر وأصوات الأجراس تطلق من حين إلى آخر، فقال الزعيم: أصوات أجراس! ما زالت تطلق!، فقام بفتح شباك وأرهف السمع قليلا وسمع صوتا ضعيفًا صادر عن الأجراس، فصار يضحك كالمجنون ويقول: «هذا يعني أنه ما زال هناك جيش يحارب هذا الأحمق وسيقوم بسحقه ويلقنه درسا وستكون نهايته»، فقال كبير حراس القصر: «كيف والجيش محاصر القصر؟ كيف استطاعوا الوصول إذًا إلى هنا؟ هل أتوا إلى هنا وتركوا باقي جيشهم يحارب في أرجاء الواحة؟»، ثم جلس الزعيم على مقعد بجوار كرسي الحكم وقال غاضبا: «يا له من أحمق ماكر»، وظل قاسم يحارب ويقتل هو وجيشه و من يفقد سلاحه من جنوده يضرب بحذائه الحربي حتى تمكنوا من الوصول إلى قصر الزعيم مع المجموعة المحاصرة له وقال قاسم: «لا أحد يقتحم دون أمر مني»، فقال أحد مساعديه: «ماذا سنفعل إذًا؟»، فقال قاسم: «أرسلوا إلى وزيرنا ليحضر إلى هنا وقوموا بإصلاح مداخل الواحة وعلى جميع الجنود إحكام السيطرة على جميع مداخل الواحة ويكونوا في وضع الاستعداد دائما» ويظل القصر محاصرا هكذا حتى آذَنَ لكم باقتحامه».

وبينما هما هكذا، إذ أتت مجموعة من سكان الواحة فرحين بقاسم وجيشه وقال أحدهم: «لقد أنقذتنا من القهر والظلم والضرائب الباهظة وسجن الأبرياء»، وقال آخر: «اقتحموا القصر واقتلوا كبير الفاسدين، لماذا تنتظرون؟ اقتلوه لتصبح أرض الواحات العظمى طاهرة آمنه من عبثهم فقد قتلوا الأبرياء دون ذنب فقط من أجل المال وحبهم للحكم»، وقالت أخرى: «أبي في السجن قد ادخلوه ظلما لرفضه دفع

الأموال الباهظة، أرجوكم أخرجوه وأخرجوا كل الأبرياء»، فقام قاسم على الفور وأخذ عدد كبير من جنوده وذهب إلى بيت صاحب الأمن وصار جنود قاسم يرمون على الحراس بالسهام والمجانيق تصوب نحوهم، ثم اقتحموا المدخل وقاموا بالاشتباك معهم بالسيوف ولمدة قصيرة جدا دخل قاسم للسجن بعدما قتل جميع الجنود وقتل صاحب الأمن وفتح الأبواب أمام المساجين فقاموا بالجري إلى الخارج فرحين بما يحدث، وبعضهم شكر قاسم وقام بعضهم بالبكاء عندما رأوا النور وقال شخص بالقرب من قاسم وهو يبكي: «سجنت لسنين طويلة فقط لعدم مقدرتى على دفع المال فصرت أدعو عليهم كل يوم فقد ذقت أنواع العذاب ولا أعلم لماذا كل هذا كنت أنتظر مجيء قائد عظيم ينقذنا مما نحن فيه، فقد شهدت أرض الواحات العظمى سنين ظلم وفساد وخراب وقتل»، وظل يبكي فقام قاسم بوضع يده على رأس هذا الرجل وقبل رأسه وقال له: «اهدأ فقد أخذ الله حقك وحق كل من قتل ظلما دون ذنب».

وعلى الجانب الآخر أمر القائد الأعلى للمجنزرين القادة بالهجوم على واحة الماء وقطع رأس قاسم ومن معه وأرسل أحد جنوده برسالة إلى زعيم المجنزرين وكتب فيها من القائد الأعلى للجيوش المجنزرين إلى الزعيم الأعظم للمجنزرين تمكنّا من السيطرة على واحة الزراعة وواحة الجبال ورفعنا فيها شعارنا وأصبحت هذه الواحات من أملاكنا، ولكن قد فر قاسم وجنوده ونحن الآن سنقوم بالهجوم عليه في واحة الماء وإن لم نجده فسنهجم عليه في واحة الرمال فهى آخر واحة من الممكن أن يختبئ فيها، وعندما أقوم بقطع رأسه بسيفي سأعلقها على مدخل واحة الزراعة ليكون عبرة لمن تسول له نفسه ويفكر في أن يخوض الحروب معنا، يحيا المجنزرين، تسقط أرض الواحات العظمى».

وحين وصل المجنزرين إلى واحة الماء لم يجدوا بها جنديًا واحدًا ولا يوجد إلا أهل الواحة فقط، فقاموا بالهجوم على واحة الرمال فلم يجدوا بها جنديًا فأصابتهم الدهشة والحيرة، وقال القائد الأعلى وهو يصيح جنونا: «أين قاسم وجنوده، هل شقت الأرض وأخفتهم؟ كيف لهذا الاحمق أن يترك لنا الواحات التي سيطر عليها بكل هذه السهولة؟ وماذا سنقول للزعيم؟ فقال أحد القادة: «لم نترك واحة إلا وبحثنا فيه عنهم»، وقال قائد آخر: «أشعر أن هناك مكيده تدبر لنا فهو قائد ماكر وبالتأكيد هو يخطط من مكان ما، فلنبحث عنه خارج الواحات فربما يكون في الصحراء أو يذهب بجيشه ليقوم باحتلال واحة أخرى ويقيم بها، فلنلحق به»، فقال قائدهم: «أمامكم يومان فقط حتى تفسروا لي ما حدث! فليقم بعضكم بالذهاب للبحث عنه في الواحات الأخرى فربما سيطر على واحة تابعة لنا ويقيم بها والبعض يبحث عنه خارج الواحات».

على الجانب الآخر دخل وزير واحة الزراعة وصاحب الأمن إلى واحة الغربان وقام باحتضان قاسم وبكوا جميعًا، وقال الوزير: «كنت أعلم أنك ستفعلها، كنت أعلم أنك قائد عظيم يا قاسم»، فقال قاسم: «أنا قلق على زوجتي وأولادي وزوجة وأولاد أخي رشيد»، فقال الوزير: «لا تقلق فلا أحد يعلم من هم ولا أحد من سكان واحة الماء شاهدهم من قبل وبالتأكيد هم في أمان وسترسل لهم قريبا ويكونوا بجوارك

ويشهدوا نجاحك وسأطمئن أنا الآخر على أسرتى، ولكن قل لى لماذا لا تقتحم قصر الزعيم وتطمئن قلبنا وتزيل هذا الهم عنا»، فقال قاسم: «سأخبرك ولكن عندما أدخل هذا القصر ولكن لن أقتحمه إلا بعد عدة أيام، ولي هدف من ذلك».

ظل قاسم وجنوده يأسرون القادة والتابعين للمجنزرين... وبعد عدة أيام قليلة تمكن جنود قاسم من إمساك الجندي الذي أرسله القائد الأعلى وأدخلوه داخل واحة الغربان ووضعوه بين يد قاسم، فقام قاسم بقراءة الرسالة وعلم أنهم اقتحموا واحة الجبال والزراعة وأنهم سيهجمون على واحة الماء والرمال لظنهم بأن قاسم قد يكون فيها، فصاح قاسم لجنوده قائلا: تحفظوا على هذا الجندي، ثم قال للوزير: المجنزرين سوف يحتلون واحة الماء فسأقوم على الفور باقتحام قصر الزعيم، فأمر باقتحام القصر وبدأ يسرع بفرسه نحو القصر ويصيح فى جنوده قائلا: «اسحقوهم»، فحطموا أبواب القصر وانفزع الزعيم وقال لكبير حراس القصر والوزير: «افعلوا شيئًا فنحن سنهلك»، فقام كبير حراس القصر بإعطاء الأمر لجنوده برمي السهام عليهم ومنعهم من الدخول بأي طريقة فقتلو عددا من جنود قاسم الذين يحطمون أبواب القصر ولكن عاد جنود قاسم واصطادوهم وقتلوا كل الجنود أعلى القصر وحطموا إحدى مداخل القصر ودخلوا واشتبكوا مع جنود الحرس.

حين دخل قاسم صارت عينه تدمع وتذكر حالة الرعب التى مر بها داخل هذا القصر ورفض أبيه الهروب معه، فصار يصيح ويقتل حتى استطاعوا اقتحام حرم القصر ودخلوا على الزعيم ووزيره وكبير حراس القصر وعدد كبير من جنودهم فاشتبكوا معهم بالسيوف وقتلوا عددا من جنود قاسم، ولكن جنود قاسم تكاثروا عليهم فقتلوا جميع الجنود وقام الزعيم بالفرار ودخل غرفته وقام بغلقها عليه.

قام قاسم بقتل وزير المجنزرين فقد قطع رأسه بضربه واحدة وسيطر جنود قاسم ومعهم أحد مساعدي قاسم على كبير حراس القصر الذي قتل قائد فرقة وبعض الجنود ولكن الجنود تكاثروا عليه وأصابوه بجروح كبيرة فقام أحد مساعدي قاسم بضربه بالسيف حتى قتله، وقال قاسم لبعض جنوده: «أحضروا لي زعيم الخونة الجبان إلى هنا»، فاقتحم الجنود عليه غرفته فوجدوه في أحد أركان الغرفة مشهرا سيفه الذي كان يهتز من يده فقام أحد الجنود بالدخول عليه وقال له أنزل سيفك وإلا قتلتك، فقام الزعيم بضربه بسيفه وقتله، فدخل باقي الجنود وتكاثروا عليه وألقوا بسيفه أرضا وصاروا يضربوه بأيديهم وأرجلهم ثم جروه أرضا زاحفا بين يد قاسم، فأمر قاسم بوضع الحديد في يده وقدمه، ثم أمر الجنود بإحضار الجندي الذي أرسله القائد الأعلى فأحضروه، فقال له قاسم: «أين زوجتك وأولادك حتى لا أقتلهم لأنني سأقتل كل شخص تابع للمجنزرين ولن أبقي على شخص منهم حيًا، فأخبرني أين هم حتى أضمن لك أنهم سيكونون في أمان ولن أقتلهم»، فقال الجندي: «مقابل ماذا؟ وماذا تريد مني؟» فقال قاسم لن أخبرك إلا عندما أحضرهم إلى هنا، فصاح الجندي قائلا: «لا أرجوك لا أريد أن يشاهدوني في هذه الحالة أرجوك»، فقال قاسم: «أخبرني بمكانهم ولن أجعلهم يرونك في هذه الحالة، وعندها سأخبرك بما أريد»، فقال لقاسم عن مكانهم في واحة الغربان فأحضرهم جنود قاسم فقال قاسم لجنوده:

«تحفظوا على أولاده ولكن أدخلوا عليه زوجته لنتأكد أنها بالفعل زوجته»، فدخلت زوجته وصارت تبكي قائلةً: «لا تقتلوا زوجي أرجوكم»، فأمر قاسم بخروجها وظل الجندي يبكي عندما رأى زوجته، فقال له قاسم: «لا تبكِ، هي وأولادك وأنت ستكونوا بخير إذا فعلت ما أريده»، فقال: «وماذا تريد مني؟»، فقال له قاسم: «أمامك فرصة للنجاة أنت وأسرتك وسأضمن لك العيش بأمان هنا، ولكن عليك أولا أن تذهب إلى قائدك الأعلى وتقول له بأن الزعيم يريد كل القادة في أمر في غاية الأهمية يخص أرض الواحات العظمى بأكملها، ولكن يبقى قائد واحد مع الجيش والذي يختار هذا القائد هو القائد الأعلى ولا يترك الجيش الواحات خوفا من استيلاء جيش قاسم عليها، وعلى القائد الأعلى التنفيذ على الفور»، فقال هذا الجندي: «أوافق على ما تريده شرط عدم إلحاق الأذى بأسرتي»، فقال له قاسم: «لك ذلك ووعدتك بعدم التعرض لهم شرط أن تنفذ هذا»، فقام قاسم وأجبر الزعيم على كتابة هذه الرسالة، فرفض الزعيم فقام قاسم بضربه ولكن الزعيم أصر على عدم كتابتها وقال: «لن أفعل ذلك فجنودي ستعود ويقتلونك أنت ومن معك ولن تنجو بفعلتك هذه»، فبصق قاسم في وجهه وقال له: «قبحك الله فأنا لن أقتلك إلا عندما ترى الذل والإهانة بعينك هذه وسأجعلكم تعودون من حيث أتيتم ولن يبقى لكم أثر في أرض الواحات العظمى التى أفسدتموها ونشرتم فيها القتل والانحلال بعدما كانت في قوة وازدهار»، ثم أمر قاسم أحد جنوده وقال لهم ضعوا هذا المجرم في السجن فقاموا بأخذه وهو يقول بصوت عال: «ستندم على فعلتك و سأقطع رأسك عن جسدك بنفسي»، فقال وزير واحة الزراعة لقاسم: «لماذا لم تقتل هذا االأحمق المتمرد حتى الآن؟»، فقال له قاسم ستعلم في القريب العجل، فقال الوزير: «وكيف ستبلغ رسالة الزعيم مع هذا الجندي»، فقال قاسم: «يكتبها الجندي ونختمها بختم الزعيم»، فقال الجندي: «أنا لا، ولكن أحضر أحد كتبة الزعيم، فهم من يكتبون بعض الرسائل الهامة خارج وداخل الواحة»، فأمر قاسم بأخذ هذا الجندي وسط عدد من الجنود ويبحث في الأسرى عن أي كاتب هو يعلمه، فذهب الجندي مع بعض من جنود قاسم أخذوه على العجلة الحربية إلى السجن وصار يبحث حتى وجد الكاتب فقام الجنود بإحضاره وذهبوا به إلى قصر الزعيم، فقال له قاسم: «ستكتب رسالة أمليها عليك وسأضمن لك العيش هنا ولن أقتلك لا أنت ولا أسرتك»، فسأله: «وماذا تريد أن أكتب»، فأملاه قاسم فكتب الكاتب الرسالة وصار قاسم وجنوده يبحثان عن ختم الزعيم في غرفته وبعد استغراق قليل من الوقت وجدوا صندوقًا كبيرًا فقام قاسم بتحطيمه بسيفه فوجدوا به بعض الرسائل وورقة ملفوفة فتحها قاسم فوجدها خريطة لأرض الواحات العظمى ووجد خريطة أخرى لأرض الواحات العظمي أيضًا ثم وجدوا صندوقًا صغيرًا فحطمه قاسم بسيفه فوجدوا بداخله الختم.

قام قاسم بختم الرسالة وقال للجندي: «انطلق لقائدك الأعلى وتذكر أن أسرتك ما زالت تحت أيدينا»، فذهب الجندي راكبا فرسه ومتجها نحو قائده الأعلى، ثم جلس قاسم على كرسي الزعيم فتذكر أبيه وهو يجلسه على كرسي الحكم ويقول له: «أنت قائد والقائد لا يبكي»، فصار قاسم يبكي ويتذكر فراق أبيه وفراق رشيد وعقبة فقال له الوزير: «لماذا تبكي يا قاسم فأسرتك بخير، أرسل أحد جنودك متخفيا في زي العامة وأرسله إلى واحة الماء ويأتينى بخبر أسرتك وأسرتي فوقف قاسم وأمر على

الفور أحد مساعديه وقال له: «أنت تعرف شكل أسرتي وأسرة الوزير فاذهب متخفينا في زي العامة إلى واحة الماء فورًا وأخبرهم بما حدث واتيني بخبرهم، وقل لهم أن قاسم وجيشه قادمون قريبا، وسأكتب لهم رسالة سلمها لزوجتي»، وقال الوزير: «وأنا أيضًا سأكتب لأسرتى رسالة»، وظلوا يكتبون في رسائلهم لأسرهم وأعطاها لهذا المساعد وانطلق هذا المساعد نحو واحة الماء.

ثم جلس قاسم والوزير معا وبدأوا يمعنون النظر في الخريطتين، فقال قاسم: «أرأيت هذه الخريطة بها جميع واحات أرض الواحات العظمى، وهذه الخريطة قد وضعوا فيها شعارهم على الواحات المسيطرين عليها، انظر يا سيدي لم يبقَ سوى عدد قليل جدا من الواحات التى لم يحتلوها»، فقال الوزير: «سحقا لهم كانوا لا يريدون إلا أن تكون أرض الواحات العظمى بأكملها تحت حكمهم ماذا فعلنا بهم حتى يفعلون كل هذا فقد أفسدوا كل شيء»، فقال قاسم: «وقد حان وقت إرجاع ما أفسدوه وسترجع أرض الواحات العظمى أفضل مما كانت عليه بعد طردهم أو قتلهم من أرضنا الطاهرة».

ثم توجه قاسم إلى قبر أمه وقال: «عدت لكِ يا أمي وأنا الآن قائدٌ كما كنتِ تحلمين بي»، وانغمر في البكاء قائلًا: «لا أعلم أين دفن أبي فقد حرمت منه وحرمت من أن أعلم له مكانًا حتى بعد موته».

وعلى الجانب الآخر عاد بعض جنود المجنزرين إلى القائد الأعلى وقالوا له: «لا أثر لقاسم وجنوده»، فصاح فيهم كيف اختفى هذا الاحمق فقام بإرسال بعض الجنود مرة آخر وقال: «اذهبوا وتحسسوا أمره في الواحات الغير محتلة فربما دخل هو وجيشه فيها ولكن عليكم تغيير ملابسكم وادخلوا الواحة على أنك تريدون الشراء من سوق الواحة وتحسسوا الأمر وأرسلوا لنا»، فقال أحد القادة: «لماذا لا نهجم على هذه الواحات ونقتل كل ما فيها ونبحث بأنفسنا إن كان قاسم فيها أم لا»، فقال القائد الأعلى: «يعجبني حماسك ولكن حماس دون تخطيط لا جدوى منه، فربما نهجم ونستنفذ كل قوتنا ونحقق ما يريده قاسم، فربما أراد أن نفعل ذلك ليأتى هو وجنوده ويسيطرون على أي من الواحات مرة أخرى بعدما تفرقت جيوشنا في بعض الواحات، وأنت تريدنا أن نحارب واحات أخرى دون أن نعلم أين اخفتى قاسم ووزيره وجنوده، أحمق أنت! وأنا لن احارب أي واحة دون إخبار الزعيم بما يحدث ولكن فقط لن أخبره حتى أعلم أمر هذا القائد الماكر».

بعد عدة أيام قال أحد قادة المجنزرين للقائد الأعلى: «أيها القائد قد عاد جندنا الذي أرسلته منذ عدة أيام إلى الزعيم وهو يحمل رسالة من الزعيم»، فقال أدخله فدخل الجندي وأعطى الرسالة للقائد الأعلى وظل يقرأ فيها وهو يتمتم بصوت غير مفهوم، ثم قال كيف يطلب منا الزعيم هذا الأمر وفي ذلك التوقيت، فقال أحد القادة: «ما الأمر سيدي القائد؟»، فقال: «الزعيم يريدني ويريد كل القادة في أمر مهم يخص أرض الواحات العظمى بأكملها ولم يوضح الزعيم هذا الأمر، فلا بُد أن أترك أحدكم لتولي مهمة القيادة، فأنا اخشى أن يكون قد حدث مكروه أو شيء ما»، ثم قال للجندي: «هل لاحظت أي شيء في واحة الغربان؟ وهل هي على ما يرام؟ فقال الجندي: «لا لم يحدث شيء فقط أعطيت الرسالة للزعيم فقرأها ثم أمرني

بالذهاب بهذه الرسالة الأخرى وقال لي أعطها للقائد الأعلى»، فقال القائد الأعلى: «سننفذ ما طلبه الزعيم لندرك ماذا حدث».

وعلى الجانب الآخر وصل مساعد قاسم إلى زوجة قاسم وأخبرها بحال قاسم فبدأت تبتسم بعدما كانت حزينة وقلقة على أمره وقال لهم أن قاسم سيأتى لكم في القريب العاجل ويطمئنك أنتِ وأولادك ويعطي لكِ هذه الرسالة وهذه الرسالة الأخرى لأسرة وزير واحة الزراعة أعطيها لهم وأخبريهم بما أخبرتك به وانطلق هذا المساعد عائدا لواحة الغربان وفتحت صابرة زوجة قاسم الرسالة وقرأت الرسالة وهي تدمع بعض الشيء وتقرأ الرسالة المكتوب فيها: «إلى زوجتي الغالية صابرة، أعلم أنكِ تحملتي معي الفراق وكثير من الصعوبات والتحديات وكنتى دوما عونًا لي ووقفتي معي وتحملتي كل هذا وأكثر فقد حان الوقت لتعويضك أنتِ وأبنائى عن كل ما حدث فاليوم أكتب لكِ الرسالة وأنا أشعر أنني قد حققت كل ما أريده في حق جيش المجنزرين ولم يبقَ سوى القليل اليسير وسأقضي عليهم جميعا وأطهر أرض الواحات العظمى منهم فأنا اليوم انتصرت لوالدي ولأهلي جميعا وقد حققت هدفي بعد المزيد من العناء والتحديات التى واجهتها، فاليوم في قصر والدي القصر الذي نشأت به وقريبا ستكونين معي في هذا القصر وسأحكي لكِ عن ذكرياتي مع هذا المكان، أستودعكي الله يا عزيزة قلبي وأبلغي سلامي لأولادي وطمئنيهم بأن والدهم بخير وأبلغي سلامي لماهرة وأولادها وأخبريها بأن حق رشيد قد أخذ وحلم رشيد قد تحقق، زوجك العزيز قاسم».

وعلى الجانب الآخر تحرك القائد الأعلى وباقي القادة ومعهم عدد قليل جدا من الجنود ومعهم الجندي الذي اتفق معه قاسم واتجهوا نحو واحة الغربان وعندما أصبحوا على مقربة من واحة الغربان أمسك بهم عدد من جنود قاسم فقام القادة بقتلهم ففر الجندي المتفق مع قاسم نحو واحة الغربان فصاح القائد الأعلى وقال: «لا بُد أن هذا الجندي الخائن تآمر علينا ولكنني لم يخطر ببالي أن القائد الماكر الأحمق يتجرأ ويحتل مقر حكمنا يا له من قائد لعين علينا الفرار الآن وإحضار جيوشنا ونأتي إلى هنا ونخلص واحتنا من هذا الأحمق المخادع»، ودخل الجندي المتفق مع قاسم داخل الواحة فأخبر الجنود بما حدث فقام أحد القادة بإخبار قاسم فأمر قاسم أن يلحق بهم عدد من جنوده وركب قاسم حصانه وذهب خلفهم ومعه عدد من المساعدين وقادة الفرق وبعض الجنود وظلوا يسرعون بخيولها حتى اقتربوا منهم فقام قاسم برمي سهم أصاب أحد الجنود وأمر جنوده بإطلاق السهام عليهم حتى يجبرهم على الوقوف، فقال القائد الأعلى لجميع جنوده: «ابقوا خلفي وخلف القادة وأسرعوا بخيولكم»، فصوب جنود قاسم عليهم فقتلوا منهم عددا كبيرا، فقال أحد القادة للقائد الأعلى إذا مكثنا هكذا فسوف نقتل من خلفنا بالأسهم، فأمر القائد الأعلى الجميع بالوقوف والدخول في اشتباك مع قاسم وجنوده وصاح بصوت عال قائلا: اقطعوا رأس قاسم.

حدث بينهم اشتباك ودخل قاسم مبارزا للقائد الأعلى فأصابه قاسم في يده فصاح وظل يضرب بعنف بسيفه فأصاب كتف قاسم بجرح عميق فضربه قاسم بسيفه وفصل رأسه عن جسده وسقط قاسم من على فرسه مغشيا عليه في وسط الحرب،

فأمر أحد المساعدين عدد من الجنود بحمل قاسم والذهاب به على الفور إلى واحة الغربان، وظل الاشتباك قائما حتى تمكن جنود قاسم ومساعديه وبعض قادة الفرق من قتلهم جميعا بعدما قتل قادة المجنزرين عددا منهم ودخلوا الجنود مسرعين بقاسم ووضعوه داخل القصر وأمر الوزير بإرسال لأحد عرافي الداء فقام عراف الداء بربط جرح قاسم وأعطاه مشروبًا من الأعشاب وقال: أعطوه من هذا الشراب ثلاث مرات يوميا وكل يوم سوف آتى له وأضمد جرحه ومن المتوقع أن يظل فى حالة إغماء ولكن لوقت قصير وسيصبح في حالة جيدة وإن ارتفعت حراراته فلا تقلقوا فهى نتيجة هذه الإصابة العميقة فقوموا بوضع ضمادات الماء على أماكن متفرقة من جسده إن ارتفعت حرارته.

فظل الوزير بنفسه يتابع قاسم عدة أيام حتى رجع قاسم لحالته وشكر الوزير فقال له: مهما فعلت في حقك يا قاسم فلن أوفيك حقك فقد أرسلك الله لي لتنجدني وتنجد أرض الواحات العظمى.

فقال قاسم: أحضروا لي الجندي الذي أرسلت معه الرسالة، فأحضروه له، فقال له قاسم ستأخذ رأس القائد الأعلى معك في صندوق وستذهب إلى قائد المجنزرين في الواحة التى يقيم بها الآن وقل له لقد قتل قاسم جميع القادة واحتل واحة الغربان وقتل الزعيم وكل القادة ما عدا أنا وبعض الجنود فقد أسرنا لعدة أيام ثم أعطاني هذا الصندوق وقال لي هذه هدية أهديها لقائد المجنزرين فوافق هذا الجندي وتوجه نحو قائد المجنزرين وأعطاه الصندوق وأخبره بأن قاسم احتل واحة الغربان وقتل الزعيم وجميع القادة فصار يصيح ويقول: «كيف تمكن من فعل هذا؟ وما هذا الصندوق؟» فقام بفتحه وهو في حالة غضب فوجد رأس القائد الأعلى بداخل هذا الصندوق فزداد فزعا وغضبا وقال: لن أترك هذا الملعون الأحمق وسأقتله بنفسي، وسأكون جيشي نحو هذا الأحمق ولن أترك أرض الواحات العظمى، وسأصبح أنا الزعيم ولن يرحل جيش المجنزرين عن هذه الأرض أبدًا.

قام قائد المجنزرين بجمع الجنود من كل الواحات التابعة للمجنزرين وعندما علم بعض الجنود بما حدث لزعيمهم قاموا بالهرب خوفا على أنفسهم وهرب أحد مساعديه وقال له قبل الهرب علينا بالفرار والرجوع إلى أرضنا؛ فحربنا مع قاسم محسومة لصالحه فقد قتل كل القادة وسيطر على مقرنا. فقال له القائد ونحن جيش كبير سننتصر عليه وأعين نفسي زعيما للمجنزرين ولكن هذا المساعد هرب وأخذ معه عددًا من الجنود فلما علم هذا القائد بهرب أحد مساعديه والجنود خوفا من قاسم قال للجنود: «سأزيد من أجركم وأعدكم بزيادة كبرى وكل خزائن واحات المجنزرين ستفتح لكم وعلينا تجميع جيوشنا والذهاب لكل الواحات الخاضعة لحكمنا ونأخذ منها جيشا لنحارب جيش قاسم ونسترد حكمنا مجددا»، فعلم الجندي الذي أرسله قاسم وقام بالهرب متجها إلى قاسم في واحة الغربان وقد استرد صحته بالكامل وقام بتجهيز جيش للهجوم على الواحات القريبة من واحة الغربان، فمنعه وزير واحة الزراعة وقال له: «لا أريد منك الذهاب في هذه الحرب خوفا على صحتك فأرجوك أعطِ المهمة لمساعديك واتركهم لتولي هذا الأمر بدلا منك»، فأمر قاسم أحد مساعديه وقال له: قم بالهجوم على الواحة واترك بعض من جيش

المجنزرين يهربون حتى يعلم الجميع في الواحات الأخرى بما يحدث فيتوغل الرعب والفزع في قلوبهم ويساعدنا أكثر على القضاء عليهم وطردهم خارج أرض الواحات العظمى.

وبالفعل دخل مساعد قاسم وجنوده واحتلوا هذه الواحة وتركوا عددا كبيرا من جنود المجنزرين يهرب، كما أمرهم قاسم، وقتلوا وزير هذه الواحة وأرسلوا لقاسم فأمرهم قاسم بالهجوم على واحة أخرى فقاموا بالهجوم فهرب منها كثير من الجنود وفر وزيرهم واشتبكوا مع قائد الحرس وقتلوا عددًا من الجنود ونجحوا في السيطرة عليها.

وأتى الجندي الذي أرسله قاسم وأخبر قاسم بأن قائد المجنزرين يحاول تجميع عدد من الجيوش للدخول في حرب على واحة الغربان وأنه يريد قتلك والسيطرة مرة أخرى على واحة الغربان ويطمع في أن يصبح هو الزعيم، فابتسم قاسم وقال أريده أن يفعل ذلك إن استطاع فسينتشر أمر قتل الزعيم والسيطرة على مقر حكم المجنزرين وعلى عدد من واحتهم وسيضعف منهم كثير وعلى أي حال فأنا مستعد في أي وقت للاشتباك معه حتى القضاء عليه وطردهم جميعا خارج أراضينا.

وتوالت سيطرة جيش قاسم على عدد من الواحات المحتلة وكون جيشا كبيرا وعلم قائد المجنزرين بما يحدث فقد فر إليه بعض القادة والوزراء وبعض الجنود الهاربين، وظل يقنع في بعضهم بالقيام بحرب على قاسم ولم يوافق أحد من القادة وهربوا نحو أرضهم وظل هو يجمع بقدر ما يستطيع من جنود وتوجه نحو واحة الغربان، وأمر قاسم بنشر الجنود في كل مكان خارج وداخل الواحات التي سيطروا عليها مؤخرا وأصبح له جيشا كبيرا، حتى أتى قائد المجنزرين بجيش وقام جنود قاسم بالاشتباك معهم وتجمع جميع جنود قاسم من كل الواحات التى سيطروا عليها وأصبح المجنزرين في مأزق حيث تكاثر عليهم جنود كُثر واشتبكوا معهم قبل الدخول لواحة الغربان وتجهز قاسم وركب حصانه وتوجه نحو المعركة وظلت المعركة قائمة حتى تمكن قائد المجنزرين من قتل أحد مساعدي قاسم فدخل قاسم المعركة وشاهد مساعده مقتولا فازداد غضبا واشتبك مع قائد المجنزرين، فصار قاسم يضربه بقوة وعنف حتى أسقط من يده السيف فألقاه قاسم من على حصانه وأسقطه أرضا بكل قوته فقفز من على حصانه ووضع سيفه في بطنه وصاح وصاحت جنوده فزاد حماس جنود قاسم وفر عدد كبير من المجنزرين وانتصر قاسم.

كوّن قاسم عددًا من الجيوش كل جيش له قائد من مساعديه، وأصبح لقاسم جيوشا كثيرة واستطاع استرداد ما احتله المجنزرين من واحات بكل سهولة، لأن الجيوش لم تعد تستغرق وقتا طويلا في الحرب على المجنزرين فجميعهم علموا بما حدث وفر منهم الكثير هربا إلى أرضه، وطلب وزير واحة الزراعة من قاسم بالتوجه نحو واحة الماء للاطمئنان على أسرهم فقال له قاسم قد حان الآن الذهاب لهم وبالفعل ذهبوا بجيش كبير وقتلوا ما تبقى من جيوش المجنزرين في واحة الماء وأخذ قاسم زوجته وأولاده وزوجه رشيد وأولادها وعادت جميع الواحات المحتلة مرة أخرى، فقال له الوزير: «أخبرني يا قاسم ما كان هدفك في عدم اقتحام قصر

زعيم المجنزرين لعدة أيام»، فقال له قاسم: «الآن أخبرك بقصتي وحقيقة أمري، أنا قاسم ابن وزير واحة الغربان الذي قتله المجنزرين وأبي رفض الهروب كي لا يعيش ذليلا ودافع عن الواحة حتى آخر قطره من دمه»، ثم أكمل قاسم قصته وقال: «لذلك أردت محاصرة الزعيم ومن معه حتى أذيقهم العذاب والفزع والرعب كما أذاقوه لي وأنا صغير»، فتعجب الوزير وقال له: «لماذا لم تخبرني بكل هذا؟»، فقال قاسم لأسباب كثيرة وأهم شيء أنني لو أخبرتك بقصتي ما كنت وصلت إلى ما أنا فيه الآن، ولكان الجميع اتهمني بأنني أحاول أخذ ثار أبي على جثث غيري، ولم يكن لأحد أن يهتم بأن العدو لا يفرق بين أحد وأنه أفسد في أرضنا جميعا وعلينا أن نحاربه»، فقال له الوزير: «كلامك صحيح يا قاسم وبفضلك طهرت أرض الواحات العظمى وأصبحت جميع الواحات تحت يدك أنت»، فقال قاسم وأيضًا من مساعدتك لي واسبتسال الجنود فقال الوزير: أفوضك بتولى أمر واحة الزراعة من بعد وفاتي، افعل بها كما تشاء وأنت حر في جميع واحات أرض الواحات العظمى، فقال قاسم: «أريدك أن تحضر معي في واحة الغربان لتشهد يوم شنق زعيم المجنزرين أمام الجميع»، فقال الوزير: «بالطبع سأكون معك في هذا اليوم ونشهد يوم القضاء على آخر شخص من جيوش الفساد، ولكن لا بُد أن أنفذ ما وعدت به الجنود المنتصرين بتمليكهم أراضي في واحة الزراعة وإعطائهم المكافآت».

وبعد أيام....

اجتمع أشخاص كثيرة في الساحة العامة للعقاب في واحة الغربان وجلس قاسم ووزير واحة الزراعة وقد عين قاسم أحد الشيوخ في منصب الشيخ الحاكم وعين مسؤولًا للساحة وأتى جنود قاسم بزعيم المجنزرين مكبلا في عربة نقل المجرمين وأنزلوه ووضعوه على المنصة، فقال الزعيم بصوت غاضب: لا تفرحوا كثيرًا فسيعود المجنزرين مرة أخرى إلى هذه الأرض ولن تستطيعوا أن تمنعوهم أبدا.

فصاح فيه قاسم قائلا: اصمت أيها الاحمق فقد مات الكثير منا بدون ذنب ولقد أفسدتم في أرضنا ولن يعود المجنزرين أبدا إلى أرض الواحات العظمى، ويجب أن تقتل ألف مرة فأنت العقل الفاسد المدبر لجيوش الظلم والطغيان واليوم يكتب لكل نهايتكم إلى الأبد.

فقال وزير واحة الزراعة لزعيم المجنزرين: لماذا أتيتم إلى أرض الواحات العظمى ولماذا فعلتم كل هذا؟

فقال الزعيم: نعيش في واحات بحر الثليج ومجمعات أنهار التماسيح ومجمعات وادي الشلال الأكبر وسط المخاطر والفقر وأنتم هنا تعيشون وتعبثون بأموالكم في أمن وأمان ونحن نقتل كل يوم بسبب الحيوانات المفترسة وبسبب انتشار القتل بين الناس بسبب الفقر والمخاطر فكيف نترك أنفسنا نهلك وفي إمكاننا أن نعيش بسلام هنا.

فقال وزير واحة الزراعة: تعيش بسلام على قتل الأبرياء وأخذ ما ليس ملكًا لك!

فقال قاسم: سحقا لكم،لا تستحقون إلا أن تكونوا في هذا المكان، اللعنة عليكم جميعا.

فصاح الناس وألقى بعضهم الحجارة على الزعيم فأصابته وسال الدم من أجزاء متفرقة من جسده حتى أعطى قاسم الأمر لمسؤول الساحة فقام بشنقه وسط تصفيق الناس وظلوا يهتفون لقاسم ويقولون: «قاسم يا صقر الشجعان أجدع فارس في الفرسان جيشك وقت الحرب أمان».

فابتسم وزير واحة الزراعة وظل يهتف معهم ثم قال وسط هتاف الناس: أرأيت يا قاسم كيف يهتف الناس لك؟ أنت تستحق كل ما أنت فيه الآن، فقام قاسم وقبل رأس الوزير وقال: «كان لك فضل في ذلك يا سيدي»، ومرت الأيام وبدأ قاسم يعيد ما كان يفعله أبيه في أرجاء الواحة وطهر الواحة من اللصوص وأعاد الأمن والأمان، وعين قاسم في كل واحة وزيرا ممن شاركوا معه في الحرب على المجنزرين من مساعديه وقادة الفرق.

وفي يوم من الأيام أتى رسول واحة الزراعة وأخبره بموت الوزير فصار يبكي على فراقه وأخبر زوجته بأنه ذاهب لواحة الزراعة فذهبت معه وذهبت معه أيضًا زوجه رشيد وأولادها وحضر مراسم تشييع جثمان الوزير وأقام عدة أيام في القصر الذي بناه له الوزير وأقامت زوجه رشيد وأولادها في القصر الذي بناه الوزير لرشيد، ورفضت الرجوع مع قاسم وأختها وقالت: «لن أترك المكان الذي حلم فيه زوجي بأن نكون مع بعضنا البعض»، ورجع قاسم إلى واحة الغربان وأصدر قرارات جديدة أولها غير اسم واحة الغربان إلى واحة الفرسان واستحدث لنفسه لقب الأخطبوط وقال يكون هذا هو لقب قائد ووزير كل الواحات في أرض الواحات العظمى، ووافقت جميع الواحات التى لم تحتل من قبل المجنزرين على اتحادهم مع قاسم وارتضوا أن يكون قاسم هو الأخطبوط، فأرسل لكل واحة قرارات بتوحيد الشعار فيكون شعارهم واحد وجيشهم واحد ولباس الجيش واحد وكل الواحات متحدين في كل شيء.

نشر قاسم الجنود في أرجاء كثيرة حول الواحات وجعلهم شبكة واحدة متعاونة، كما قام بتعيين أحد مساعديه كوزير لواحة الفرسان، وقال لا يجوز الجمع بين مكانتين فالأخطبوط يكون فقط وزيرا لكل الواحات على أرض الواحات العظمى، وجعل واحة الفرسان هي مركز لحكم الاخطبوط وبنى لنفسه قصرا في كل واحة وجعل القصر الذي بناه له وزير واحة الزراعة هو مقر له في واحة الزراعة.

اهتم قاسم بأهل الدواء والطب والعلم وسهل كثيرًا على الدراسين والباحثين وأصبحت أرض الواحات العظمى فى أقصى عصور الازدهار في شتى المجالات، وظل ابنه فهد يتعلم فنون القتال مثلما أمره قاسم حتى يصبح قائدا عظيمًا له شأن.

مرت عشرات السنين حتى أرسل المجنزرون وآخرون معهم بعض الحيوانات المحملة بأوبئة وأمراض مثل الطاعون والكوليرا وبعض الأمراض القاتلة التى حصدت أرواح كثير من الناس فاجتمع أهل الطب واستطاعوا وقف انتشار هذه الأمراض بعدما اكتشفوا دواء لهذه الأمراض وقاموا بتجريبها على حيوانات مثل القرود والغوريلا وعادت مجددا أرض الواحات العظمى لما كانت عليه وقال قاسم

آخر كلمة له قبل أن يموت لابنه فهد: «إن العقل سلاح، والاتحاد قوة، فبالعلم والاتحاد لن يهزمكم أحدٌ مهما بلغت قوته».

أصاب المرض جسد قاسم حتى مات، وحضر جميع وزراء أرض الواحات العظمى تشيع جثمانه ودفن بجوار أمه وأصبح ابنه هو الأخطبوط وأشاد جميع وزراء الواحات به، وقالوا له: «أنت ابن قاسم القائد العظيم ولا يجوز لنا إلا أن نبايعك بأن تصبح قائدنا جميعا»، ومرت عدة سنوات وأتى المجنزرين بجيوش كثيرة ولكن أرض الواحات العظمى أصبحت في اتحاد قوي فلم يستطيعوا أن يسيطروا على أي واحة وطردوا المجنزرين وأعطوهم درسا قويا في اتحادهم وقوة جيشهم.

ولكن بعد عدة سنين أتت من حيث لا يعلم الجميع حيوانات ضخمة كبيرة تشبه التماسيح أطلقوا عليها الديناصورات لم تترك أحدًا إلا وقضت عليه ولم ينجو منها شخص ولم تستطيع الجيوش المقاومة أمامها حتى حدثت البراكين والزلازل وأتى تسونامي كبير فقضت الطبيعة على جميع الديناصورات وأصبحت أرض الواحات العظمى محطمة تحت الأرض بفعل الزلازل القوية الكثيرة التى حدثت ولم يستطع أحد حتى الآن أن يعثر على أرض الواحات العظمى أو يعلم أين توجد هذه الأرض ولا أحد يعلم كيف بدأت الحياة من جديد حتى الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

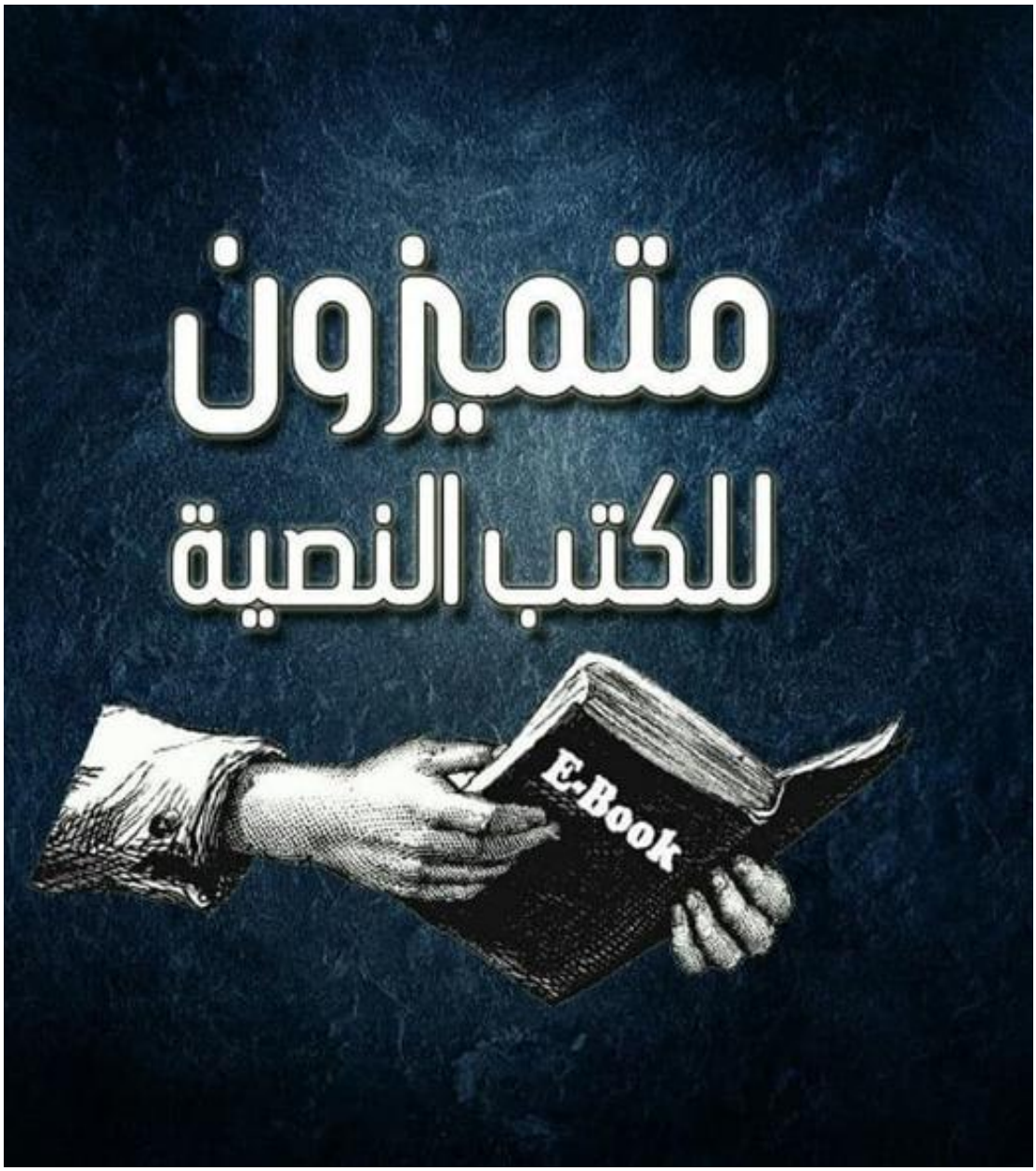
متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

إهداء..

الجزء الأول

واحة الغربان

الجزء الثاني

واحة الزراعة

الجزء الثالث

حروب قاسم